297.09:N973A ٧.١

نور الدين ، عبد الحسين .

الكلمات .

297.09
N973A
v.1

فهرست الجزء الأول من الكلمات

سها مرتب الأحرف بالنمرة بعد نمرة ١٧٦ فليصحح بالقلم

صفحة

٢ مقدمة الكتاب وبيان السبب الداعي لتأليفه وفيه برهان كاف على عظيم مقدرة علي(ع) السياسية وانه بسبب ذلك يقتضي ان يكون اولى الخلق بالخلافة بعد النبي

٣ التعجب من المسلمين كيف انحرفوا عن علي «ع»

٣ في موضوع الكتاب وما تدور عليه كلماته

٤ اخلاق العرب زمن جاهليتهم وفيها ذكر شيء من اعمالهم ونبذة من ايامهم

٤ يوم ضبيعات

٥ يوم أوارة الأول وكان بين المنذر وبين بكر بن وائل

٥ يوم أوارة الثاني وكان بين عمرو بن هند وبين البراجم وهم بطن من بني تميم

٦ يوم حسا بين ذبيان وعبس

٧ الشنفري وتأبط شرا — وأد البنات وقصة قيس بن عاصم

٨ بيان ان اخلاقهم كانت تحول بينهم وبين سعادتهم

٩ بيان ان الجور سبب في هلاك الأمم وبوارها وقصة طسم وجديس

١١ مجد العرب وعزهم زمن إسلامهم وحربهم مع الروم

١٢ وقعة اليرموك بين المسلمين والروم ومقدار عدد الفريقين فيها

١٣ انجاد جيش المسلمين بالعراق لجيش المسلمين باليرموك واهتدائهم على غير طريق وفيه حديث عجيب

١٤ اشتباك الحرب بين المسلمين والروم وفيه دخول جاسوس من الروم عسكر المسلمين ووصفه صلاحهم وخشيتهم لله وحديث طريف لأبي سفيان

١٥ مقدار من قتل من الروم والعرب وفرار هرقل وقوة بأس العرب وبيان ان ذلك مستفاد من رسول الله «ص» وعلي «ع» وعزل عمر لخالد بن الوليد

١٦ فتح العرب دمشق وفحل وما كان فيها من العناية والالطاف من الله سبحانه

١٧ حرب العرب والفرس وانتداب الناس مع المثنى بن حارثة

١٨ حرب العرب وجابان امير السواد واستيلائهم على عسكره ووفائهم العجيب

صفحة

١٩ استيلاء العرب على جنان آل كسرى واستبداد امير العرب بالرأي وشدة إطاعتهم لأمرائهم
٢٠ وقعة الجسر وفشل العرب فيها وقتل اميرهم وعظيم استعداد الفرس
٢١ وقعة البويب وشدة بأس العرب فيها وغلبتهم الفرس
٢١ يوم الخنافس وانتهاب العرب سوق بغداد وظهور مقدرة اميرهم
٢٣ ابتداء وقعة القادسية وتتويج الفرس يزدجرد ملكا عليهم واجتماع كلمتهم وخروج العرب من العراق بعد توغلهم فيها وتفيرهم العام لحرب الفرس وعقد عمر مؤتمرا من وجوه الصحابة للمشورة وأخذه برأي علي
٢٤ نزول سعد امير العرب ورستم امير الفرس القادسية ومشي الرسل بينهم وجرأة رسل العرب على ملك الفرس وقائدهم وارهاب الفرس لرسل العرب والتهويل عليهم وشرح ما كانوا عليه من سوء الحال قبل الإسلام وعدم اكتراثهم بارهاب الفرس وتهويلهم
٢٧ عبور رستم بأهل فارس وقوة عدتهم الحربية ونشوب الحرب بينهم وبين العرب
٢٨ يوم ارماث ويوم اغواث من حرب القادسية وما دبره بعض القواد لتقوية قلوب العرب
٢٩ يوم عماس وما احتال به القعقاع واخوه عاصم من تسريب الجيش لتقوية قلوب الجيش وتنفير الفيلة
٣١ ليلة الهرير وشدة ما لقي فيها الفريقان وانتصار العرب
٣٢ حصار العرب مدينة بهرسير وفيها الملك يزدجرد
٣٣ هرب يزدجرد الملك وعبوره الى المدائن وعبور المسلمين خلفه عوما الى المدائن
٣٤ دخول العرب المدائن عاصمة الفرس وما اصابوه من الغنائم العظيمة
٣٥ احراز المسلمين نفائس كسرى ومجوهراته وخزائنه
٣٦ وقعة جلولاء وما كان فيها من الحرب العظيمة
٣٧ هرب كسرى الى خاقان واستنجاده بملك الصين وما رده عليه ملك الصين من النصيحة وأثر الدين في بقاء دولة العرب
٣٨ نهضة جلالة الملك حسين بن علي وابنائه
٣٩ الكلمة الثانية من الكتاب في احوال علي امير المؤمنين وفيها بيان بدء الدعوة الاسلامية
٤١ بيان حال امير المؤمنين علي في صغره وعظيم منزلته من الذكاء والجرأة والعقل والوقار

صفحة

٣٤ ما ظهر لأمير المؤمنين علي — ع — من جلالة القدر وكبر النفس وعلو الهمة يوم نزول قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ونص رسول الله — ص — عليه بأنه خليفته ووصيه

٤٥ في ان عليا — ع — وزير رسول الله — ص —

٤٧ قول رسول الله — ص — لعلي يوم تبوك انت مني بمنزلة هارون من موسى وشرحها وبيان ما اشتملت عليه من الاسرار

٤٩ قول رسول الله — ص — لعلي يوم تبوك لا بد من ان اقيم او تقيم وشرح ما تضمنته هذه الكلمة من جلالة القدر وعلو المقام

٥٢ ما ظهر لعلي من الجرأة والبسالة امام الملأ من قريش عند ظهور المعجز لرسول الله — ص — من مجيء الشجرة

٥٤ ذكر بعض احواله من الجلالة والوقار ايام صغره ومشابهته لرسول الله (ص) وان استئثاره بالفضائل واستيلاءه على صفو المناهل دون بقية الصحابة كثر له الحاسدين

٥٦ قيامه بالخدمة الجليلة للنبي «ص» في حصار الشعب ومخاطرته بنفسه في جلب القوت لرسول الله «ص» وبقية بني هاشم

٥٧ مؤامرة قريش على قتل رسول الله «ص» وهجرته الى المدينة ومبيت علي مكانه وذكر ما نزل في مبيته من الآيات وما اشتمل عليه من الكرامات الباهرة والشجاعة الخارقة والإيمان العظيم

٦٠ التعجب من بعض المؤرخين والمحدثين كيف اهملوا ذكر فضيلة المبيت على الفراش وتأنيبهم على عدم اعطائها حقها من التعظيم والإطراء ورد قول بعض النواصب ان لا فضل فيها لعلي ع باوضح برهان واجلى بيان

٦١ امتياز علي من بين اصحاب النبي — ص — بقوة الإيمان واليقين وإفحام طلحة بن ابي طلحة وعمرو بن عبد ود أصحاب النبي — ص — واجابة علي من بينهم

٦٢ بيان السبب الذي سلم به علي من القتل ليلة الهجرة عند مبيته مكان رسول الله — ص — وقيامه باداء الامانات والودائع التي كانت عند النبي — ص —

٦٣ احتماله المشاق في هجرته والتعجب من المسلمين كيف لا ينظرونه كما ينظره فلاسفة الغرب من غير المسلمين بعين العظمة والجلالة

صفحة

٦٤ اختيار رسول الله (ص) عليا اخا له من بين كافة اصحابه واقربائه وذكر ما اشتملت عليه هذه المؤاخاة من المناقب
٦٦ ذكر الحكمة التي دعت النبي «ص» للمؤاخاة بين اصحابه واختصاصه بمؤاخاة علي «ع»
٦٩ احوال علي «ع» في حروبه مع رسول الله «ص» واولها بدر الكبرى
٦٩ غزوة بدر والسبب الذي دعا اليها
٧٠ خروج مشركي قريش لبدر ورؤيا عاتكة العجيبة
٧١ خروج رسول الله «ص» لبدر بمن خف من اصحابه
٧٢ بيان الابهة وحسن الاستعداد الذي خرجت به قريش للحرب والضعف والفاقة التي كانت في المسلمين عند خروجهم للحرب
٧٣ مجيء علي «ع» بغلمان قريش للنبي عند اسره لهم على الماء وسؤال رسول الله «ص» لهم عن عدد قريش
٧٤ مبارزة علي وحمزة وعبيدة لشيبة وعتبة والوليد وقتلهم وفرار المشركين
٧٥ ما ظهر لعلي (ع) من الشجاعة العظيمة الخارقة للعادة يوم بدر وبيان مقدار من قتله علي
٧٦ ذكر بعض اسماء الصناديد من قريش الذين قتلهم علي (ع)
٧٨ بيان السر الذي قوى بسالته وشدد جرأته يوم بدر حتى قتل من قتل
٧٩ قتله الاقران ولم يعرض لسلبهم وبيان السبب في ذلك وشهادة عمر بن عبدالعزيز له بأنه صاحب بدر
٨٠ غزوة أحد وما كان فيها لعلي (ع) من المواقف العظيمة على سبيل الاجمال
٨١ سبب غزوة أحد وبدء أمرها وشيء من فداء أبي العاص صهر رسول الله (ص)
٨٢ بلوغ رسول الله (ص) الخبر بمسير قريش لحربه وعدتهم واستكتامه الخبر سعد ابن الربيع واطلاع زوجته عليه
٨٣ رؤيا رسول الله «ص» وتأويلها وخروجه لأحد بمن خرج معه من المسلمين واستشارته لهم في الخروج
٨٤ دفعه (ص) اللواء لعلي (ع) واقامته الرماة على باب الشعب خلف ظهورهم وتأكيده عليهم الأمر بأن لا يفارقوا مراكزهم

صفحة

٨٦ بروز طلحة بن ابي طلحة سيد بني عبد الدار وصاحب لواء قريش وتوبيخه المسلمين وقتل علي(ع) له ثم قتله بقية حملة اللواء من بني عبد الدار وهم تسعة
٨٧ ذكر ما رواه الواقدي من ان عليا لم ينفرد بقتل حملة لواء قريش وبيان أسماء من اشرك عليا في قتلهم وذكر ان الفضل في قتلهم راجع الى علي (ع)
٨٨ اخلال الرماة بمراكزهم وهجوم خالد بن الوليد بخيل المشركين على رسول الله(ص) واصحابه من خلفهم وفرار المسلمين عن رسول الله (ص)
٨٩ رجوع المسلمين بعد فرارهم واستيصال المشركين على المسلمين وقتلهم كيف شاؤا وفرارهم ثانية عن رسول الله (ص) غير علي(ع) وشدة بأس رسول الله (ص) ومباشرته القتال بنفسه ورجوع سبعة من المسلمين يحمون رسول الله (ص) مع علي (ع)
٩٠ اظهار علي بسالة عظيمة في انقاذ رسول الله =ص= وتخليصه من يد العدو
٩٢ ذكر الأخبار الدالة على ان عليا ثبت وحده مع رسول الله — ص —
٩٤ مدح جبرئيل لعلي — ع — لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى إلا علي
٩٥ وصف شيء من القتال الذي كان من علي — ع —
٩٥ قول رسول الله — ص — لعلي هو مني وانا منه وقول جبرئيل وانا منكما
٩٧ مقتل حمزة بن عبد المطلب والتمثيل به وببقية القتلى من المسلمين
٩٩ تغيظ رسول الله — ص — على قريش للتمثيل بحمزة واستعظامه وافتخار علي
١٠٠ تحامل البخاري وانحرافه عن علي أمير المؤمنين وتعديد من قتلهم بأحد
١٠١ بيان ان امير المؤمنين اعجوبة الكون واكبر رجل بعد رسول الله — ص —
١٠٢ انقاذ أمير المؤمنين رسول الله — ص — من القتل وتفوق عمله يوم أحد على عمله يوم بدر
١٠٣ ذكر علامة المنحرفين عن علي(ع) امير المؤمنين وعلامة المنصفين له من المؤرخين والمحدثين
١٠٤ بيان جملة من المنحرفين عن علي أمير المؤمنين من المؤرخين والمحدثين
١٠٥ بيان انحراف المنحرفين عن علي امير المؤمنين من المؤرخين والمحدثين
١٠٦ بيان انحراف المنحرفين عن علي أمير المؤمنين من المحدثين والمؤرخين

صفحة

١٠٧ بيان ما بين علي وبين أبي بكر وعمر من التفاوت في الفضل
١١٠ تبرئة عمر مما نسبه اليه البخاري من المثلبة التي ظنها منقبة
١١١ بيان فساد ما نسبه بعض المحدثين والمؤرخين الى أبي بكر وعمر
١١٢ بيان ان المحدثين والمؤرخين المنحرفين عن علي هم يهود هذه الأمة
١١٣ الرد على من رد كرامات علي أمير المؤمنين يوم أحد من الناصبين
١١٤ بيان جهل بعض المؤرخين المنحرفين عن علي أمير المؤمنين
١١٥ الرد على من رد كرامات علي أمير المؤمنين يوم أحد من الناصبين
١١٦ رد ما افتراه على علي أمير المؤمنين بعض المؤرخين المنحرفين
١١٧ رد مفتريات بعض المؤرخين على علي أمير المؤمنين
١١٨ تنبيه المسلمين على المنحرفين عن أمير المؤمنين كي لا يغتروا بهم وغزوة بني النضير
١١٩ تفرد علي أمير المؤمنين في غزوة بني النضير من بين اصحاب رسول الله (ص) بتتل حماتهم وملك حصنهم وبيان ما له في ذلك من الفضل
١٢٠ غزوة الأحزاب وما ظهر فيها من الكرامات وفيها كرامة لسلمان الفارسي
١٢٢ بعض الكرامات التي ظهرت لرسول الله (ص) يوم الأحزاب
١٢٣ انجاز الله لنبيه ما كان يعد به اصحابه بعد موته وان ذلك من أكبر آياته
١٢٤ ما نال المسلمين من الخوف يوم الاحزاب وكثرة عدوهم
١٢٥ نقض يهود بني قريضة العهد الذي بينهم وبين رسول الله (ص) وانحيازهم لقريش
١٢٦ شدة الكرب والبلاء الذي لحق المسلمين بسبب نقض بني قريضة الصلح وخوف المسلمين على نسائهم وذراريهم من اليهود وجرأة عائشة
١٢٧ ما احتال به نعيم بن مسعود من التفريق بين قريش واليهود وتشتيت شملهم
١٢٩ خروج عمرو بن عبدود لحرب المسلمين واقتحامه الخندق عليهم
١٣٠ التعجب من اقتحام عمرو والاربعة الذين كانوا معه الخندق على المسلمين وهم ثلاثة آلاف وتوبيخه لهم
١٣١ انتداب علي لعمرو ومبارزته له وخوف رسول الله (ص) على علي وتقليده له بسيفه وتعميمه بعمامته
١٣٢ ما جرى بين علي (ع) وعمرو من المحاورة والجدال حين التقيا في النزال

صفحة

١٣٣ قتل علي لعمرو ونوفل وفرار الثلاثة الباقين

١٣٤ ابتهاج رسول الله «ص» بقتل علي لعمرو وترفع علي عن سلب عمرو وغيره ممن قتلهم

١٣٥ بيان ان الاسلام حفظ بقتل علي عمرا وان اولا قتله لمحي أثر الاسلام

١٣٦ بيان السبب الذي يرتفع به استبعاد هجوم خمسة على ثلاثة آلاف وذكر شواهد لذلك

١٣٧ انتعاش المسلمين بقتل عمرو وفضل قاتله

١٣٨ شهادة الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان لعلي بأنه افضل اصحاب رسول الله «ص» بعمله يوم الخندق وفيه حديث طريف

١٣٩ تفجع قريش على عمرو واستعظامهم قتله وما رثوه به من الشعر

١٤٠ رجوع أبي سفيان وسائر قريش بالخيبة بعد قتل عمرو

١٤١ بيان ان فضيلة قتل عمرو لا تعادلها فضيلة

١٤٢ التعجب من اغفال البخاري ومسلم نقل هذه الفضيلة وهي قتل علي لعمرو وتيقظهما الأمر التافه العديم الفائدة

١٤٣ شغف البخاري ومسلم بنقل فضائل الصحابة ما عدا علي «ع»

١٤٥ وقعة بني قريضة وما فيها لعلي «ع» من المفاخر

١٤٩ بيان الحكمة في قتل رسول الله «ص» لقريضة واستئصالهم وعدم العفو عنهم

١٥١ اجلاء رسول الله «ص» بني قينقاع عن الحجاز وغدر بني النضير

١٥٣ وقعة الحديبية وخروج رسول الله «ص» فيها معتمرا لا يريد حربا وقيام قريش في وجهه يصدونه عن دخول مكة

١٥٤ نزول رسول الله «ص» بالحديبية وامره عمر بن الخطاب بالذهاب الى مكة وامتناع عمر من ذلك وإرسال عثمان مكانه والتعجب من احجام عمر عن الذهاب

١٥٥ قدوم عروة بن مسعود رئيس ثقيف على النبي مستعطفا له على قريش وبيان سوأة المغيرة

١٥٦ قدوم الحليس سيد الاحابيش على النبي وامره اصحابه ان يبعثوا الهدي في وجهه ورجوعه قبل ان يلقى النبي «ص» منابذا لقريش لردهم من جاء معظما للكعبة

صفحة
١٥٧ قدوم سهيل بن عمرو على رسول الله ص والمفاوضة في شأن الصلح بين قريش والمسلمين وامتناع بعض الصحابة ومعارضتهم رسول الله «ص» في ذلك
١٥٨ تساهل رسول الله «ص» في أمر الصلح واعطاؤه قريشا كلما طلبوا من الشروط المجحفة بحق المسلمين وانكار بعض الصحابة لذلك وتقريع رسول الله «ص» لهم
١٥٩ ما ظهر لعمر من الاعمال التي لا تليق بمقامه
١٦٠ كتابة علي كتاب الصلح بين رسول الله وقريش واخبار رسول الله لعلي بالغيب أن له مثلها
١٦١ بيان ما عليه علي ع من الانقياد للنبي
١٦٢ في تساهل رسول الله في شروط الصلح
١٦٤ قصة أبي بصير والفرج عن المسلمين بمكة
١٦٥ ما ظهر بالجحفة من الشجاعة لعلي
١٦٦ غزوة خيبر وفضل علي فيها
١٦٧ الاخبار في فضل علي يوم خيبر
١٦٩ اعطاء علي الراية بعد عجز غيره
١٧١ قتل علي مرحبا ومدح حسان له
١٧٢ بيان ان حضور علي سبب الفتح
١٧٤ ذكر ما اشتملت عليه مدحة النبي من الفضل
١٧٦ التعجب من غفلة الامة عن فضل علي
١٧٨ مدح النبي لعلي وجعفر وزيد والتفاوت فيه
١٧٩ مدح عائشة زيدا والداعي له
١٨٠ فتح مكة وحضور ابي سفيان محتالا على النبي
١٨٤ مسير النبي وعظيم جيشه واسلام ابي سفيان

صفحة
١٨٨ أخذ علي الراية من سعد سيد الانصار
١٨٩ الفرق بين علي وعثمان
١٩٠ صعود علي على منكب النبي وكسر الأصنام
١٩١ الفرق بين عمل علي وخالد مع بني جذيمة
١٩٤ وقعة حنين وعمل علي العظيم فيها
٢١٢ مسير علي لليمن مكان خالد وعظيم فعله
٢١٦ وفد نجران وفضل المباهلة والتعجب من المسلمين
٢٢١ أخذ سورة براءة من أبي بكر واعطاؤها عليا
٢٢٤ حجة الوداع وامتياز النبي وعلي فيها
٢٢٩ في ان الناس حلوا عند قدوم مكة
٢٣٣ قول المؤرخين والمحدثين بمشابهة علي للنبي في حجه
٢٣٧ اظهار فضل علي في اشتراكه بهدي النبي
٢٤٠ تشويش الحديث الذي رواه البخاري

297.09
N973KA
v.1 c.1

الكلمات

وهي ثلاث

الكلمة الأولى في احوال العرب زمن جاهليتها وإسلامها

والكلمة الثانية في احوال امير المؤمنين علي بن ابي

طالب عليه السلام

والكلمة الثالثة في احوال معاوية وبني أمية

(الجزء الاول)

ويتبعه الجزء الثاني والثالث

﴿ لمؤلفه العلامة ﴾

السيد عبد الحسين نور الدين

38278

مطبعة العرفان : صيدا ١٣٤٧

فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد خاتم النبيين وآله الطيبين وصحبه المنتجبين اما بعد فقد دعاني لكتابة هذه الكلمات هو ماشاع في هذا العصر بين ضعيفي البصيرة وقليلي الاطلاع والمعرفة بنقد الرجال واحوالها ممن يخدعون بالسراب، ويقنعون بالقشر عن اللباب، نسبة امير المؤمنين علي (ع) الى قلة المعرفة بالسياسة وتدبير امر الرعيه وان من تقدمه من الخلفاء أعرف منه بذلك واقوى على القيام بامر الدولة وافرط بعض اولئك فقدم عليه معاوية وجعله اولى منه بالأمر بقدرته على استنباط الحيل واستعمال الخداع والمكر والإخلاف بالوعد وعدم الالتزام بالوفاء والصدق وسموا ذلك لجهلهم دهاء زعموا ان عليه مدار الفضيلة وبه قوام الدولة ورسوخ قواعدها وان امير المؤمنين عليا (ع) خلو من ذلك وانما هو ذو دين شديد التمسك به والاحتياط له وانه بالمحراب اولى منه بالرئاسة وتدبير الدولة وسياسة الرعية الا وإن تلك لهي فكرة فاسدة وعقيدة باطلة روجها الجهل بحقيقة امير المؤمنين علي (ع) وقلة المعرفة باحواله، وعدم التدبر لسيرته واعماله، وهذا هو الداء العضال والوباء القتال، يذهب بالحقيقة ويتنكب بصاحبه الجادة وها انا بعونه تعالى ابين فساد هذه الفكرة باجلى بيان واوضح برهان وأكل الحكم في ذلك الى الرأي العام راضيا بقضائه منفذا لاحكامه (فاقول) ان امير المؤمنين عليا (ع) هو اعرف الخلق بالسياسة بعد رسول الله (ص) صاحب الدولة ومنشئها ومؤسس قواعدها واسان لقانونها والمنظم لجيشها وسلطانها لانه تلميذه وخريجه ربي في حجره ودرج في بيته ولم يكن لاحد من اصحاب رسول الله (ص) ما كان لامير المؤمنين من طول الصحبة لرسول الله والملازمة والانقطاع اليه والخلوة به والاتباع له من لدن كان فطيما الى ان قبضه الله وستعرف ذلك مفصلا فهو احقهم بالخلافة واولاهم بعده بالرياسة ولولاه لما قامت للعرب دولة ولا كان لها

سلطان ولو سلمت العرب اليه مقاليدها بعد رسول الله (ص) او بعد الخليفتين (رض) لكانت دولة العالم باسره والمسيطرة على سطح الكرة الارضية حتى الساعة (وان) معاوية ابعد عن سياسة الرعية وتدبير الملك لا يصلح للخلافة ولا يليق بالرئاسة وكيف يصلح لها وهو السبب في هدم بنيانها ودك اركانها وطمس معالمها واذهاب رونقها وبهجتها واخلاق جدتها ومحو اثرها بعد ان كادت ان تكون دولة العالم باسره والمنظمة لشأنه فإنا لله وانا اليه راجعون وتالله لا يكاد ينقضي عجبي وتنتهي حيرتي واستغرابي كيف غفرت العرب لهذا الرجل ذنبه اليهم بل عدوه محسنا وتولاه كثير منهم وكيف مالت عن امير المؤمنين علي (ع) بوجهها ولم تمحضه ودها وليس لها ما تعتمده وتتشبث به. خليقة جبلت عليها وسجية خصت بها تدنو ممن يريد بها السوء وتنأى عمن يريد بها الخير والصلاح وتنكر الجميل وتكفر الإحسان اما علمت ان وقوف ابي سفيان في وجه رسول الله (ص) مدة تسع سنوات اخّر سيره ولولا ذلك لأذعنت له في حياته كافة الأمم وكذلك وقوف ولده معاوية في وجه اخي رسول الله (ص) ووصيه وزيره اخر سيره ولولاه لأذعنت له ايضا كافة الامم وكانت الدولة العربية مسيطرة على كافة الخلق وكان الدين كله الإسلام والعرب تعرف ذلك ولا تجحده

ومحور القول في هذا الكتاب يدور على ثلاث كلمات

الكلمة الأولى في بيان حال العرب زمن جاهليتهم وزمن اسلامهم ومقدار نفع الدين فيهم ومنه تعرف ان من كان اشد تمسكا فيه واقدر على حمل الناس عليه كان اولى بالرياسة واعرف بالسياسة لأنك تعرف حينئذ ان روح السياسة لهذه الأمة العربية هو حملها على التمسك بالدين والكلمة الثانية في احوال علي امير المؤمنين من لدن صغره الى حين وفاته ومنها تعرف مقدار نفعه لهذه الأمة وعظيم أثره في تثبيت الدين والدولة وحسن سياسته والكلمة الثالثة في احوال معاوية وسائر ملوك بني امية ومنها تعرف عظيم جنايته على الدين والدولة وانه السبب في ضعفها الى يومنا هذا.

(كلمة في العرب)

كانت الأمة العربية زمن جاهليتها وتوغلها في البادية على حالة من الشقاء والإنحطاط ليس لهم قوة تحوطهم ولا دولة تجمعهم ولا سلطان يعزهم ولا حكماء ترشدهم وتهذب اخلاقهم وان وجد في بعض كلماتهم ونزر من اشعارهم شيء من الحكمة فلا يشفي من علة ولا ينقع من غلة قد خضعوا لسلطان الفرس والروم فكانوا في قبضتهم وتحت رحمتهم (١) يقنعون بالعيش النزر والقوت الزهيد يأكلون المبتة ويشربون الطرق (٢) ويسكنون القفار والفلوات باسهم بينهم شديد ليس لاموالهم عصمة، ولا لانفسهم ودمائهم بينهم حرمة، دأبهم شن الغارات ومنها معاشهم وثراؤهم ينتهبون الفتيات وينتهكون الحرمات ويها فخرهم (٣) يعبدون الاشجار والاحجار زاعمين انها التي ترزقهم يئدون بناتهم خشية العار يقتلون اولادهم خشية الفاقه (٤) قد نشأوا على مبادئ وحشية وغرائز سبعية لا يعرفون من الرأفة والرحمة والشفقة والحنان والعدل غير اسمائها اشبه شيء بالسباع الضارية والذئاب الكاسرة ان قتل منهم احدلم يلزموا الذنب قاتله بل يطلبون به كل من مت الى القاتل بقرابة فتراهم يقتلون به النساء والاطفال وهذا منتهى الجور وقصارى الهمجيه وسأتلو عليك شيئا من احوال ملوكهم وامرائهم وذوي النباهة فيهم لتعرف غيرهم بالقياس اليهم فمنها يوم ضبيعات (٥) وسببه ان ابناً للحارث (٦) الكندي كان مسترضعا في تميم وبكر فلدغته حية ومات فاخذ الحارث خمسين رجلا من تميم وخمسين

---

(١) كانت اليمن والحجاز والعراق ملكا للكسروية وبيدهم نصب ملك العرب وخلعه وكذلك سوريا كانت ملك القياصرة وبيدهم نصب الملك وخلعه

(٢) وهو الماء الممتزج ببول الابل

(٣) قال شاعرهم وبنت كريم قد نكحن ولم يكن لنا خاطب إلا السنان وعامله

(٤) قال سبحانه ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم

(٥) ذكر ذلك ابن الاثير ج ١ ص ١٩٨ (٦) جد امرئ القيس الشاعر

رجلا من بكر فقتلهم به ومثلها يوم اوارة الاول (١) وكان بين المنذر وبين بكر بن وائل وسببه ان تغلبا لما اخرجت سلمة بن الحرث عنها التجأ الى بكر بن وائل فاذعنت له وحشدت عليه وقالوا لا يملكنا غيرك فبعث اليهم المنذر يدعوهم الى طاعته فابوا ذلك فحلف ليسيرن اليهم فإن ظفر بهم فليذبحنهم على قمة جبل اواره حتى يبلغ الدم الحضيض وسار اليهم في جموعه فالتقوا باواره فاقتتلوا قتالاً شديدا واجلت الوقعة عن هزيمة بكر واسر المنذر من بكر اسرى كثيرة فامر بهم فذبحوا على جبل اواره فجعل الدم يجمد فقيل له ابيت اللعن لو ذبحت كل بكري على وجه الارض لم يبلغ دمهم الحضيض ولكن لو صببت عليه الماء ففعل وسال الدم وامر بالنساء ان يحرقن بالنار وكان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعا الى المنذر فكلمه فيهن فاطلقهن . ومنها يوم اوارة الثاني ذكر ابو الفرج الاصفهاني في كتاب الاغاني صفحه ١٢٨ جزء ١٩ قال كان لعمرو بن هند ملك الحيرة اخ يسمى مالك عند زرارة بن عدس رئيس بني تميم فخرج مالك للصيد فلم يصب شيئاً فرجع وقد اشتد به الجوع فمر بإبل لرجل من بني تميم يقال له سويد فأمر بناقة منها سمينة فنحرها واشتوى وكان سويد نائما فلما انتبه شد على مالك بعصا فضربه بها فمات وخرج سويد هاربا وكان سويد تحته ابنة زرارة قد ولدت له تسع بنين فلما علم زرارة بصنع سويد خشي ان يطلبه الملك باخيه فهرب وطلبه الملك فلم يقدر عليه واخذ امرأته وهي حبلى فقال لها اذكر في بطنك ام انثى فقالت لا علم لي بذلك فامرها فبقرت بطنها فقال لزرارة قومه انك لم تقتل اخا الملك فأته فاصدقه الخبر فلما اخبره الخبر قال جئني بسويد فقال قد لحق بمكة فقال جئني بولده التسعة فجاءه بهم وهم غلمة بعضهم فوق بعض فامر بقتلهم فتناولوا احدهم وضربوا عنقه فتعلق الآخرون بزرارة جدهم فقال زرارة يا بعضي دع بعضا فاخذت الغلمة وضربت اعناقهم بمحضر الملك فانظر الى مبلغ هذه القسوة ومقدارها ولم يشفه ذلك بل آلى بألية ليحرقن من بني حنظلة وهم رهط سويد مائة رجل وخرج

(١) ابن الأثير ج ١ ص ١٩٩

يريدهم وبعث على مقدمته عمرو بن ثعلبة الطائي فوجد القوم قد نذروا فادرك ثمانية وتسعين رجلا منهم باسفل اواره من ناحية البحرين فحبسهم بها ولحقه عمرو بن هند فضربت قبته بها ثم امر باخدود فحفر لهم ثم اضرمه نارا فلما احتدمت وتلظت قذفهم بها فاحترقوا واقبل راكب من البراجم وهم بطن من بني حنظلة عند المساء ولا يدري بشيء مما كان فقال له عمرو بن هند ما جاء بك فقال حب الطعام قد اقويت ثلاثا ولم اذق طعاما فلما سطع الدخان ظننت انه دخان الطعام فقال له عمرو ممن انت فقال من البراجم فقال عمرو ان الشقي وافد البراجم فذهبت مثلا ثم رمى به في النار واقام عمرو لا يرى احدا وقد بقي عليه واحد تمام المائة فقيل له ابيت اللعن لو تحللت بامرأة منهم فقد احرقت تسعة وتسعين رجلا فدعا بامرأة من بني حنظلة فقال لها ما اسمك فقالت انا الحمراء بنت ضمره فقال اني لأظنك اعجمية فقالت ما انا باعجمية ولا ولدتني العجم ثم انشأت

اني لبنت ضمرة بن جابر ساد معدا كابرا عن كابر

فقال عمرو اما والله لولا مخافة ان تلدي مثلك لصرفتك عن النار فقالت اما والذي اسأله ان يضع وسادك ويخفض عمادك ويسلبك ملكك ما قتلت الا نساء اعلاها ثدى واسفلها دمى فقال اقذفوها بالنار فقذفت بها . ومثلها يوم حسا[1] وسببه ان ذبيان تجمعت لبني عبس فهرب بنو عبس وتبعتهم ذبيان فادركوهم وقالوا التفاني او تفيدونا فاشار قيس بن زهير على الربيع بن زياد قائد بني عبس ان لا يناجزهم وان يعطيهم رهائن من ابنائهم حتى ينظروا في امرهم فاتفقوا على ان يكون رهنهم عند سبيع بن عمر احد بني ثعلبه فدفع اليه بنو عبس ثمانية من غلمانهم وتكافء الناس ومكث رهنهم عند سبيع حتى حضرته الوفاة فقال لابنه مالك كاني بك لومت اتاك خالك حذيفة بن بدر فعصر عينيه وقال هلك سيدنا ثم خدعك عن الغلمان حتى تدفعهم اليه فيقتلهم فلا تشرف بعدها ابدا فان خفت ذلك فاذهب بهم الى قومهم فلما هلك سبيع اطاف حذيفة بمالك

(١) ذكره في العقد الفريد جزء ٣ صفحة ٥٠

وخدعه حتى دفعهم اليه فاتى بهم اليعمريه(١) فجعل يبرز كل يوم غلاما فيجعله غرضا ويقول ناد اباك ثم يرميه بالنبل والغلام يستغيث بابيه حتى يقتله حتى اتى على الثمانية وهذا غاية في القسوة والهمجية وحذيفة هذا راس بني ذبيان وسيد من سادات العرب واعلامها ومثلها ما رواه ابن الانباري في شرح المفضليات قال خرج الشنفري(٢) وتابط شرا في جمع من اتباعهما للغارة على بني فلان فبينما هم جالسون اذ سمعوا بعارا وهو صوت الحمل فعلموا ان عنده قترة (وهي حفيرة تعمل لصيد الذئب) وان بقربها انسان ينتظر وقوع الذئب فيها ليقتله فاسرعوا اليها ليأخذوا الرجل فلما رآهم الرجل خافهم فالقى نفسه في الحفرة مع الذئب فاقبلوا يرمونه بالسهام فكلما صاح مستغيثا بهم يقولون انت ام الذئب يتفكهون بذلك حتى مات ومثله مافعله قيس بن عاصم رئيس بني تميم من وأد البنات روى ابو الفرج(٣) قال وفد قيس بن عاصم على رسول الله (ص) فقال له كنت اخاف سوء الاحدوثه والفضيحة في البنات فما ولدت لي بنت قط الا وأدتها وما رحمت منهن موؤدة قط الا بنت لي ولدتها امها وانا في سفر فدفعتها الى اخوالها فكانت فيهم وقدمت فسألت عن الحمل فاخبرتني المرأة انها ولدت ولدا ميتا ومضت على ذلك سنون حتى كبرت البنت ويفعت فزارت امها ذات يوم فدخلت فرايتها وقد ضفرت شعرها وجعلت في قرونها شيئا من خلوق ونظمت عليها ودعا والبستها قلادة جزع وجعلت في عنقها مخنقة بلح فقلت من هذه الصبية فقد اعجبني جمالها وكيسها فبكت ثم قالت هذه ابنتك كنت خبرتك اني ولدت ولدا ميتا وجعلتها عند اخوالها حتى بلغت هذا المبلغ فامسكت عنها حتى اشتغلت عنها ثم اخرجتها يوما فحفرت لها حفيرة فجعلتها فيها وهي تقول يا ابت ما تصنع بي وجعلت اقذف عليها التراب وهي تقول يا ابت امغطيّ انت بالتراب اتاركي انت وحدي ومنصرف عني وجعلت اقذف عليها التراب حتى واريتها وانقطع صوتها فما رحمت احدا ممن

(١) اسم موضع (٢) الشنفري صاحب لامية العرب وهي تشتمل على شيء من الحكم ومكارم الاخلاق (٣) في الاغاني جزء ١٢ صفحه ١٤٣

واريته غيرها فدمعت عينا رسول الله(ص) ثم قال انها لقسوة وان من لا يرحم لا يرحم وقيس هذا من اعلام العرب وذوي الحجا فيهم و ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب في عمر ان بن ملحان وهو من كبار التابعين وقد ادرك الجاهلية انه قال مارأيت اناسا كانوا اضل من العرب كانوا يجيئون بالشاة البيضاء فيعبدونها فيجيء الذئب فيذهب بها فيأخذون اخرى مكانها فيعبدونها واذا رأوا صخرة حسنة جاؤا بها وذهبوا يصلون اليها فاذا رأوا صخرة احسن منها رموها وجاؤا بتلك يعبدونها

هذه لمحة من اخلاقهم ونبذة من سير ملوكهم وامرائهم وهم القدوة وعليهم المعوّل في تهذيب الاخلاق وتكميل النفوس ولم الشعث تطلعك على حالة هذه الأمة ومبلغها من الجهل والشقاء ومنزلتها من القسوة وبعدها عن المدنية وناهيك بما لقيه رسول الله (ص) ثلاثا وعشرين سنة منها من الأذى والمكروه ونصب العداوة واعلان الحرب وهو دائب في اصلاحها وارشادها وتهذيبها ولقد كانت تحملهم خفة الاحلام وشراسة الاخلاق وسبعية الطباع على عدم الانقياد لرئيس والخضوع لسلطان والالتزام بقانون ولولا ذلك لألفت دولة من اعظم دول العالم وارقاها وربما زعم بعض جهلتهم ان ذلك من لوازم العزة وحرية الضمير كلا بل هذا مخالف لناموس الطبيعة ومباين لعمران الكون ومناف لرقي الجنس البشري ونموه وانما العزة والحرية معرفة المرء حقه والوقوف عنده والانفة من ان يظلم او يظلم والتخلق بالاخلاق الفاضلة والمجانبة للأخلاق السافلة والطباع القاسية والانقياد لمن يحمي الحوزة ويقوم بامر الامة ويحفظ الحقوق وينصف المظلوم ويأمن السبل ويحوط بيوت الاموال وينظم الجيش ويسرب العساكر ويتدبر عواقب الامور وينظر في شأنها ومستقبلها فإن من كان بهذه الصفة وجبت طاعته ولزم عند العقول اتباعه والصدور عن رأيه والوقوف عند امره ونهيه فإنه المربي والمعلم وهو بمنزلة الاب للرعية ومتى فقدت الامة من كان بهذه الصفة او فقد من كان بهذه الصفة طاعة امته له حرمت السعادة ونأت عن العز وكانت الى الموت

اقرب منها الى الحياة وكم بادت قبائل من العرب وهلكت ولم يبق الا اسمها وكان سبب انقراضهم ما ذكرنا كعاد وثمود وقد ذكر سبحانه طغيانهم وفسادهم في كتابه الكريم وكطسم وجديس وكان من خبرهم ان ملكهم عمليق كان ظالما جبارا قد تمادى في الجور وان سيرته قبيحة وكانت مساكنهم اليمامة وكانت من اخصب البلاد واكثرها خيرا وان امرأة من جديس يقال لها هزيلة طلقها زوجها واراد اخذ ولدها منها فخاصمته الى عمليق وقالت ايها الملك حملته تسعا ووضعته دفعا وارضعته شفعا حتى اذا تمت اوصاله ودنا فصاله اراد ان ياخذه مني قهرا ويتركني منه صفرا فقال زوجها ايها الملك اني حملته قبل ان تحمله ووضعته قبل ان تضعه فقالت المرأة انه حمله خفيفا وحملته ثقيلا ووضعه طوعا ووضعته كرها فقال الرجل اني اعطيت المهر كاملا ولم اصب منها طائلا الا وليدا خاملا فافعل ما كنت فاعلا فامر الملك ان يضم الولد الى غلمانه وان تباع المرأة ويعطى خمس ثمنها الى زوجها ويباع الزوج ويعطى عشر ثمنه لزوجته فقالت هزيلة .

اتينا اخا طسم ليحكم بيننا ... فانفذ حكما في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعا ... ولا كنت فيمن يبرم الحكم عالما

فلما سمع عمليق الملك قولها امر في كل امرأة تزوج من جديس ان تهدى اليه ليفترعها قبل زوجها فلقوا من ذلك بلاء وذلا ولم يزل يفعل ذلك حتى زوجت عفيرة بنت عباد اخت الاسود فحملت الى عمليق فافترعها وخلى سبيلها فخرجت الى قومها في دمائها وقد شقت درعها من القبل والدبر وهي تقول:

لا احد اذل من جديس ... اهكذا يفعل بالعروس
يرضى بذا يا قوم بعل حر ... اهدى وقد اعطى وسبق المهر

فرأوا منظرا قبيحا حرك من نفوسهم ثم قالت تحرضهم :

ايجمل ما يؤتى الى فتياتكم ... وانتم رجال فيكم عدد الرمل
وتصبح تمشي في الدماء عفيرة ... جهارا وزفت في النساء الى بعل
ولو اننا كنا رجالا وكنتم ... نساء لكنا لا نقر لذا الفعل

فموتوا كراما او امبتوا عدوكم وذبوا النار الحرب بالحطب الجزل
والا فخلوا بطنها وتحملوا الى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللبين خير من مقام على الاذى وللموت خير من مقام على الذل

في ابيات فقام اخوها الاسود وكان سيدا مطاعا في قومه فقال يا معشر جديس ان القوم ليسوا باعز منكم في داركم الا بملك صاحبهم ولولا عجزنا لما كان لهم فضل علينا فقالوا القوم اكثر منا فقال لتطيعنني والا لأضعن سيفي هذا في بطني واخرجه من ظهري فقالت جديس وقد حميت للاسود نطيعك في كل ما تصنع قال فاني اصنع للملك طعاما وادعوه واهله اليه فاذا جاءوا يرفلون في الحلل اخذنا سيوفنا وقتلناهم فقالوا افعل ما بدا لك فصنع لهم طعاما بظاهر البلد ودفنوا السيوف في الرمل فلما اخذت طسم مجالسها اخذت جديس السيوف ومالوا عليهم فقتلوهم ولم يفلت منهم الا رجل واحد فقصد حسان بن تبع ملك اليمن يستعديه على قومه وخشي ان لا يجيبه لبعد المسافة فاخذ عصا من جريد النخل وجعل عليها شيئا من الطين لئلا تجف واستصحب كلبا معه فلما قرب من دار الملك نزع الطين عن العصا فاذا هي غضة طرية وكسر رجل الكلب يموه بذلك على الملك قرب بلاده ثم دخل على الملك فشكا اليه جديسا ووصف له ارضهم وخيرها وخصبها فقال له الملك من اين صحبك هذا الكلب وهذه العصا فقال من بلادي وسار حسان بالجيش فلما كان من اليمامة على ثلاث قال الرجل ان لي اختا متزوجة في جديس تسمى الزرقاء تبصر مسيرة ثلاث واخاف ان تنذر القوم بك فمر كل رجل ان يقطع شجرة فيجعلها امامه ففعلوا ذلك ونظرت اليمامة فابصرتهم فقالت يا معشر جديس جاءتكم حمير فاحذروا فقالوا ماترين قالت ارى شجرا يسير واظن خلفه الرجال فقالوا جنت زرقاء اليمامة ولم يصدقوها فصبحهم حسان بعد ثلاث فابادهم ودعا حسان بالزرقاء ففقأ عينها فاذا فيها عروق سود فقال ما هذا قالت حجر اسود كنت كثيرا ما اكتحل به يقال له الاثمد ويقال انها اول من اكتحل به وهذا حديث طريف آثرنا نقله. هذه نبذة

من احوالها زمن جاهليتها افمثل هذه الأمة تستطيع ان تدير امرها وتعلي قدرها وتنظم منها دولة ذات شأن الا بقانون إلهي وقيد ديني يهذب اخلاقها ويكبح جماحها ويرد عاديتها ويلين عريكتها فترد به المنهل العذب والجناب الخصب فانظر اليها بعد ان انعم الله عليها بنبيه واهتدت بهديه وتخلقت بآدابه وجرت على منهاجه واستمسكت بشريعته والتزمت بتنفيذ احكامها والخضوع لقوانينها كيف عرجت لأوج المجدوجرت ذيل العز ورنحت اعطاف الفخر ورفلت في ابراد النعمة وتفيأت ظلال السعادة فخضعت الملوك لهيبتها وطأطأت الجبابرة لسطوتها وانحنت لعظمتها اصلاب العواصم وارغمت لعزتها آناف الحصون والمعاقل واستعبدت ابناء الملوك وحازت كنوز الارض وماسمعنا في غابر الازمنة وسالف الدهور بأمة بلغت ما بلغته هذه الأمة من العظمة ووصلت اليه من العلو والرفعة وحازته من الشرف والفخر واستولت عليه من الابهة والقوة والسلطان في اقرب وقت واقل زمان. هذه تواريخ الامم وحوادث الايام شاهدة بذلك فيا لها من امة ما اشد تأثرها بالدين واعظم نفعها منه وما احفظه لسلطانها وانظمه لشأنها فياليت لوقيض لهذه الامة ساسة يحوطونها به ويسوسونها باحكامه فيعظمون قدره ويرفعون شأنه

لما اجتمعت كلمة العرب بعد فرقتها وتألفت بعد شتاتها ايام خلافة ابي بكر (رض) توجه منهم جيشان احدهما الى كسرى ملك الفرس والآخر الى قيصر ملك الروم وهو اكثر العسكرين عددا ولم يكن يبلغ ثلاثين الفا وهذان الملكان يومئذ هما اعظم ملوك الارض وبيدهما ازمة الامم ومقاليد الملوك وسلطان الشرق فما كان بأسرع من ان غلبت تلك الامة العربية قيصر واكتسحوا عسكره واستولوا على سلطانه ذلك السلطان الضخم وهدموا قواعده تلك القواعد المحكمة البنيان الشديدة الاركان وقد استغرق تشييدها وإحكامها الوفا من السنين. هذه هي الآية الباهرة والحجة الواضحة والبرهان الساطع والدليل القاطع على احقية دين الاسلام وصدق من جاء به فلقد كان (ص) يعد اصحابه بكل ما شاهدوه من النصر والظهور وستعرف شيئا من ذلك وقد واقع الروم المسلمين عدة وقعات وفي

كل ذلك يكون الظفر للمسلمين واعظم وقعة كانت بينهم وقعة اليرموك وقد كانت هي الوقعة الفاصلة ولم تقم للروم بعدها قائمة وكانت في سنة الثالثة عشرة وسببها ان ابابكر (رض) ارسل الى الشام العساكر مع اربعة من القواد وهم عمرو بن العاص ويزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنه وابو عبيدة بن الجراح كل واحد الى جهة وبلغ هرقل ذلك فنزل بحمص واعد لهم الجنود وعبأ لهم العساكر واراد اشغال بعضهم عن بعض لكثرة جنوده وفضول رجاله فجعل اخاه تذارق قبالة عمرو بن العاص في تسعين الفا وعمرو في خمسة آلاف وجعل جرجة بن توذرا في ستين الفا قبالة يزيد بن ابي سفيان وهو في سبعة آلاف وجعل الدراقص وهو في ثلاثين الفا قبالة شرحبيل بن حسنه وهو في اربعة آلاف وجعل الفيقار وهو في ستين الفا قبالة ابي عبيدة وهو في خمسة آلاف فهابهم المسلمون وهالهم كثرتهم ففزعوا جميعا بالكتب والرسل الى ابي بكر يعلمونه الحال وما دهمهم من امر الروم فكتب اليهم يأمرهم بالإجتماع متساندين باليرموك وليصلي كل رجل منهم باصحابه وبلغ هرقل اجتماعهم فكتب الى بطارقته ان اجتمعوا لهم وانزلوا بالروم منزلا واسع العطن واسع المطرد ضيق المهرب وعلى الناس تذارق وعلى المقدمة جرجه وعلى المجنبتين باهان والدراقص وعلى الحرب الفيقار ففعلوا ما امرهم ونزلوا الواقوصه وهي على ضفة اليرموك وصار الوادي خندقا لهم وهو بعيد القرار لايدرك عمقه وانتقل المسلمون من المكان الذي اجتمعوا فيه ونزلوا عليهم بحذائهم وعلى طريقهم واستبشر المسلمون بذلك وقالوا حصرت والله الروم وما جاء محصور بخير واقاموا بازائهم ثلاثة اشهر لايقدرون من الروم على شيء الخندق للروم امامهم الواقوصة وراءهم وقد كان ابو بكر ارسل الى خالد بن الوليد وهو على حرب العراق قبالة الفرس يأمره باغاثة المسلمين وان يستخلف المثنى بن حارثة الشيباني على جند العراق ويسير الى الشام بمن خف من اصحابه فانتخب خالد ثلاثة آلاف ثم طلب رجلا يدله على اقرب طريق ينتهي به الى المسلمين فدل على رافع بن عميرة الطائي وكان اهدى من القطا فقال له في ذلك فقال

ان هناك طريقا لا يحتمل الاثقال فوالله ان الراكب المخف ليخافه على نفسه فاخاف ان اغرر بالمسلمين فقال خالد لأبد من ذلك لاخرج من وراء جموع الروم لئلا تحبسني عن غياث المسلمين فقال رافع مر صاحب كل جماعة ليأخذ من الماء مقدار شبعة لخمس وان يأخذ من الابل ما يكفي لطعام العسكر وتعطش ثم يسقونها عللا بعد نهل ثم يصروا آذان الابل ويشدوا مشافرها لئلا تجتر ففعلوا فلما ساروا يوما وليلة نحروا عدة من الابل للعسكر واخرجوا ما في كروشها فاطعموه الخيل فلما كان اليوم الخامس وقد نفد الماء ودنا رافع من علمين هناك قال للناس انظروا هل ترون شجرة عوسج كقعدة الرجل فقالوا لا فقال ويحكم امعنوا النظر فقالوا ما نراها فقال انا لله وانا اليه راجعون هلكتم والله وهلكت معكم وكان قد اصابه رمد فذهب نحو العلمين فصوب وصعد ثم كبر فاسرعوا اليه فوجدوه قد اهتدى الى مكان الشجرة وقد كانت بليت فقال احفروا ههنا فخرجت عين فشربوا وحملوا من مائها فقال رافع والله ما وردت هذا الماء قط الا مرة واحدة مع ابي وانا غلام وكان الى جنب هذه العين شجرة من عوسج وان عمره يومئذ لينوف على الخمسين وكان ذلك من الألطاف التي كان يصنعها الله سبحانه للمسلمين اعلاء لكلمتهم وتشييدا لسلطانهم، وصادف وصول خالد للمسلمين وصول باهان للروم فنشط كل واحد من الفريقين بمن وصل اليه للقتال والتقوا فهزمت الروم واعتصموا بخنادقهم والمسلمون لا يقدرون منهم على شيء وبقي الروم على ذلك شهرا والقسيسون والشمامسة والرهبان يحضونهم على القتال وينعون اليهم النصرانية حتى استبصروا فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعده قتال مثله فلما احس المسلمون بخروجهم ارادوا لقاءهم متساندين كل امير من هؤلاء الاربعة على من امر عليهم ولم يكن ابو بكر امرهم بالرجوع والانقياد جميعا الى امير منهم فقام فيهم خالد خطيبا وقال في بعض كلامه ان هذا يوم من ايام الله له ما بعده لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي اخلصوا فيه جهادكم واريدوا الله بعملكم لاتقاتلوا قوما على نظام وتعبئة وانتم على تساند وانتشار فإن هذا ليس برأي فقالوا

فما الرأي فقال ان ابا بكر لم يبعثنا الا وهو يعلم اننا سنتياسر ولا نتعاسر ولو يعلم بما نحن الآن فيه لجمعنا على امير واحد ان الذي انتم فيه لأشد على المسلمين مما دهمهم وانفع للمشركين من امدادهم وان تأمير بعضكم لبعض لا ينقصكم عند الله وعند الخليفة هلموا فلنتعاور الامارة فليكن عليها بعضنا اليوم وبعضنا غدا والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم ودعوني اليوم والامرة فامروه عليهم وهم يرون انها كخرجاتهم وان الامر اطول مما صاروا اليه فخرجت الروم في تعبئة لم ير الراؤون مثلها قط فقال خالد ان عدوكم كثير وانتم قليل ولا شيء اكثر في العين من الكراديس فعبأ العسكر اربعين كردوسا وجعل على كل كردوس اميرا وكان المسلمون تسعة وعشرين الفا والروم مائتين واربعين الفا وكان تذارق قبل الواقعة ارسل رجلا من نصارى العرب من قضاعة وامره ان يتعرف حال المسلمين وما هم عليه ويأتيه بخبرهم فدخل عسكرهم واقام يوما وليلة ثم رجع اليه فقال ما وراءك فقال بالليل رهبان وبالنهار فرسان لو سرق ابن ملكهم لقطعوا يده ولو زنى لرجموه لإقامة الحق بينهم فقال لئن كنت صدقتني لبطن الارض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها ولوددت ان الله يخلي بيني وبينهم فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم علي ثم تزاحف الجيشان واقتتلوا من لدن ارتفاع الشمس الى صباح اليوم الثاني ولم يصل المسلمون الا تكبيرا وربط الروم انفسهم بالسلاسل والعمائم لئلا يفروا وكان المقيد منهم مائة وعشرين الفا. روى الطبري عن عبد الله بن الزبير قال كنت مع ابي عام اليرموك فلما تعبأ المسلمون للقتال قال لمولين له احبسا عبد الله معكما فإنه غلام صغير فلما اقتتل الناس والروم نظرت الى اناس على تل لا يقاتلون فتوجهت نحوهم فاذا ابو سفيان بن حرب في مشيخة من قريش من مسلمي الفتح فلما رأوني رأوا غلاما حدثا فلم يتقوني فجعلوا والله اذا ركب الروم المسلمين يقولون ايه بني الاصفر واذا ركب المسلمون الروم يقولون ويح بني الاصفر فجعلت اعجب منهم ثم هزم الله الروم فاخبرت ابي بذلك فجعل يضحك وقال ابو إلا ضغنا ويلهم نحن والله خير لهم من الروم ولما رأى تذارق قتال العرب وحرصهم على

الموت وما يلقى الروم منهم قال لفوا رأسي فقالوا له لم قال يوم البؤس لا احب ان اراه وما رأيت في الدنيا يوما اشد من هذا واحتز المسلمون رأسه وهو ملفف وتجال اشراف الروم برانسهم ثم جلسوا وقالوا لا نحب ان نرى يوم سوء اذا لم نستطع ان نرى يوم السرور ولم نمنع النصرانية فاصيبوا في تزملهم وتضعضعت اركان الروم وانتقضت صفوفهم ولاذ الفرسان بالفرار لكن منعهم ضيق المسلك فلما رأى المسلمون ذلك اوسعوا لهم وتنحوا عن طريقهم فانهزموا في كل وجه واسلموا الرجالة فلم يفلت منهم احد بين متردى في الوادي وقتيل بالسيف وقتل من الروم يومئذ مائة وثلاثون الفا ومن العرب ثلاثة آلاف ولم تقم للروم بعدها قائمة ولما بلغ خبر الوقعة هرقل وهو بحمص استخلف عليها بعض بطارقته وفر هاربا الى القسطنطينيه وفي تلك الايام مات ابو بكر وقام مقامه عمر فعزل خالدا عن امارة الجيش وولى ابا عبيدة وقد كانت الناس تحدثت بشجاعة خالد وحسن تعبئته للحرب وغشيانه لها فقال عمر حين عزله ليعلم خالد أن الله ناصر دينه ولقد صدق عمر في ذلك وبر فإن المسلمين الذين صحبوا رسول الله (ص) واخذوا تعاليمه واقتبسوا من اخلاقه واستضاءوا بنور هديه ورأوا امير المؤمنين عليا (ع) وحربه ومواقفه وثباته بين يدي رسول الله (ص) حين تتزلزل الاقدام وتشبهوا به وتدربوا على طريقه كل واحد منهم يقوم مقام خالد ويغني غناءه وكذلك كانت العرب ممن لم يصحب رسول الله (ص) يقتدون باصحابه ويعملون عملهم ويتشبهون بهم ليأخذوا بما فاتهم من الحظ وتخطاهم من الاجر فلم يكن احد منهم يحدث نفسه بالفرار اما خشية العار او فرقا من النار. ثم توجه من سلم من الروم يوم اليرموك الى فحل ووقف ابو عبيدة فلم يدر اتوجه بالعساكر نحو دمشق او نحو فحل فاقام حتى اتاه كتاب عمر بأمره بمنازلة دمشق حتى يفتحها الله فإنها عاصمة الروم وحصن الشام وبيت مملكتهم وان يشغلوا اهل فحل بخيل تكون بازائهم ففعلوا ذلك ثم نزلوا على دمشق ومنعوا المدد عنها وحصروها سبعين يوما كاشد ما يكون من الحصار والرمي والمنجنيقات تعمل عملها ولما يئس اهل

دمشق من الغوث والمدد ضعفت نفوسهم ورأى المسلمون وهنا فيهم فاغتنموا اشتغالهم بفرح بوليمة بسبب مولود ولدلأميرهم فتسلقوا سور المدينة وعلوه بالحبال والاوهاق وقتلوا الحرس وفتحوا الابواب وأخذ السيف الروم وولوا الدبر وكان الفتح من جهة خالد ولم يعلم ابو عبيدة بشيء من ذلك فمضى اليه اهل ناحيته فصالحوه فدخلها صلحا ودخل خالد من ناحيته عنوة فكانت دمشق النصف للمسلمين خالصا والنصف الآخر بين المسلمين وبين اهله وعلى ذلك صالح اهله ابا عبيدة فلما فرغوا من دمشق توجه شرحبيل بجنده نحو فحل فلما بلغ اهل فحل توجه المسلمين نحوهم بثقوا المياه حولهم فاغدرت الارض ثم وحلت واغتم المسلمون لذلك اذ لم يقدروا على مهاجمة عدوهم لما دونهم من الاوحال فطال عليهم المقام وكانوا في ارغد عيش واهنئه لتوفر الاقوات عندهم فظن الروم انهم آمنون غافلون وكان اميرهم شرحبيل لا يأمن البيات ولا يبيت الاعلى تعبئة فهجم الروم على المسلمين ليلا وهم حذرون فاوقعوا بهم واقتتلوا قتالا لم يقتتلوا مثله . ليلتهم تلك ويومهم الى الليل فاظلم الليل على الروم ورأوا من صبر العرب وثباتهم ما لا طاقة لهم به وقتل رئيسهم فتحيروا وولوا هاربين وتبعهم المسلمون وهم يظنون انهم على قصد وطريق فوجدوهم حيارى لا يعرفون مأخذهم فاسلمتهم هزيمتهم الى الوحل فركبوه ولحق بهم المسلمون وقد وحلوا فكانوا يحوزونهم ولا يمنعون يد لامس واخذتهم الرماح والسهام من كل مكان فاصيب الثمانون الفا ولم يفلت منهم الا الشديد وقد كان المسلمون كرهوا الوحل فكانت عونا من الله سبحانه لهم على عدوهم ليزدادوا بصيرة في امرهم ويقينا في دينهم وثباتا في جهادهم لطفا من الله سبحانه بهم . ثم توجهوا يحوزون المدن والحصون ليس دونها مانع ودانت لهم سوريا باجمعها وخضعت لهم بالجزية والصغار ملوكها وامراؤها وكان ذلك بمدة لا تزيد على تسعة اشهر هذه جملة من حروبها مع الروم

حربها مع الفرس

لما فرغ المسلمون من فتح سوريا وفر هرقل ومن سلم من بطارقته وارباب

دولته الى القسطنطينيه ولم يبق لهم بها منازع وكان ذالك اول خلافة عمر فندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني الى اهل فارس . يفعل ذلك ثلاثة ايام وفي كل ذلك لا يجيبه احد واحبوا التوجه الى الشام وكان وجه فارس من اكره الوجوه الى العرب واثقلها عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الامم وما لقي العرب منهم ايام سابور فلما كان اليوم الرابع عاد عمر فندب الناس وقال اين عباد الله الصالحون سيروا في الارض التي وعدكم الله ان يورثكموها فإن الحجاز ليست لكم بدار الا على النجعة (١) وقام المثنى بن حارثة وقد كان يتولى حرب فارس مع خالد بن الوليد فقال ايها الناس لا يهولنكم هذا الوجه فإنا قد تبحبحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شقي السواد وشاطرناهم ونلنا منهم واجترأ من قبلنا عليهم ولها ان شا الله ما بعدها فانتدب عندها الناس وخفوا وكان اول من انتدب ابو عبيد الثقفي وهو ابو المختار ثم سليط بن قيس وهو من البدريين ثم تتابع الناس فلما اجتمع ذالك البعث وتكامل قيل لعمر امر عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين او الانصار فقال والله لا افعل بل او تمر عليهم اول من انتدب وهو ابو عبيد الثقفي فولاه امر ذلك الجيش (اقول) وياليته لم يوله وليته ولى سليطا فليس كل من سارع لفعل الخير يليق للرياسة ويصلح للامرة والقيادة فلقد فشل المسلمون بفعل ابي عبيد فشلا ما فشلوا مثله في موقف قط كما ستعرف ولقد كان عمر (رض) صليبا في رأيه خشن الملمس قوي الاراده إن عزم امضى عزيمته وان رأى شيع رأيه ولعل ذلك من لوازم النشاط والحزم ومن ذلك عزله خالدا عن الامرة وهو صاحب ما هو صاحبه وله المواقف المشهورة قبالة الفرس ولقد كان قبل وقعة اليرموك مستوليا على اكثر سواد العراق حتى كانت خيله ربما قاربت المدائن وكانت تمخر دون دجلة وليس لاهل فارس ما بين الحيرة ودجلة امر ولو بقي خالد في العراق مثابرا على عمله لفتحها وازال عنها ملك كسرى وذلك لاختلاف كلمة الفرس وعدم اجتماعهم على ملك بعد موت ازدشير الملك فكانوا يتوجون الملك غدوة

(١) النجعة طلب الكلأ في موضعه

ويعزلونه عشية ويتوجونه عشية ويقتلونه غدوة حتى لم يبق من الاسرة المالكة من يصلح له وفي تلك الايام كانت وقعة اليرموك فاشار عمر على ابي بكر ان يأمر خالد بالتوجه الى الشام لإغاثة من بها من جيش المسلمين فلما اتى خالد كتاب ابي عبيد بذلك قال خالد هذا عمل الاعيسر ابن ام شمله يعني عمر بن الخطاب حسدني ان يكون فتح العراق على يدي[1] انتهى

ولما انتدب الناس للخروج امر عمر المثنى بالتوجه الى عسكره بالعراق واتبعه بابي بكر فوصل المثنى والفرس على اختلافهم وقد ولوا رستم حربهم عشر سنين واليه ينتهي الامر فكاتب رستم اهل السواد ودس اليهم الرؤساء فثاروا بالمسلمين فانحاز بهم المثنى وهو ينتظر قدوم ابي عبيد فإنه الأمير عليه وجعل رستم امر السواد الى جابان فالتقى هو والمسلمون بعد قدوم ابي عبيدة وهزم المسلمون الفرس واصابوا منهم ما شاءوا وابصر رجلان من ربيعة رجلا عليه حلي فشدا عليه فاخذاه اسيرا فوجداه شيخا كبيرا فزهدا فيه واتفقا على ان لأحدهما سلبه وللآخر اُساره فلما خلص الآخر به قال انكم معاشر العرب اهل وفاء فهل لك ان تؤمنني واعطيك غلامين امردين خفيفين في عملك وكذا وكذا درهما فاجابه الى ما سأل فقال ادخلني على اميركم ليكون ذلك بمشهد منه فادخله على ابي عبيد واخبره الخبر فعرفه جماعة منهم وقالوا هذا الملك جابان وهو الذي لقينا بهذا الجمع فقال ابوعبيد لا سبيل لنا عليه بعد ان امنه رجل من المسلمين ثم خلى سبيله وفر من سلم من عسكر جابان نحو كسكر وفيها نرسي ابن خالة كسرى وكانت كسكر قطيعة له وفيها النرسيان[2] له يحميه لا يأكله بشر ولا يغرسه غيرهم الا ملك فارس الا من اكرموه بذلك وهذا الثمر كان حمى للملوك والعرب تعرف ذلك فامر ابو عبيد باتباعهم فالتقوا اسفل من كسكر بمكان السقاطيه واقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزم الفرس وهرب نرسي واستولى ابو عبيد على خزائنه وجمعت الغنائم فرأوا من الاطعمة شيئا عظيما فلم يكن العرب بشيء اشد فرحا منهم

(١) روى ذلك الطبري عن ابن اسحاق (٢) النرسيان بالكسر اجود الثمر

بالنرسيان لانه كان يحميه ويمالئه عليه ملوكهم فاقتسموه وجعلوا يطعمونه الفلاحين ويعثوا بخمسه الى عمر و كتبوا اليه ان الله سبحانه اطعمنا مطاعم كانت الا كاسرة يحمونها واحببنا ان تروها لتذكروا انعام الله وافضاله ولما بلغ رستم ما اوقع المسلمون بعسكره وفرارهم قال اي العجم اشد على العرب فيما ترون قالوا بهمن جاذويه وهو المسمى ذو الحاجب فوجهه ومعه الفيله فاقبل بهمن جاذويه ومعه الراية العظمى لفارس وتسمى درفش كابيان واقبل ابو عبيد نحوه وبينهما الفرات فبعث اليه بهمن اما ان تعبروا الينا وندعكم والعبور واما ان تدعونا نعبر اليكم فنهى الناس ابا عبيد عن العبور فلم ينته فناشده سليط بن قيس ووجوه الناس وقالوا ان العرب لم تلق مثل جنود فارس منذ كانوا وانهم قد حفلوا لنا واستقبلونا بالزهاء والعدة بما لم يلقنا احد منهم بمثلها وقد نزلت منزلا لنا فيه مجال وملجأ ومرجع من فرة الى كرة فقال والله لا افعل . جبنت يا سليط فقال سليط اناوالله اجرأ منك نفسا وقد اشرت عليك بالرأي وستعلم . وقد كان رسول الله (ص) راض اصحابه وخلقهم بهذا الخلق الفاضل وهو شدة الانقياد والاطاعة لمن يؤمر عليهم . روي انه (ص) ارسل سرية الى بعض الوجوه فاراد اميرهم في بعض الطريق ان يمازحهم ويبلو ماعندهم من الطاعة وكان مزاحا فامرهم بجمع الحطب وان يضرموا بها النار ففعلوا فلما تلظت قال الم يأمركم رسول الله (ص) باطاعتي فقالوا نعم قال فالقوا انفسكم في النار فاقبلوا نحوها فلفحت وجوههم فارتدوا ثم اقبلوا يدورون حولها وهم يقولون نعوذ بالله من غضب رسول الله ينتظرون سكونها ليلقوا بانفسهم فيها فلما رأى اميرهم انهم جادون في ذلك امرهم بالكف والرجوع ولما بلغ ذلك رسول الله (ص) غضب حتى احمرت وجنتاه وقال اما لو دخلوها لكانت مثواهم الى يوم القيامة انما الطاعة بالمعروف . وبهذه الاخلاق الفاضلة وامثالها سمت هذه الأمة الى هذه الذروة من العز ولما رأى المسلمون ان اميرهم ابا عبيد لا يرجع عن رأيه اذعنوا له فنهد بهم وعبروا اليهم وعضلت[1] الارض باهلها والحم الناس

(١) ضاقت

الحرب فلما نظرت خيول المسلمين الى الفيلة عليها النخل والخيل عليها التجافيف والفرسان عليهم شعر (١) رأت شيئا منكرا لم تكن ترى مثله فجعل المسلمون اذا حملوا عليهم لم تقدم خيلهم واذا حملوا على المسلمين بالفيلة والجلاجل (٢) فرقت بين كراديسهم لا تقوم لها الخيل الا على نفار وخزنقهم الفرس بالنشاب وعض المسلمين الالم وجعلوا لا يصلون اليهم واشتد الكرب على المسلمين وضاق بهم المطرد فلما رأى سليط مايلقى المسلمون من الفرس قال لابي عبيد هذا عملك قال ماالرأي قال ذهب الرأي وبقي الصبر فترجل ابو عبيد وترجل الناس ثم مشوا اليهم فصافحوهم بالسيوف فجعلت الفيلة لاتحمل على جماعة الا دفعتهم وعليها الصناديق فيها الرماة فنادى ابو عبيد احتوشوا الفيلة واقطعوا بطنها واقلبوا عنها اهلها فاحتوش المسلمون الفيلة ودارت عليهم رحى الموت وواثب هو الفيل الأبيض فتعلق ببطانه فقطعه ووقع الذين عليه وفعل القوم مثل ذلك فما تركوا فيلا الا حطوا رحله وقتلوا اصحابه واهوى الفيل لأبي عبيد فنفح مشفره بالسيف فالقاه الفيل بيده فاصابت ابا عبيد فوقع فخبطه الفيل بيده وقام عليه فاشتدت عنده الحرب وسالت النفوس فلما رأى المسلمون ما فعل بأميرهم خشعت نفوسهم واخذ اللواء من سماه ابو عبيد فقتل ثم آخر فقتل حتى قتل سبعة من حملة اللواء ثم اخذ المثنى اللواء وفر الناس فبدرهم رجل من ثقيف وقطع الجسر غضبا لأبي عبيد وقال ايها الناس موتوا على ما مات عليه اميركم واصبح الفرس يحوشونهم كيف شاءوا والجأوهم الى الجسر فاسرع منهم اناس فتواثبوا في الفرات ففرقوا وحمى المثنى وفرسان من المسلمين بقية العسكر وجاءوا بعلوج من السواد فوصلوا الجسر ونادى المثنى ايها الناس انا دونكم فاعبروا على هينتكم ولا تدهشوا وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس وعبر المثنى وحمى جانبه ورامهم ذو الحاجب فلم يقدر عليهم وقتل من المسلمين اربعة آلاف وفر الفان

(١) شيء يعلم به الفارس
(٢) الجلاجل الأجراس

وبقي مع المثنى ثلاثة آلاف وكان من لطف الله سبحانه بالمسلمين ان اختلف الفرس فيما بينهم واتى الخبر ذا الحاجب باختلافهم على رستم فرجع بجنده وارفض الفرس عن المسلمين وكفى الله شرهم ولولا ذلك لنال المسلمين منهم بلاء لاطاقة لهم به وهذه الوقعة تسمى بوقعة الجسر ثم كانت وقعة البويب

ولما بلغ عمر ما اصاب المسلمين ساءه ذلك وكأنه ندم على ما فعل وقال كل من فر فهو في حل مني «وهيهات ليس له ذلك بل ذلك لله من دونه» ثم وجه بالجنود نحو المثنى وبلغ رستم ذلك فوجه لهم مهران بجيش عظيم يزيد على مائة الف ونزل قبالة المثنى وبينهما الفرات وارسل الى المثنى اما ان تعبروا الينا واما ان نعبر اليكم فقال المثنى اعبروا فعبر مهران ونزل شاطئ الفرات ونادى المثنى انهدوا الى عدوكم فلقيهم الفرس في ثلاثة صفوف مع كل صف فيل ورجلهم امام فيلهم وجاءوا ولهم زجل فقال المثنى للمسلمين ان الذي تسمعون فشل فالزموا الصمت وأتمروا همسا ثم قال اني مكبر ثلاثا ثم احملوا مع الرابعة فلما كبر اول مرة اعجلهم اهل فارس فخالطوهم مع اول تكبيرة ثم اشتد الخطب وعلا الرهج فلما رأى المثنى ان الشدة قد طالت حمل على مهران فازاله حتى دخل في ميمنته ثم خالطوهم واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنبات تقتتل لا يستطيعون ان يفرغوا لنصر اميرهم لا المشركون ولا المسلمون واوجع قلب المسلمين في قلب المشركين وحمل غلام من بني تغلب على مهران فقتله واستوى على فرسه ونادى انا الغلام التغلبي قد قتلت مهران ووقف المثنى حتى اسفر الغبار وقد فني قلب المشركين والمجنبات قد هز بعضها بعضا فلما راوه وقد ازال القلب وافنى اهله قويت مجنبات المسلمين على المشركين واقبلوا يردون الاعاجم على ادبارهم والمثنى يرسل اليهم من يذمرهم ويقول عاداتكم عاداتكم انصروا الله ينصركم حتى هزموهم وسابقهم المثنى الى الجسر فسبقهم واخذ الاعاجم فافترقوا بشاطئ الفرات مصعدين ومصوبين واعنورتهم خيول المسلمين حتى جعلوهم جثاء وتبعوهم الى الليل ومن الغد الى الليل ولم يفلت الا شريد وكان يسمى يوم البويب يوم الاعشار احصي مائة رجل قتل

كل واحد منهم عشرة في المعركة ثم وجه المثنى القواد ومن فر يوم الجسر في اثرهم فاصابوا من الغنائم والسبي شيئا كثيرا ووقع الرعب في قلوب الفرس وكتب القواد الى المثنى ان الله قد سلم وكفى وليس دون القوم شيء فتأذن لنا في الاقدام فاذن لهم فاغاروا حتى بلغوا ساباط المدائن وتحصن اهل ساباط منهم واستباحوا القريات دونها ثم انكفأوا راجعين ولما هلك مهران استمكن المسلمون من الغارة على السواد فيما بينهم وبين دجلة فمخروها مخرا لا يخافون كيدا ولا يلقون مانعا وانتقضت مسالح العجم فرجعت اليهم واعتصموا بساباط وجبر هذا الفتح مصيبة المسلمين يوم الجسر ثم يوم الخنافس

لما نصر المسلمون يوم البويب وامنوا من العدو قال رجل من اهل الحيرة للمثنى الا ادلك على قرية تسمى بغداد تابيها تجار مدائن كسرى والسواد ويجتمعون فيها في كل سنة مرة ومعهم الاموال كبيت المال وهذا وقت اجتماعهم فإن انت قدرت على ذلك كان فيه غنى المسلمين الدهر وقوة على عدوهم فقال كم بينها وبين المدائن قال بعض يوم قال وكيف لي بها قال ان اردت ذلك اخذت طريق البر حتى تنتهي الى الخنافس فان اهل الانبار سيأتون السوق ويخبرون عنك فيأمن الناس ثم عرج على الانبار فتاخذ الدهاقين بالادلاء فتسير سواد ليلتك من الانبار فتصبحهم فتنال ما تريد ففعل ذلك ولما وصل الانبار تحصن صاحبها منه وهو لا يعرفه فلما عرفه نزل اليه فادلعه المثنى وخوفه واستكتمه وقال اني اريد ان اغير فابعث معي الادلاء الى بغداد حتى اغير منها إلى المدائن قال انا اجيء معك قال لا ولكن ابعث من هو ادل منك فزودهم الاطعمة والاعلاف وبعث معهم الأدلاء فلما كانوا منتصف الطريق قال لهم المثنى كم بيني وبين هذه القرية قالوا اربعة فراسخ فنزل ثم قال للقوم اذكوا حرسكم واطعموا وتوضأوا وتهيأوا وبعث الطلائع فحبسوا الناس ليسبقوا الأخبار فلما فرغوا اسرى اليهم آخر الليل فصبحهم في اسواقهم فوضع السيف فيهم وقال المثنى لا تأخذوا الا الذهب والفضة ولا تأخذوا من المتاع الا ما يقدر الرجل منكم على حمله

على دابته وعرب اهل الاسواق وملأ المسلمون ايديهم من الصفراء والبيضاء والحر من كل شيء ثم كروا راجعين فسمع المثنى همسا فيما بينهم فاصغى اليهم فسمعهم يقولون ما اسرع القوم في طلبنا فقال تناجوا بالبر والتقوى ولا تناجوا بالإثم والعدوان انظروا في الامور وقدروها ثم تكلموا انه لم يبلغ النذير مدينتهم بعد ولو بلغها لحال الرعب بينه وبين طلبكم ان للغارات روعات تنتشر عليها يوما الى الليل ولم يطلبكم عدوكم لم يدركم وانتم على الخيل العراب ولو ادركوكم لقاتلتهم لاثنتين التماس الاجر ورجاء النصر وقد نصركم الله في مواطن كثيرة فاحسنوا ظنكم به واتقوه

ثم كانت وقعة القادسية وهي الوقعة العظمى لم يكن قبلها ولا بعدها مثلها وكانت الوقعة الفاصلة وسببها ان اهل فارس لما رأت ما آل اليه امرهم من الوهن وجرأة العرب واقدامهم عليهم وتشاح رستم والفيرزان على رياسة فارس وكان امر فارس اليهما ولكل تبع اجتمع ذوو الرأي منهم وقالوا لرستم والفيرزان لقد فرقتما كلمتنا وشتتما امرنا واطمعتما العدو فينا والله ماجرأ العرب الا خلافكما وهل بعد بغداد وساباط الا المدائن ولئن لم تنتهيا لنبدءن بكما فانتما اعدى اعدائنا فقال الفيرزان ورستم لبوران ابنة كسرى وكان اليها ينتهي امر فارس اكتبي لنا نساء كسرى وسراريه ونساء آل كسرى وسراريهم ففعلت فجمعوهن ولم تبق امرأة الا اثت فسألوهن عن ذكر من ابناء كسرى ووضعوا عليهن العذاب فلم يجدن عندهن منهم احدا وقلن لم يبق الاغلام يدعى يزدجرد من ولد شهريار بن كسرى وامه من اهل بادوريا فارسلوا اليها فاخذوها به فدلتهم عليه وكانت اخفته في ايام شيري حين قتل الذكور من آل كسرى فجاءوا وملكوه عليهم وهو ابن احدى وعشرين سنة واجتمعوا عليه واطأنت فارس واستوثقوا وتبارى الرؤساء في طاعته ومعونته والانقياد لامره وقويت فارس وكتب المثنى بذلك الى عمر فلم يصل الكتاب حتى ارتد اهل فارس وكفروا ونبذ من كان بينه وبين المسلمين من اهل السواد عهده فخرج المثنى ونزل ذاقار واتى كتاب عمر للمثنى بان اخرج

عن ملك فارس الى ادنى بلادهم واقم حتى يأتيك امري وعاجلتهم الاعاجم فزاحفتهم الزحوف وثار بهم اهل الذمة فخرج المثنى بالناس حتى نزل العراق ففرقهم فيه من اوله الى آخره فاقاموا ما بين غضا الى القطقطانه مسالحة وعادت مسالح[1] كسرى وثغوره الى اهلها واستقر امر فارس وهم مع ذلك هائبون والمسلمون متدفقون اليهم قد ضروا بهم كالاسد ينازع فريسته ثم يعاود الكر وامراؤهم يكفكفونهم حتى يأتيهم المدد وخرج عمر حتى عسكر على ماء يدعى صرار وبث الدعاة في العرب يستصرخونهم فنفروا على الصعب والذلول واتاه كل من عنده فرس وكل من يقدر على حمل السلاح ثم جمع وجوه الصحابة فاستشارهم فيما يفعل ايسير بنفسه ام يقيم فبعض اشار بان يسير ويلقى جمع الفرس بجمع العرب واشار علي (ع) عليه بالمقام فرجع الى رأيه وامر سعد بن ابي وقاص على الجيش ثم وجهه نحو العراق في اربعة آلاف ثم اتبعه بالعساكر وامده بالجنود فنزل سعد القادسية وامر الأمراء وعقد الرايات وبث السرايا تغير على اطراف السواد وفي تلك الايام مات المثنى انتقضت عليه جروحه التي اصابته يوم الجسر واوصى بزوجته سلمى الى سعد فقدم اخوه بها على سعد القادسيه ولما توالت الغارات على اهل السواد عجوا بالاستغاثة الى يزدجرد وارسلوا اليه ان العرب قد نزلوا القادسية وان فعلهم لا يبقى عليه شيء وقد اخربوا ما بينهم وبين الفرات وليس فيما هناك انيس الا ما في الحصون وقد ذهب الدواب وكل شيء لم تحتمله الحصون ولم يبق الا ان يستنزلونا فإن ابطأ عنا الغوث اعطيناهم بايدينا وكتب اليه الملوك الذين لهم الضياع بمثل ذلك فازعجوا كسرى يزدجرد واهاجوه فاحضر رستم وفوض اليه امر الجيش فجعل رستم على مقدمته الجالنوس في اربعين الفا وخرج هو في مائة وعشرين الفا كلهم متبوع يتبع الواحد منهم الاثنان والثلاثة الى العشرة ثم ان سعدا اختار من عسكره عشرة رجال ممن لهم مهابة ولاجسامهم منظر ولهم آراء فوجههم ليزدجرد يدعونه الى الإسلام او أداء الجزية اوالإيذان بالحرب

(١) المسالح جمع مسلحة وهي الثغر

فطووا رستم حتى انتهوا الى يزدجرد وتسامع بهم الناس فحضروهم ينظرون اليهم وعليهم المقطعات والبرود وفي ايديهم سياط دقاق وفي ارجلهم النعال وخيلهم تخبط الارض ويوعد بعضها بعضا فلم ير منظر أهيب ولا مشهد أرهب منهم وقد ارتاع الفرس لرؤيتهم فلما دخلوا على يزدجرد امرهم بالجلوس وكان سيء الأدب فقال اني لا اعلم في الارض امة كانت اشقى ولا اقل عددا ولا اسوء ذات بين منكم قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفونكم لا تغزوكم فارس ولا تطمعوا ان تقوموا لهم فإن كان الجهد دعاكم لاقتحام بلادنا فرضنا لكم قوتا الى خصبكم واكرمنا وجوهكم وكسونا كم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم فاجابه المغيرة ابن زرارة الاسدي من بينهم فقال ايها الملك انك وصفتنا بصفة لم تكن بها عالما فاما ما ذكرت من سوء الحال فما كان احد اسوء حالا منا واما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات، فترى ذلك طعامنا واما المنازل فانما هي ظهر الارض ولا نلبس الا ما غزلنا من اوبار الابل واشعار الغنم ديننا ان يقتل بعضنا بعضا ويغير بعضنا على بعض وقد كان الواحد منا يدفن ابنته وهي حية كراهة ان تأكل من طعامه هذه كانت حالتنا ثم بعث الله فينا نبيا فاهتدينا بهديه بعد ان قاسى منا التعب والعنا وآمنا به ورأينا كل ما وعدنا به حقا وامرنا ان ندعو الناس الى ديننا فمن تبعنا كان منا له ما لنا وعليه ما علينا لا فرق بين الملك والسوقة ومن لم يدخل في ديننا دعوناه لاعطاء الجزيه وان نمنعه مما نمنع منه انفسنا ومن ابى جاهدناه ومن قتل منا مضى الى الجنة ومن بقي فاز بالنصر والظفر فلما سمع يزدجرد بالجزية نخر ثم قال لولا ان الرسل لا تقتل لما ابقيت منكم احدا انصرفوا لا شيء لكم عندي الا السيف ثم ان سعد بن ابي وقاص ارسل الى رستم ثلاثة من ذوي الرأي يدعونه الى الله او اداء الجزية او الايذان بالحرب فلما سمع مقالتهم ذكرهم سوء ما كانوا عليه . قال ان الامثال اوضح من كثير من الكلام وضرب لهم امثالا منها انه قال لهم ان رجلا وضع سلة فيها طعام فاتى الجرذان فخرقوا السلة ودخلوا فيها فاراد سدها فقيل له لا تفعل اذا تخرقه

مرة ثانية لكن انقب بحياله واجعل فيها قصبة فاذا دخلها الجرذان وخرجن منها فاقتل كل من خرج منها فانتم اولئك الجرذان واذا ذلك الرجل فما الذي دعاكم الى ما صنعتم ولا ارى عدة ولا عددا فقال القوم اما ما ذكرت من سوء حالنا فيما مضى وانتشار امرنا فلم تبلغ كنهه يموت الميت منا الى النار ويبقى الباقي منا في بؤس فبينا نحن في اسوء ذلك اذ بعث الله فينا نبيا للخلق كافة رحمة لمن اراد رحمته ونقمة لمن رد كرامته فبدأ بنا قبيلة قبيلة فلم يكن احد اشد انكارا لما جاء به ولا اجد على قتاله من قومه ثم الذين يلونهم حتى طابقناهم جميعا على قتاله فنصبنا له الحرب وهو فرد ليس معه الا الله تعالى فاعطي الظفر علينا فدخل بعضنا طوعا وبعضنا كرها ثم عرفنا جميعا الحق والصدق لما اتانا به من الآيات واجتمعت كلمة العرب على ذلك وكانوا من اختلاف الرأي على ما لا يطيق الخلائق تاليفهم ثم اتيناكم بأمر ربنا نجاهد في سبيله وندعوكم الى الاسلام وحكمه فان اجبتمونا تركناكم ورجعنا وخلفنا فيكم كتاب الله وان ابيتم لم يحل لنا الا قتالكم او تفتدوا منا بالجزاء واما ما ذكرت من قلتنا وركاكتنا فإن اداتنا الطاعة وقتالنا الصبر واما ما ضربت لنا من الامثال فلم تصب مثلنا ومثلكم وانما مثلنا ومثلكم مثل رجل غرس ارضا بعد ان اختار لها الاشجار واجرى اليها الانهار وزينها بالقصور واقام فيها فلاحين يسكنون قصورها ويقيمون على جناتها فاقاموا على ذلك ردحا من الدهر ثم اخلفوه في قصوره بما لا يحب واهملوا عمارة الجنات وحقروا نعمته عليهم فاطال نظرتهم فلما لم يستحيوا من تلقاء انفسهم استعتبهم فكابروه فدعا اليها غيرهم واخرجهم منها فإن ذهبوا عنها تخطفهم الناس وان اقاموا فيها صاروا خولا لهؤلاء يملكونهم فهذا مثلنا ومثلكم فقال رستم اتعبرون الينا ام نعبر اليكم فقالوا بل اعبروا الينا فرجعوا الى سعد فاخبروه بما دار بينهم فارسل سعد الى الناس ان قفوا مواقفكم وارسل الى رستم شانكم والعبور فارسل اليه رستم تنحوا لنا عن القنطرة فقال لا ولا كرامة اما شيء قد غلبناكم عليه فلا نرجعه اليكم ابدا تكلفوا معبرا غير القناطر فاتوا ليلتهم يسكرون العتيق بالتراب والقصب والبراذع

حتى ارتفاع النهار ولما عبر اهل فارس اخذوا مصافهم وجلس رستم على سريره وضرب عليه طيارة وعبى في القلب ثمانية عشر فيلا عليها الصناديق فيها الرجال ويتبع كل فيل منها اربعة آلاف مقاتل وفي المجنبتين ثمانية وسبعة كذلك عليها الصناديق وفيها الرجال ويتبع كل فيل اربعة آلاف مقاتل ونظم الملك يزدجرد الرجال مابين ايوانه وسرير رستم وابطل البريد فلا يتكلم رستم بكلمة الاوتكلم بها الذي ببابه ثم الذي يليه حتى تصل الى يزدجرد باقرب وقت وكلما عمل رستم عملا بلغ الملك ولما اصطف المسلمون للقتال قام فيهم الخطباء يشوقونهم الى الجنة ويبشرونهم بالظفر والنصر ان صبروا وقرئت سورة الانفال على كل كتيبة كتيبة فخشعت القلوب ونزلت عليهم السكينة واشتاقوا الى لقاء الله واستخلف سعد خالد ابن عرفطه على الناس واعلمهم ان رأيه رأي خالد وامرهم باطاعته وقال ان ما يأمركم به فعن امري وتخلف هو في قصر هناك ثم قال لا تنشبوا الحرب حتى نصلي الظهر فلما فرغ من صلاة الظهر قال اني مكبر فاذا سمعتم التكبير فكبروا وشدوا شسوع نعالكم فاذا كبرت الثانية فكبروا وتهيأوا فاذا كبرت الثالثة فكبروا وشدوا النواجذ على الاضراس واحملوا حتى تخالطوهم فلما كبر الثالثة تزاحف الناس وقيل العجم ان حد العرب عند بجيلة فتوجهوا اليهم بجدهم ووجهوا اليهم ستة عشر فيلا فحملت على المسلمين ففرقت بين الكتائب وابذعرت الخيل ونفرت من الفيلة وبقيت الرجالة فاخذها نشاب الاعاجم وحطموهم حتى كادت بجيلة ان تؤكل فارسل سعد الى بني اسد ان ذبوا عن بجيلة ومن لافها من الناس فخرج طليحة بن خويلد وجمال ابن مالك وغالب بن عبد الله والرئبيل بن عمرو في كتائبهم فباشروا الفيلة حتى عدلها ركبانها وان على كل فيل عشرين رجلا وقال الاشعث حين رأى صبر بني اسد وشدة جلادهم يا معشر كندة لله در بني اسد اي فري يفرون واي هد يهدون عن موقفهم منذ اليوم اغنى كل قوم ما يليهم وانتم تنظرون من يكفيكم البأس اشهد ما احسنتم اسوة قومكم العرب اليوم وانهم ليقتلون ويقاتلون وانتم جثاة على الركب تنظرون فقام اليه منهم عشرة قالوا عثر الله جدك انك لتؤيسنا جاهدا ونحن احسن الناس موقفا فاين خذلاننا قومنا فهانحن معك فنهد ونهدوا فازالوا الذين بازائهم فلما رأى اهل فارس ما تلقى الفيلة من كتيبة بني اسد رموهم بجدهم وبادروا المسلمين

الشدة وعليهم ذو الحاجب والجالينوس فاجتمعت حلبة فارس على اسد ومعهم تلك الفيلة وقد ثبتوا لهم وان رحى الموت لتدور على اسد وحملت الفيول على الميمنة والميسرة على الخيول فكانت الخيول تحجم عنها وتحيد وتلح فرسانهم على الرجل يشمسون بالخيل فارسل سعد الى عاصم بن عمرو فقال يا معشر بني تميم الستم اصحاب الابل والخيل اما عندكم لهذه الفيلة من حيلة قالوا بلى والله ثم نادى في رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة فقال لهم يامعاشر الرماة ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وقال يا معاشر اهل الثقافة استديروا الفيلة فاقطعوا وضنها وخرج يحميهم والرحى تدور على اسد وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد واقبل اصحاب عاصم على الفيلة فاخذوا باذنابها وذباذب توابيتها فقطعوا وضنها وارتفع عواؤها فما بقي لهم يومئذ فيل الا اعري وقتل اصحابها وتقابل الناس ونفس عن اسد وردوا فارسا عنهم الى مواقفهم واقتتلوا حتى ذهبت هدأة من الليل ثم رجع هؤلاء وهؤلاء واصيب من اسد تلك العشية خمسمائة وكانوا ردأة للناس وهذا يومها الاول وهو يوم ارماث . وكان سعد قد تزوج سلمى امرأة المثنى بن حارثة فلما كان يوم ارماث وجال الناس وكان سعد لا يطيق الجلوس فجعل يتململ ويجول جزعا فوق القصر فلما رأت سلمى ما يصنع اهل فارس بالمسلمين قالت وامثنياه ولا مثنى للخيل اليوم وهي عند رجل قد اضجره ما يرى من اصحابه فلطم وجهها وقال اين المثنى من هذه الكتيبة التي تدور عليها الرحى فقالت اغيرة وجبنا فقال والله لا يعذرني اليوم احد ان لم تعذريني فتعلق الناس بها وعيره بالجبن جماعة . ولعمري ما كان سعد جبانا وانه ممن ثبت مع رسول الله (ص) يوم احد ولما اصبح القوم من الغد اصبحوا على تعبئة واتاهم المدد من الشام ستة آلاف مع هاشم بن عتبة المرقال فسرح هاشم القعقاع بن عمرو وقد كان على مقدمته وامره بالتعجيل امامه وكان في الف فارس فقدم يوم اغواث وقد عهد الى اصحابه ان يتقطعوا اعشارا فكلما بلغ عشرة مد البصر سرحوا في آثارهم عشرة فلما وصل سلم عليهم وبشرهم بالمدد فقويت نفوسهم ثم قال اصنعوا كما اصنع ثم تقدم فنادى من يبارز فخرج اليه ذو الحاجب فقال من انت قال انا بهمن جاذويه فنادى يا لثارات ابي عبيد وسليط واصحاب يوم الجسر فاجتلدا بسيفيهما مليا ثم قتله القعقاع وجعلت خيله ترد قطعا وما زالت ترد الى الليل وانكسرت الاعاجم بقتل بهمن ونادى القعقاع ايضا من يبارز فخرج اليه رجلان احدهما البيرزان والآخر البندوان وانضم الى القعقاع الحارث ابن ظبيان فبارز القعقاع البيرزان فضربه فاذرى رأسه وبارز ابن ظبيان البندوان فضربه

فاذرى رأسه وتوردهم فرسان المسلمين وجعل القعقاع يقول يا معاشر المسلمين باشروهم بالسيوف فإنما يحصد الناس بهسا فتواصى الناس وتشايعوا اليهم فاجتلدوا بها حتى المساء فلم ير اهل فارس في هذا اليوم شيئاً مما يعجبهم واكثر المسلمون فيهم القتل ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل كانت توابيتها تكسرت بالامس

وحمل بنو عم القعقاع يومئذ الرجال على الجمال وقد البسوها فهي مجللة مبرقمة واطافت بهم خيولهم يحمونهم وامروهم ان يحملوا على خيل الاعاجم يتشبهون بالفيلة ففعل المسلمون يوم اغواث كما فعلت فارس يوم ارماث فجعلت تلك الابل لا تصمد لقليل ولا لكثير الا نفرت بهم خيلهم وركبتهم خيول المسلمين فلما راى ذلك الناس استنوا بهم فلقي الفرس من الابل يوم اغواث اعظم مما لقي المسلمون من الفيلة يوم ارماث وقاتلت الفرسان يوم اغواث من لدن الصباح الى انتصاف النهار فلما انتصف النهار تزاحف الناس فاقتتلوا بها صتيتا[1] حتى انتصف الليل والظفر للمسلمين وقتلوا فيه عامة اعلام الفرس وجالت فيه خيل القلب وثبت الرجالة فلولا ان خيلهم كرت بعد جولتها لاخذ رستم اخذا ولم يزل المسلمون ينتمون من لدن امسوا حتى تراجعوا واصبحوا في اليوم الثالث وهم على مواقفهم وقد قتل من المسلمين الفان ومن الفرس عشرة آلاف وبات القعقاع ليلته كلها يسرب اصحابه الى المكان الذي فارقهم فيه بالامس ثم قال اذا طلعت لكم الشمس فاقبلوا مائة مائة كلما توارى عنكم مائة فليتبعها مائة فإن جاء هاشم فذاك والا جددتم للناس رجاء وجدا ففعلوا ولا يشعر بذلك احد واصبح الناس على مواقفهم فلما ذر قرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيل وطلعت نواصيها كبر وكبر الناس وقالوا جاء المدد وكان من توفيق الله سبحانه ان عاصما ايضا فعل فعلة اخيه القعقاع فعندها تكتبت الكتائب واختلف الطعن والضرب ومدد المسلمين متتابع وتكبيرهم متواتر فما جاء آخر اصحاب القعقاع حتى انتهى اليهم هاشم المرقال فأخبره بفعل القعقاع فسرح هاشم اصحابه سبعين سبعين وقد كان المشركون باتوا ليلتهم في اصلاح توابيت الفيلة حتى اعادوها واقبلت الفيلة معها الرجالة يحمونها ان تقطع وضنها ومع الرجالة فرسان يحمونهم اذا ارادوا كتيبة دلفوا اليها بفيل واتباعه لينفروا بهم خيلهم وهذا اليوم يدعى يوم عماس وكان من اشد الأيام فلولا ما الهمه الله من القعقاع من الحيلة ووصول هاشم لكسر المسلمون فلقد صبر فيه الفرس ونالوا من المسلمين مثل ما نال المسلمون منهم وخرجوا على السواء . روى الطبري قال خرج يوم عماس فارس من العجم تهدر شقاشقه وهو

[1] اي يدفع بعضهم في صدر بعض

ينادي من يبارز فلم يجبه احد فخرج رجل يقال له شبر بن علقمة وكان قصيرا قليلا دميما فقال يا معشر المسلمين قد انصفكم الرجل فلم يجبه احد وقال اما والله لولا ان تزدروني لخرجت اليه فلما رأى ان ذلك لايجدي اخذ سيفه وحجفته وتقدم فلما رآه الفارس هدر ثم نزل اليه فاحتمله ثم القاه وجلس على صدره ثم اخذ سيفه ليذبحه ومقود فرسه مشدود بمنطقته فلما رفع السيف حاص الفرس حيصة جذبه بها المقود فقلبه عنه والقاه على ظهره فقام اليه شبر وجلس على صدره فجعل اصحابه يصيحون به فقال صيحوا مابدالكم فوالله لا افارقه حتى اقتله واسلبه فذبحه وسلبه ثم اتى به سعدا فنفله سلبه فباعه باثني عشر الفا ولما رأى سعد يوم عماس عمل الفيلة وتفريقها كتائب المسلمين وما يلقى المسلمون منها ارسل الى جماعة من اهل فارس قد كانوا اسلموا فسألهم عن الفيلة هل لها مقاتل فقالوا نعم المشافر والعيون لا ينتفع بها بعدها فأرسل الى القعقاع واخيه وعاصم واعلمهم ذلك وقال الحقياني اكفياني الفيل الأبيض وكانت كلها الفة له فأخذ القعقاع وعاصم رمحين اصمين لينين ودبا في خيل ورجل فقالا اكتنفوه لتحيروه وهما مع القوم فلما خالطوه اكتنفوه فجعل الفيل ينظر يمنة ويسرة يريد أن يتخبط فحمل القعقاع وعاصم والفيل متشاغل بمن حوله فوضعا رمحيهما معا في عيني الفيل الابيض فقبع ونفض رأسه فطرح سائسه ودلى مشفره ففتحه القعقاع فرمى به ووقع لجنبه وقتلوا من كان عليه وقال رجلان من بني اسد يقال لهما الربيال وحمال يا معشر المسلمين اي الموت اشد فقالوا ان يشد على هذا الفيل الاجرب فإن الفيلة تتبعه فارتقيا فرسيهما حتى اذا اقاما على السنابك ضرباهما على الفيل الذي بازائهما فطعن احدهما في عين الفيل فوطأ الفيل في خلفه وضرب الآخر مشفره وصاح الفيلان صياح الخنزير ثم ولى الاجرب الذي عور فوثب من العتيق وتبعته الفيلة فخرقت صف الأعاجم وعبرت العتيق في اثره فأتت للمدائن في توابيتها وهلك من فيها فلما ذهبت الفيلة وخلص المسلمون بأهل فارس ومال الظل تزاحف المسلمون وحماهم فرسانهم فتجالدوا بالسيوف وهم في ذلك على السواء لان المسلمين حين فعلوا بالفيلة ما فعلوا فعل اهل فارس بكتائب الإبل المجففة التي كانت العرب تقيمها مقام الفيلة بأن عرقبوها وكفكفوا عنها ولم يزل القتال يشتد الى الليل ثم تحاجزوا فلما صلوا العشاء الآخرة حمل القعقاع من ناحيته فزاحفهم بغير اذن سعد فقال اللهم اغفرها له فقد اذنت له والناس على مواقفهم وهم ثلاث صفوف فصف فيه الرجالة اصحاب السيوف والرماح وصف فيه المرامية وصف فيه الخيول وهم امام الرجالة وكذلك الميمنة والميسرة وقال سعد ان الامر ماصنعه القعقاع ثم تسابقت

الامراء. وقامت الخطباء يحرضون الناس وقالوا يامعشر العرب انه لا ينبغي ان يكون هؤلاء القوم اجرأ على الموت ولا اسخى انفسا عن الدنيا فلا تجزعوا من القتل فانه اماني الكرام ومنايا الشهداء. وانما امامكم احدى الحسنيين اما النصر او الشهادة والجنة وامثال ذلك ثم ترجل الامراء واهل النجدات من سائر القبائل وقامت الحرب على ساق فكان صليل الحديد فيها كصوت القيون(١) ليلتهم حتى الصباح افرغ عليهم فيها الصبر افراغا وراى العرب والعجم امرا لم يروا مثله قط وانقطعت الاصوات والاخبار عن رستم وسعد

وكان كلامهم تلك الليلة الى الصباح هريرا من الاعياء. فكانت تسمى ليلة الهرير وليلة القادسية من بين تلك الايام واصبحوا والناس حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها وسار القعقاع في الناس وقال ان الدبرة بعد ساعة لمن بدء فاصبروا ساعة ثم احملوا فان النصر مع الصبر فآثروا الصبر على الجزع فلما اجتمع اليه جماعة من الرؤساء صمد بهم نحو رستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح فلما رأت رؤساء القبائل ما فعل القعقاع اخذوا يتبارون ومشوا بالسيوف وقد لاح للمسلمين الظفر واستنشقوا ريح الفوز والنصر فكان اول من زال حين قام قائم الظهيرة الهرمزان والبيرزان فتاخرا وثبتا حيث انتهيا وانفرج القلب وركد عليهم النقع وهبت ريح عاصف فقطعت طيارة رستم فهوت في العتيق وكانت الريح دبورا ومال الغبار عليهم وانتهى القعقاع ومن معه الى سرير رستم فعثروا به وقد قام رستم عنه الى بغال قد قدمت عليه بمال يومئذ فاستظل بظل بغل وحمله فضرب هلال بن علفة الحمل الذي رستم تحته فوقع احد العدلين عليه ولا يراه هلال ولا يشعر به فازال فقار ظهره ويضربه هلال ضربة نفحت منها رائحة المسك ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه واقتحمه هلال عليه فتناوله وقد عام واخذ برجله ثم ضربه بسيفه فقتله ثم صعد السرير ونادى قتلت رستم ورب الكعبة. الي فاطافوا به وما يحسون السرير وكبروا وتنادوا ونبث قلب المشركين عندها وانهزموا وقام الجالينوس على الردم ونادى اهل فارس الى العبور وكان من اهل فارس ثلاثون الفا قد تحالفوا وتعاقدوا على الموت وربطوا انفسهم بالسلاسل كي لا يفروا فلما كانت الهزيمة تهافتوا في العتيق فوخزهم المسلمون برماحهم فما افلت منهم احد واخذ ضرار بن الخطاب درفش كابيان(٢) فعوض منها ثلاثين الفا وكان قيمتها الف الف ومائتي الف ثم تبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاءوا وكان يومي الرجل منهم الى الفارس فيأتي اليه فيقتله ويومي الى الاثنين فيأتيا فيأمر احدهما بقتل الآخر فيقتله ولقد كان الفارس

(١) الحدادون (٢) وهي راية فارس العظمى

من المسلمين يجوز الاربعين والخمسين فلا يمتنع منهم عليه احد واحرزوا من الغنائم ما يضيق عنه الاحصاء وكانت الناس ينتظرون بشبات دولة العرب أوزوالها وقعة القادسية لما يعلمونه من قوة فارس وعدتها وما سمعوه من حشدها لحرب المسلمين ولم يكن يشبهشيء من الحرب المتقدمة وكان الرجل اذا اراد امرا يقول لا انظر فيه حتى ارى مايكون من أمر القادسية ثم مضى من بقي من فارس نحو المدائن فوجه سعد في أثرهم زهرة بن حويه التميمي فلقيهم شهريار بجيش وكان مرابطا دون مدينة بهرسين وفيها يزدجرد في بقية جند فارس وكان شهريار اشد فارسي روي فبرز بين الصفين ونادى الا رجل الا فارس منكم شديد عظيم يخرج الي حتى انكل به فقال زهرة لقد اردت ان ابارزك فاما اذا سمعت قولك فاني لا اخرج اليك الا عبدا فان اقمت له قتلك ان شاء الله وان فررت منه فانما فررت من عبد وكايده بذلك ثم امر أبانباته نائل بن جعشم وكان من شجعان بني تميم فخرج اليه ومع كل واحد منهما الرمح وكلاهما وثيق الخلق الا ان شهريار مثل الجمل فلما رأى نائلا القى الرمح ليعتنقه والقى نائل رمحه وانتضيا سيفيهما فاجتلدا مليا ثم تعانقا فخرا عن دابتيهما فوقع على نائل كأنه بيت فضغطه بفخذه واخذ الخنجر واراد حل ازرار درعه فوقعت ابهامه في فم نائل فحطم عظمها ورأى منه فتورا فثاوره فجلد به الارض ثم قعد على صدره وذبحه بخنجره فانكشف اصحابه وذهبوا في الفلاة بغير قتال ثم توجه المسلمون الى بهرسير وهي من احصن مدن فارس وكان كلما قدمت خيل على بهرسير وقفوا وكبروا فاقاموا على حصارها شهرين وبها الملك يزدجرد فاشرف عليهم يوما رسول الملك فقال ان الملك يقول لكم هل لكم الى المصالحة على ان لنا ما يلينا من دجلة الى جبلنا ولكم ما يليكم من دجلة الى جبلكم اما شبعتم لا اشبع الله بطونكم فبدر الناس رجل يسمى الاسود بن قطبه فاجاب الرسول بما لم يفهمه احد وقيل للاسود بما اجبته فقال والله لا ادري الا ان شيئا انطقني الله به وارجو ان يكون خيرا فرجع الرجل ورأى المسلمون اهل فارس يقطعون الى المدائن وجعل الناس يسألون الاسود عما قال للفارس وشاع قوله في العسكر حتى انتهى الى سعد فاحضره وسأله عما قاله للرسول فاقسم انه لا يعرف لما قاله معنى وانما هو شيء جرى على لسانه فعندها امر سعد الناس ان انهدوا اليهم فاقبلوا يرمونهم بالمنجنيق فلم يظهر لهم احد الا رجل نادى بالامان فامنوه فقال ليس بالمدينة احد يمنعكم فدخلها المسلمون وسأل سعد ذلك الرجل فقال لاي شيء هربوا فقال ان الملك بعث اليكم يعرض عليكم الصلح فاجبتموه

بانه لا يكون بيننا وبينكم صلح ابدا حتى تأكل عسل افريذين باترج كوثى فقال الملك ويلي من اين تعرف العرب هذا الا ان الملائكة لتتكلم على السنتهم وتجيبنا عنهم اعبروا بنا الى المدينة القصوى فعبروا ولما دخل سعد بهرسير وتحول العسكر اليها وكان ذلك ليلا وقد لاح لهم الابيض وهو الايوان فقال ضرار بن الخطاب الله اكبر ابيض كسرى هذا ما وعد الله ورسوله وتابعوا التكبير حتى اصبحوا ولما نزل سعد بهرسير وهي المدينة الدنيا طلب السفر ليعبر بالناس الى المدينة القصوى وفيها دور آل كسرى وايوانه فلم يقدر على شيء ووجدهم قد ضموا السفن واحرزوها والناس يريدونه على العبور فيمنعه الابقاء على المسلمين حتى جاءه دهقان وقال له ما تنتظر بالعبور لا ياتي عليك ثالثه حتى يذهب يزدجرد بكل شيء في المدائن فعزم عند ذلك على العبور وجمع الناس وقال بعد كلام اني قد عزمت على ركوب هذا البحر اليهم فقالوا جميعا عزم الله لنا والك على الرشد فافعل فقال من ينتدب ويحمي لنا الفراض (١) حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من الخروج فانتدب له عاصم بن عمر التميمي ومعه ستمائة من اهل الباس والنجدة فاستعمل عليهم عاصما فسار فيهم حتى وقف على شاطئ دجلة وانها لترمي بالزبد وقد طفت فقال من ينتدب معي لنمنع الفراض من عدوكم ولنحميكم حتى تعبروا فانتدب له ستون فجعلهم نصفين على خيول إناث وذكور ليكون اسلس لعوم الخيل ثم اقتحموا دجلة واقتحم بقية الستمائة على اثرهم فلما رآهم الاعاجم وما صنعوا اعدوا للخيل امثالها فاقتحموا دجلة فاعاموها اليهم فلقوا عاصما في السرعان وقد دنا من الفراض فقال الرماح الرماح اشرعوها وتوخوا العيون فتطاعنوا وتوخى المسلمون عيونهم فولوا الادبار والمسلمون يشمصون (٢) بهم خيلهم ما يملك رجالها منع ذلك منها فلحقوا بهم في الجد (٣) فقتلوا عامتهم وتلاحق الستمائة بأوائلهم الستين غير متعتعين ولما رأى سعد عاصما على الفراض قد منعها اذن للناس بالعبور وقال قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وتلاحق معظم العسكر فركبوا اللجة وان دجلة لترمي بالزبد وانها لمسودة بالناس وانهم ليتحدثون في عومهم كما يتحدثون في مسيرهم على الارض فتفاجأوا اهل فارس بامر لم يكن في حسابهم فاجهضوهم واعجلوهم عن جمهور اموالهم ولما رأى بعضهم المسلمين قد ركبوا الماء قال بالفارسية ديوان آمد (٤) وقال بعضهم

(١) الفراض قرهة النهر (٢) اي يتخسونها بالرماح (٣) شاطئ النهر (٤) يعني جاء المجانين

والله انما تقاتلون الجن وخرج المسلمون من دجلة ولم يصب منهم احد ولا فقدوا شيئا الا قدح لرجل من جديلة كانت علاقته رثة فانقطعت وذهبت بالماء فقال له رجل الى جنبه معيرا له اصابه القدر فطاح فقال والله ما كان الله ليسلبني قدحي من بين اهل العسكر فلما عبروا اذا رجل ممن كان يحمي الفراض قد ابصره على الشاطئ فجاء به فعرفه فاخذه صاحبه وجاء به الى من عبره ولما خرجوا اقبلت خيلهم تنفض اعرافها وظها صهيل فلما رأى الفرس ذلك انطلقوا ولا يلوون على شيء وكان الذي يساير سعدا بالماء سلمان الفارسي وسعد يقول حسبنا الله ونعم الوكيل فقال له سلمان الإسلام جديد ذللت لهم والله البحور كما ذلل لهم البراما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه افواجا كما دخلوا فيه افواجا ولم يكن للمسلمين يوم اعظم ولا اعجب من يوم الماء وكان يدعى يوم الجراثيم كان اذا اعيا الفرس انشزت له جرثومة يريح عليها وكان يزدجرد قد اخرج عياله الى حلوان فلما عبر المسلمون دجلة لحق بحلوان وتبعه بقية الجند واعجلهم المسلمون عن نقل اموالهم الا ما خف حمله وتركوا من الثياب والمتاع والآنية والفضول والالطاف ما لا يدرى مقداره وخلفوا ما كانوا اعدوا للحصار من البقر والغنم والاطعمة والاشربة وتوجه قُلهم الى النهروان وفيه بيت المال وكان فيه ثلاثة آلاف مليون درهم اخذ رستم معه لحرب القادسية نصفه وبقي النصف فغنم ذلك المسلمون وكان اول من دخل المدائن كتيبة الاهوال (١) ثم بعدها الخرساء (٢) فاخذوا في سككها لا يلقون فيها احدا ولا يحسونه الا من كان في القصر الابيض فاحاطوا به ودعوهم فاستجابوا لسعد على الجزاء والذمة وتراجع اليهم اهل المدائن على مثل عهدهم ولما نزل سعد القصر الابيض وهو ايوان كسرى قدم زهرة بن حوية وامره ان يبلغ النهروان ويبعث في كل وجه مقدار ذلك لنفي المشركين وجمع الفيوء وامر بجمع ما في القصر والايوان والدور وإحصاء ما يأتي به الطلب وقد كان اهل المدائن تناهبوا عند الهزيمة غارة ثم طاروا في كل وجه فما افلت احد منهم اشيء الح عليهم الطلب فتنفذوا جميع ما في ايديهم وضموه الى ماقد جمع وكان اول شيء يومئذ ما في القصر الابيض ومنازل كسرى وسائر دور المدائن وأتوا في المدائن على قباب تركية مملوءة سلالا مختومة بالرصاص فحسبوها طعاما ففضت فاذا هي آنية الذهب والفضة فقسمت على الجيش وروي بعضهم ومعه إناء من ذهب وهو يقول من يشتري هذين بإناء ابيض يعني الفضة وكان سلمان الفارسي (رض) رائد المسلمين وداعية اهل فارس فلما دخل المسلمون المدائن

(١) هي كتيبة عاصم بن عمرو التميمي (٢) هي كتيبة القعقاع بن عمرو

وتحصن من بقي بها بالقصر الابيض فاداهم سلمان اني منكم في الاصل وانا ارق لكم وارأف بكم ونحن ندعوكم الى احدى ثلاث ان تدخلوا في ديننا فتكونوا اخواننا لكم ما لنا وعليكم ما علينا او اداء الجزية او الحرب وقد اجلتكم ثلاثا فلما كان اليوم الثالث نزلوا على اداء الجزية ولما خرج زهرة في اثرهم انتهى الى جسر النهروان وقد ازدحموا عليه فوقع بغل في الماء فاجتمع جماعة لإخراجه واراد زهرة تركهم فلما رأى تكالبهم قال ما صبر هؤلاء لحد السيوف الا لأمر وإن لهذا البغل لشانا واقبل نحوهم فقروا وتركوا البغل فامر باخراجه واذا عليه حلية كسرى ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التي كان فيها الجوهر وكان يجلس فيها للمباهاة وقال بعضهم رأيت بغلين قد ردا الناس عنها بالنشاب فدنوت منهما ولم يبق معهما غير سهمين فرميا بهما فدنوت منهما وقتلتهما واخذت البغلين ودفعتهما لصاحب الاقباض فاذا سفطان على احد البغلين فيهما تاج كسرى مفسخا وكان لا يحمله الا اسطوانتان وفيهما الجوهر واذا على الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى التي كان يلبسها من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر وخرج القعقاع في الطلب فلحق بفارس يحمي الناس فاقتتلا فقتله واذا معه عيبتان وغلافان في احدهما خمسة اسياف وفي الآخر ستة اسياف وفي العيبتين ادراع درع كسرى ومغفره وساقاه وساعداه ودرع هرقل ودرع خاقان ودرع داهر ودرع بهرام ودرع سياوخش ودرع النعمان واذا الاسياف فيها سيف كسرى وهرمز وقباذ وفيروز وهرقل وخاقان وذاهر وبهرام والنعمان فجاء بذلك الى سعد فقال له اختر فاختار سيف هرقل ودرع بهرام وقال بعضهم انتهيت الى رجلين يسوقان حمارين فانتهيا الى جدول قد كسر جسره فلما دنوت منهما فر احدهما وثبت الآخر فرماني فاخطأني وضربته بالسيف فقتلته واستقت الحمارين الى صاحب الاقباض فنظر على احدهما فاذا سفطان في احدهما فرس من ذهب مسرج بسرج من فضة على ثغره ولبيه الياقوت والزمرد منظوم على الفضة ولجام كذلك وفارس من فضة مكلل بالجوهر واذا في الآخر ناقة من فضة عليها شليل من ذهب وبطان من ذهب ولها زمام من ذهب وكل ذلك منظوم بالياقوت واذا عليها رجل من ذهب مكلل بالجوهر وكان كسرى يضعهما الى اسطوانتي التاج وجاء صاحب الاقباض رجل بحق فدفعه اليه فقال هو والذين معه ما رأينا مثل هذا قط ما يعدله عندنا شيء ولا يقاربه فهل اخذت منه شيئا فقال والله لولا الله ما اتيتكم به فقالوا من انت فقال لا اعلمكم لتحمدوني ولا غيركم ليطريني

ولكنني ارضى بثواب الله ولما رأى سعد ما يجلب اليه من الاموال والتحف قال انها الامانة ولولا ما سبق لاهل بدر لقلت لهم فضلهم ومما اصابه المسلمون بهار كسرى وهو بساط طوله ستون ذراعا وعرضه كذلك وكان اذا اراد الشرب في غير ايام الربيع جلس هو وخاصته عليه فكأنهم في رياض فيه طرق كالصور وفصوص كالانهار وخلال ذلك كالدير وفي حافاته كالارض المزروعة والارض المبقلة بالنبات كل ذلك بانواع الجوهر ولما اتي عمر بحلي كسرى دعا سراقة بن مالك وكان اجسم عربي فالبس تاج كسرى على عودين من خشب وصب عليه اوشحته وقلائده وثيابه واجلس للناس فنظر اليه عمر ونظر اليه الناس فرأوا امرا عظيما من امر الدنيا وفتنتها فقال سراقة اشهد ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر قصة(١) له ثم وقعت وقعة جلولاء وسببها ان الاعاجم لما فروا من المدائن انتهوا الى جلولاء وقالوا افترقتم لم تجمعوا ابدا وهذا مكان يفرق بيننا هلموا فلنجتمع للعرب فان كانت لنا فهو ما نريد وان كانت الاخرى كنا قد قضينا الذي علينا وابلينا عذرا فحفروا الخندق واجتمعوا على مهران وامدهم يزدجرد بالاموال والرجال فاخبر سعد عمر بذلك فامره ان يسرح هاشم المرقال في اثرهم ففصل هاشم من المدائن في اثني عشر الفا منهم وجوه المهاجرين والانصار واعلام العرب فوصلوا الى جلولاء واحاطوا بخندقهم وزاحفهم المسلمون ثمانين زحفا في كل ذلك لهم الظفر ثم اقتحم المسلمون عليهم الخندق واقتتلوا قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله الا ليلة الهرير الا ان هذا كان اكمش واعجل ثم هزم الفرس فوقعوا في الخندق وقتلهم المسلمون كيف شاءوا قتل منهم مائة الف وجللت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه فسميت جلولاء لذلك واخذ المسلمون يحوزون المدن لا يقوم بوجههم احد وفر يزدجرد الى خاقان ملك الترك وارسل الى ملك الصين يستنجده على العرب فلما وصل الرسول وابلغه رسالة يزدجرد قال قد عرفت ان حقا على الملوك انجاد الملوك فصف لي صفة هؤلاء القوم الذين اخرجوكم من بلادكم فاني اراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ولا يبلغ هؤلاء القليل ما بلغوا منكم الا بخير عندهم

(١) قال لما هاجر رسول الله (ص) وجعلت قريش لمن جاء به مائة من الابل فتتبعه جماعة وسبقتهم فادركته فلما دنوت منه ساخت قوائم فرسي فقلت يا محمد ادع الله لي وانا ارجع عنك وارد من هو على اثري فقال (ص) اللهم ان كان صادقا فخلصه فلما نجوت قال الا تشهد ان لا إله الا الله واني رسول الله فقلت لي ابل بمكان كذا خذ منها ما شئت فقال (ص) لاحاجة لنا بمالك ثم قال كيف بك يا سراقة اذا لبست سواري كسرى فقلت كسرى بن هرمز فقال نعم وها انا قد لبستها

فقال الرسول سأني عما احببت فقال ايوفون بالعهد قلت نعم قال وما يقولون لكم قبل قتالهم قلت يدعوننا الى دينهم فإن اجبناهم كنا مثلهم او الجزية والمنعة او الحرب فقال كيف طاعتهم امراءهم قلت اطوع قوم لمرشدهم قال فما يحلون وما يحرمون فاعلمته فقال يحلون ما حرم عليهم او يحرمون ما احل لهم فقلت لا قال فإن هؤلاء لايهلكون ابدا حتى يحلوا حرامهم ويحرموا حلالهم ثم قال اخبرني عن لباسهم فاخبرته وعن مطاياهم فقلت الخيل العراب ووصفتها فقال نعمت الحصون هذه ووصفت له الإبل وبروكها وانبعاثها بحملها فقال هذه صفة دابة طويلة العنق ثم كتب إلى يزدجرد انه لم يمنعني ان ابعث اليك جيشا اوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بحقك ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك اويحاولون الجبال لهدوها وازالوها اوخلي لهم سربهم ازالوني مادامو على ماوصف لي رسولك فسالمهم وارض منهم بالمساكنة ولا تهجهم ما لم يهيجوك

هذه حالة الامة العربية زمن اسلامها واعتناقها الدين وتأدبها بآدابه فانظر الى بعد ما بين حالتي اسلامها وجاهليتها ايرتاب بعد هذا جاهل فضلا عن عاقل بان الذي عرج بهذه الامة الى هذه الذروة وبلغ بها هذه الغاية هو ذلك القانون الإلهي والقيد الديني والرباط الشرعي الذي كبح جماحها وهذب اخلاقها واين عزيكتها وكمل نفوسها ونظم امرها فكل من كان من ملوك هذه الامة اشد تمسكا بهذا القانون واكثر محافظة عليه واحتياطا له كملي (ع) كان اليق برعايتها واقوى على ادارتها واملك لزمامها واقدر على لم شعثها وحفظ نظامها وذو المكر والخداع من ملوكها ضعيف الدين قليل التمسك به والاحتياط له كمعاوية مفسد لاخلاقها مشتت لنظامها مفلت لها من قيدها ورباطها معيدها الى سيرتها الاولى من جاهليتها موقع لها في حفيرة الذل والشقاء التي كانت بها فمن عذيري من ذوي الجهل والغباوة يرون أن الخلافة لاتليق الا باهل المكر والخداع والتسامح في الدين وأن التمسك بالدين والاحتياط له عيب في الخليفة ونقص في سياسته فما ذكرنا تعرف أن امثال هؤلاء كما انهم خلو من الدين فهم خلو من العلم والعقل وليت شعري هل يعصم الامة ويحملها على الجادة الواضحة والدين القويم الامراؤها وقادتها وانما يحمل الامراء والقادة على ذلك اميرهم وسلطانهم وهو المسمى بالخليفة فاذا ضل ضلت الامراء وضلت بضلالهم الرعية وهذا هو الذي اودى بهذه الامة وسلب منها سلطانها وابتزها عزها وشتت شملها الى يومنا هذا ومانشاهده في هذا العصر من اختلاف ابنائها وتفرق كلمتها وسقوط قدرها عند الامم هو فرع تلك الشجرة ونتاج ذاك اللقاح وما اعجب امر هذه الامة كلما قام فيها من صالحي ابنائها وخيرة رجالها فئة

يعملون لإنعاشها وانهاضها من كبوتها وايقاظها من رقدتها ويسعون لارجاع مجدها واحياء عزها يتاح لهم من شرار ابنائها وطغام رجالها من يقف في طريقهم ويصدهم عن سيرهم

قام ملك العرب وابن ملكها وسيدها وابن سيدها الحسين بن علي حمية لهذه الامة وانفة لها من ان تضام وتستعبد وسعى لإرجاع سلطانها واعلاء شأنها وانقاذها من مخالب براثن الترك وأنيابها وكانت الحرب العالمية قد التطمت امواجها واضطرمت نيرانها ففاز بسعيه ونجح في عمله واحرز مراده ولكن بعد ان بذل اولئك الآساد الاربعة من اولاده[1] في سبيل غايته وجاد بنفوسهم على امته فقذف بهم في لهوات تلك الحرب وغمسهم في لجي غمراتها فجاوا عن وجه امتهم سواده واعادوا له رونق بهجته وماء شبابه وما انجات تلك الحرب العوان الا والنصر حليفهم والفوز بجانبهم فاخذ لأمته استقلالها وحررها من رقها ثم لم يلبث ان قلب له اولئك الاشرار من امته ظهر المجن ورموه بالاباطيل وافتروا عليه المناكير وآذنوه بالحرب فآثر الخروج من دار سلطانه وعاصمة ملكه صونا لحرم الله ان يهتك ولجيرانه ان تروع وحفظا للنفوس وحقنا للدماء على علم منه بانه لو صانع ملوك الغرب لثبت ملكه ودام سلطانه ولكنه ابى الا نصحا لامته واحتفاظا بمبدئه شيمة كبار النفوس واعاظم الرجال فإنا لله وانا اليه راجعون . يربك سرح فكرك واجل طرفك في هذه الأمة فانها على كثرة عددها وذكاء رجالها وعراقتهم في المجد وتقدمهم في العلم لم تستطع إحراز استقلالها وتحرير بلادها فنسأله سبحانه اصلاح حالهم واذهاب الحسد من نفوسهم ورفع طمع الغربيين عنهم والحديث شجون[2]

كلمة في امير المؤمنين

لما اراد الله سبحانه احياء هذه الامة بعد موتها ورفع شانها اطلع لها من بين تلك الهضاب التهامية والربوات الحجازية شمسا اضاء لها العالم بجملته وتقشعت حنادس ظلمته الا وهو سيد العقلاء وافضل الفلاسفة والحكماء واكرم النبيين وخير الخلائق اجمعين محمد (ص) فقام بامر الله سبحانه مشمرا عن ساق الجد حاسرا عن ساعد

(١) وهم جلالة الملك علي وجلالة الملك فيصل وسمو الأمير عبد الله وسمو الامير زيد

(٢) اي متشعب يذكر فيه ما لم يكن مقصودا اولا

الاجتهاد لتهذيب تلك الاخلاق الفاسدة وتكميل تلك العقول الناقصة وتليين تلك الطباع القاسية وتكبير تلك النفوس الصغيرة وارهاف تلك الافكار الكلية ليرقى بهذه الأمة اوج المجد وذروة العز ومدرجة الشرف فثاروا في وجهه ووقفوا في طريقه يحبسونه عن سيره ويصدونه عن قصده ويحولون بينه وبين الغاية التي يرومها لهم · سجية المريض الجاهل مع طبيبه والطفل مع معلمه (شنشنة اعرفها من اخزم)

ولقد كان يلقب فيهم قبل بعثته بالصادق الامين اذ لم ير في حداثة الصبا وابان الشبيبة في مراسح لعبهم ولا في مجالس لهوهم ولا متقربا من اوثانهم ولا يعرفونه بغير الصدق والكيس والهدي والرزانه والفقه والامانة وانقياد قريش له عند وضع الركن اكبر شاهد(١)

واول ما فعله من تبليغ رسالة ربه كما رواه جمع من المؤرخين عن ابن عباس انه صعد على الصفا فهتف ياصباحاه فاجتمعوا اليه فقال يا بني فلان ويابني فلان حتى عد اكثر بطون قريش ارأيتكم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج اليكم من سفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا نعم ماخبرنا عليك كذبا وانك فينا للصادق الامين فقال اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال له ابو لهب تبت يداك ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب الى آخر السوره وجمعهم مرة ثانية وقال اعطوني كلمتين تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل وابيك لنعطينك عشرا وما هما فقال لا إله الا الله محمد رسول الله(ص) فقاموا ينفضون ثوابهم ويقولون «جعل الآلهة إلها واحدا ان هذا الا اختلاق» وكان في الكعبة وحولها ثلاثمائة وستون صنما روى ذلك كافة المحدثين ولم يزده ذلك الا دؤبا في سيره ونشاطا في عمله حتى بنى تلك الدولة واحكم اساسها وشيد اركانها وارسى قواعدها ووضع لها نظاما يحفظ وقانونا يحوطها وهو الدين والشريعة تحيا الدولة بحياته وتموت بموته وترقى برقيه وتنحط بانحطاطه

(١) روى المؤرخون ومنهم ابن الأثير قال لما كانت سنة ٣٥ من مولده (ص) هدمت قريش الكعبة ثم بنوها لاسباب ذكرها فلما وصلوا في البناء الى موضع الركن ارادت كل قبيلة منهم رفع الركن الى موضعه وتشاحوا في ذلك حتى استعر الشر بينهم وتحالفوا على الحرب وتواعدوا للقتال ثم تشاوروا فقال ابو امية بن المغيرة وكان اسن رجل في قريش اجعلوا حكما اول من يدخل من باب المسجد يقضي بينكم فكان اول من دخل رسول الله (ص) فلما رأوه قالوا هذا الصادق الامين قد رضينا به أخبروه الخبر فقال علموا إلي ثوبا فأتي به فاخذ الحجر فوضعه فيه ثم قال ليأخذ كل رئيس قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه

يعرف ذلك من نظر الى ما بلغته هذه الدولة من العظمة باقرب وقت ثم تقهقرها وانحطاطها وسأتلو عليك شيئا من ذلك . ومتى اتم (ص) بناء هذه الدولة؟ اتمه بعدان قاسى الاهوال وخاض الغمرات وتجرع المرارمن قومه ثلاثاوعشرين سنةفيا لهامن نعمة ما اعظمها ومنة ما اجسمها ويد ما اولاها بالشكر واجدرها بالثناء والحمد فما بال الكثير من هذه الامة لم يقدروا لرسول الله (ص) هذه الخدمة قدرها ولم يؤدوا اليه اجرها وقد سأله امته ورغب اليهم به كما امره سبحانه بقوله قل لا اسئلكم عليه اجراً الا المودة في القربى فأي مودة ادوها اليه في قرباه واهل بيته هذا اخوه ونفسه ووزيره وباب علمه ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى وسيداهل بيته قد نحوه بعده عن الرياسة وقد رشحه لها واعروه من الخلافة وهو احق بهـا ورموه بالعجز عن ادارة شأن الدولة وهو الاعرف بها والاقدر عليها والركن الاعظم في انشائهـا وثبوتها تالله ماعن عجزعن الادارة نحّوه ولاقلة معرفته بالسياسة دفعوه ولكنهم جروا على طريقتهم ورجعوا بعده (ص) الى خلقهم وجبلتهم « غلب التطبع شيمة المطبوع » والافانهم يعلمون ان امير المؤمنين عليا (ع) هو اكبر مساعد لرسول الله (ص) على انشاء الدولة وتربيتها ولولاه لما تم لرسول الله (ص) امر ولا أنشئت له دولة ولا قام له سلطان ولكن الله سبحانه خصه وايده به اتماما لامره وانفاذا لمقاديره وستعرف ذلك ان شاء الله وتتحققه بما اتلوه عليك واشرحه لك ان ارعيتـه سمعك وفرغت له قلبك ولحظته بنظر التدبر والانصاف وغضضت بصر التقليد فرب حامـل علم وليس بعالم ورب حامل علم الى من هو اعلم منه ولا وحشة مع الحق ولا انس مع الباطل

متى ما تقد بالباطل الحق يأبه ... وان قدت بالحق الرواسي تنقد
اذا ماأتيت الامر من غير بابه ... ضللت وان تقصد من الباب تهتدي

وهذا عصر قد تجلت به الحقائق وتقاصت فيه الخيالات فما اقبح بالذكي ان يتغابى وبالبصير ان يتعامى وبالعالم ان يتجاهل ولقد شدد سبحانه النكير على من ترك العمل برأيه وتبع غيره واقتدى به حين قالوا انا وجدنا آبائنا على امة وانا على آثارهم مقتدون فقال سبحانه اولو كان آبائهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون وهل رأيت عاقـلا صحيح النظر سالم حاسة البصر يغمض عينيه ويسلم قياده لآخر ليسلك به طريقا وعرة المسالك كثيرة المزالق كلا ثم كلا اذا فما بال صحيحي الافهام نافذي البصائر يملكون قيادهم لغيرهم ويلقون اليهم بايديهم يعملون بقولهم ويستندون الى رأيهم وينفعلون بامرهم اعاذنا الله من ذلك وليعلم قبل الخوض في المقام

ان كلمتنا هذه تعود على اثبات مقدرة امير المؤمنين علي (ع) على ادارة الخلافة ومحله من الرئاسة ومقدار معرفته بالسياسة ومرتبته في العلم والعقل وسائر فنون الفضل وانه لا نظير له في ذلك بعد رسول الله (ص) وذلك بتتبع احواله وتدبر اعماله من لدن كان فطيما الى زمن وفاته وكان علينا ان نذكر شيأ من احوال رسول الله (ص) اذ هو صاحب الدولة ومؤسسها ومبلغ قانونها الإلاهي لكن تركنا ذلك لجلالته وجلائه والاتفاق عليه بين المسلمين وانما القصد تتبع احوال اخيه ووزيره ووصيه وخليفته ومن نزله الله منزلة نفسه وجعل له منزلة هارون من موسى لنعلمها الجاهل وننبه عليها الغافل فلقد ستر اعداؤه فضله وصغروا قدره وأنى لهم ذلك وبأبى الله إلا ان يتم نوره ولو كره الكافرون فمنها ما رواه المؤرخون ومنهم العلامة ابو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ الكبير واللفظ له فإنه المرجع وعليه المعول وكل من تأخر عنه رجع اليه واخذ منه قال: كان من نعمة الله سبحانه على علي بن ابي طالب ان قريشا اصابتها ازمة شديدة وكان ابو طالب ذا عيال كثير فقال رسول الله (ص) للعباس وكان ايسر بني هاشم يا عباس ان اخاك ابا طالب كثير العيال وقد ترى ما اصاب الناس من هذه الازمة فانطلق لنخفف عنه من عياله. آخذ من بنيه واحدا وتأخذ واحدا فنكفيهما عنه فقال العباس نعم فانطلقا حتى اتيا ابا طالب فقالا له انا نريد ان نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ماهم فيه فقال لهم إن تركتا لي عقيلا فاصنعا ما شئتما فاخذ رسول الله (ص) عليا (ع) فضمه اليه واخذ العباس جعفرا فضمه اليه فلم يزل علي (ع) مع رسول الله (ص) حتى بعثه الله نبيا «انتهى» ولقد اشار الى ذلك امير المؤمنين (ع) في خطبته التي تسمى بالقاصعة وهي من اجل خطبه قد طفحت بالبلاغة وتجلت بالإعجاز والحكمة وها أنا اذكر موضع الحاجة منها قال (ع): وقد تعلمون موضعي من رسول الله (ص) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره ويكنفني فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجدلي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد قرن الله به (ص) من لدن ان كان فطيما

اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علما ويأمرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله (ص) وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلوات الله عليه فقلت يا رسول الله (ص) ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان قد ايس من عبادته انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي، ولكنك وزير وانك لعلى خير انتهى فليحكم الرأي العام بما لهذا الرجل من المنزلة في العظمة والكمال وكيف تكون حاله من الأبهة والجلال وهذه نشأته وهذا مؤدبه ومعلمه من لدن كان طفلا حتى بلغ ما ينوف عن خمس وثلاثين سنة وهو في خلالها يقتفي اثره ويحتذي مثاله قد جعله قبلة في جميع اعماله وقدوة في كل افعاله واحواله يتبعه اتباع الفصيل اثر امه ولينعم النظر في قول رسول الله (ص) له انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك وزير مخاطباله خطاب النظير لنظيره والسلطان لوزيره وهو اذ ذاك لم يتجاوز الاثنتي عشرة سنة وكيف يجوز لهذا النبي العظيم المتناهي في الكمال المرسل ليكمل العالم وينظم شأنه أن يعتمد مثل هذا الغلام لوزارته ويتخذه مستودعا لسره وثقة لاستشارته لو لم يكن رآه اكمل اهل زمانه فبخ بخ هذه هي المفاخر التي تعفر لها جباه المفاخرين وتنحني لها اصلاب المساجلين ايجوز عند الرأي العام ان يقال لامير المؤمنين وهذا شأنه واستعداده واهليته وهو غلام انه غير عارف بالسياسة ولا محل للرئاسة سبحانك هذا بهتان عظيم ومنها ما رواه ابن الاثير في كامله والطبري ايضا في تاريخه قال لما نزلت هذه الآية وانذر عشيرتك الاقربين دعا رسول الله (ص) عليا (ع) فقال يا علي ان الله امرني ان انذر عشيرتك الاقربين فضقت بذلك ذرعا وعلمت اني متى اباديهم بهذا الامر ارى منهم ما اكره فصمت حتى جاءني جبرئيل (ع) فقال يا محمد انك ان لم تفعل يعذبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة

واملأ لناعساً من لبن ثم اجمع بني عبد المطلب حتى اكلمهم وابلغ ما امرت به ففعلت ما امرني به ثم دعوتهم وهم يومئذ اربعون رجلا يزيدون رجلا او ينقصونه وفيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا اليه دعا بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فقال (ص) كلوا باسم الله فاكلوا حتى مالهم الى شيء من حاجة وايم الله الذي نفس علي بيده ان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمته لجميعهم ثم قال اسق القوم يا علي فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعاً وايم الله أن كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما اراد رسول الله ان يكلمهم بدره ابو لهب الى الكلام فقال شدّ ما سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله (ص) فقال من الغد ياعلي ان هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل ان اكلمهم فعدلنا اليوم الى مثل ما صنعت بالأمس ثم اجمعهم لي ففعلت ثم جمعتهم ثم دعا بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالامس فأكلوا حتى مالهم بشيء حاجة ثم قال اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا منه جميعا حتى رووا ثم تكلم رسول الله (ص) فقال يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم ان شابا في العرب جاء قومه بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد امرني الله ان ادعوكم اليه فايكم يوازرني على هذا الأمر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعا وقلت انا واني لأحدثهم سنا وارمصهم عينا واعظمهم بطنا واحمشهم ساقا انا يا رسول الله اكون وزيرك عليه فاعاد القول فامسكوا واعدت ما قلت فاخذ برقبتي ثم قال لهم هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع «انتهى» فمن اعطى التأمل في هذا المقام حقه وفرّغ لتدبره قلبه ادرك في هذا الرجل سرا تستتر بأشعته فضيلة كل فاضل وتحتقر بجنبه عظمة كل عظيم الا ترى الى رسول الله «ص» كيف يفاتحه الكلام ويخاطبه كالمستطلع لرأيه المستشير له في فعله شاكيا اليه ما حل به من ثقل هذا التكليف وما نزل به من الغم بسببه كما يخاطب الوزير والمستشار وكيف اوقفه على ما يريد ان يفعله وعلى الغرض

من فعل ما امره به ولولا انه رآه محلا للثقة وموضعا للاستشارة لما كان هذا الاسلوب من الكلام إلا لغوا منه «ص» بل كان عليه ان يأمره بعمل طعام فقط ودع عنك هذا وانظر الى احجام بني عبد المطلب وفيهم ذوو الفضل والرئاسة والباس والنجدة والحجى والعزة كابي طالب والحمزة والعباس وامثالهم وكيف هالهم هذا الامر الذي ندبهم اليه وافزعهم فلم يجسر احد منهم على الاقدام عليه ولعمري انه لامر يجدر به الإحجام والنكوص فإن القائم به قائم في وجه الخلق كافة متعرض لمعاداة الناس عامة ومن يطيق هذا او يصبر عليه الا من كانت نفسه اكبر من كل نفس وهمته اسمى من كل همة ثم انظر الى هذا الغلام كيف قام من بينهم مستخفا باحلامهم مزدريا إحجامهم لم يرعه نكوصهم ولم يفزعه سكوتهم آخذا على عاتقه القيام بهذا الامر الجسيم والحمل الثقيل ولو كان يرى لاحد منهم عليه فضلا في كبر النفس وعلو الهمة ورباطة الجاش ورجحان العقل لاقتدى بفعله وسكت كسكوته ولكن راى الفضل عليه في ذلك كله لرسول الله (ص) فاحتذى مثاله وجعله قدوته ولبى دعوته وضمن له النصرة والنهوض باعباء الوزارة ثم انظر الى ثقة رسول الله «ص» به وركونه اليه والاعتماد عليه فيما تصدى له من احتمال هذا الامر العظيم الذي احجم عنه اشياخه وسراة قومه وتالله الذي لا إله غيره ان هذا الموقف يحار فيه ذو اللب ويقف مدهوشا لهذا المشهد الهائل والمنظر البديع يرى شابا ترعرع في حجر اليتم خلوا من المال والرجال ولكن تجمعت فيه صفات الفضل والكمال يجمع عشيرته يخبرهم بانه عازم على انشاء دولة ينظم بها العالم ويحكم كل الأمم ويدعوهم الى موازرته ومساعدته فيحجمون عن اجابته منهم المتهيب ومنهم الساخر ثم يرى غلاما قد تشبه بالكهول وتزيا بزي الشيوخ في مجانبة اللعب واللهو وترك ما يستعمله الاحداث يقوم من بينهم ملبيا لدعوته قائلا أنا اوازرك على هذا الامر فيقبل عليه الشاب بوجهه ويرتضيه لوزارته ثم يقبلان على شأنهما ويجريان لغايتهما لا تثنيهما الاهوال ولا تصدهما الخطوب قد ادرعا الصبر واتزرا بالحزم واستخفا بالعظائم وجادا بالنفس فتم لهما ما ارادا وانشأ تلك الدولة العربية التي طبقت

الارض واخضعت ملوكها وقادت امهاء فمن نظر بعين التامل بدء هذه الدولة وان المنشئ والمؤسس لها هذا النبي الذي لم ير من يساعده يوم تأسيسها من اهل بيته واقرب الناس اليه وهذا الوزير الذي تربع في منصب الوزارة وهو غلام ولم يكونا ربيا في حجر الملك ولا عرفا شيأ من احوال الدول ونظمها ولا جالا في العواصم ولا قرأ سير الملوك علم ان لله سبحانه فيهما سرا امتازا به عن كافة الخلق وبالله اقسم انها لا كبر آية للنبوة واوضح دليل للخلافة لمن تدبرها وبحق قال «ع» في بعض مفاخره وأني من رسول الله « ص » كالصنو من الصنو والذراع من العضد وهنا موقف الحيرة والدهشة والاستغراب كيف عمه كثير من ارباب السير والحديث عن ادراك هذه الفضيلة فلم يقدروها قدرها ولم يعطوها من الاجلال حقها وهي لعمر الله اجل من الدهر واجلى من الشمس واذكى من المسك فليت شعري هل بعد الوزارة الا رتبة الملك والسلطان وهل يداني الوزير او يماثله احد من الرعية وهل لاحد من اصحاب رسول الله «ص» فضيلة تشبهها او تدانيها كلا بل كل فضل في جنبها ضئيل وكل عظيم بالقياس اليها حقير

هذي المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وايم الحق ما تلوت هذا الحديث الا وخنقتني العبرة واراني مضطرا الى البكاء لما نال صاحب هذه الفضيلة من الظلم ولحقه من الامتهان والهضم ولقد قال عليه السلام متظلما في بعض كلامه كانت الناس تنظر الي على عهد رسول الله «ص» كما ينظرون الى الكوكب في افق السماء ثم غض الدهر مني فقرنت الى ابي بكر وعمر ثم قرنت الى ستة امثالهم عثمان ثم لم يرض لي الدهر بذلك حتى ارذلني فقرنت الى ابن هند ﴿انتهى﴾ وهذا القول منه عليه السلام اشارة الى ما ذكرناه فإن منزلة رسول الله «ص» كانت بمنزلة الكوكب في علو شانه وشرف محله فوزيره انما يكون بجانبه ومكانه متصل بمكانه لأن الوزير يمثل الملك ويقوم مقامه بل هو المتصرف في الدولة والمفزع للرعية فكانت الناس على عهد رسول الله «ص» تعرفه بالوزارة وولاية العهد لا يشكون في ذلك ولا يرتابون فهم ينظرون اليه كما ينظرون الى

رسول الله صلى الله عليه وآله ايجوز عند الراي العام ان يقال لهذا الوزير وهو احد ركني هذه الدلة واللذين قامت عليها واستقرت بحملها ونشأت وشبت بتربيتها انه بعد قرارها وثبوتها غير قادر على ادارتها وان غيره احق بها. كلا واعلم ان اتخاذ رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام وزيرا امر ضروري لا يرتاب فيه كل من ألمَّ بالسير وراجع مغازي رسول الله (ص) واحوال اصحابه فقد روى البخاري في صحيحه ان رسول الله (ص) خرج الى تبوك واستخلف عليا فقال اتخلفني في الصبيان والنساء قال الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه ليس نبي بعدي وروى مسلم في صحيحه بسنده عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه سعد قال قال رسول الله (ص) لعلي انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي قال سعيد فاحببت ان اشافه سعدا بها فلقيت سعدا فحدثته بما حدثني به عامر فقال انا سمعته فقلت انت سمعته فوضع اصبعيه على اذنيه وقال نعم والا فاستكتا ورواه محمد بن سعد [1] في الطبقات عن سعيد بن المسيب قال قلت لسعد بن مالك (وهو ابو سعيد الخدري) اني اريد ان اسألك عن حديث وانا اهابك ان اسألك عنه قال لا تفعل يا ابن اخي اذا علمت ان عندي علما فاسألني عنه ولا تهبني فقلت قول رسول الله (ص) لعلي حين خلفه في المدينة في غزوة تبوك قال اتخلفني في الخالفة من النساء والصبيان قال اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى فادبر علي مسرعا كاني انظر الى غبار قدميه يسطع وروى ايضا في الطبقات عن البراء بن عازب وزيد بن ارقم قالا لما كان عند غزوة جيش العسرة وهي تبوك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي بن ابي طالب انه لا بد من ان اقيم او تقيم فخلفه فلما فصل رسول الله (ص) غازيا قال اناس ما خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا الا لشيء كرهه منه فبلغ ذلك عليا فاتبع رسول الله (ص) حتى انتهى اليه فقال له

(١) كاتب الواقدي وهو عند علماء السنة من اعاظم الرجال وثقاتهم وكتابه في طبقات الصحابة عليه المعول واليه يرجعون

ما جاء بك ياعلي قال لا يارسول الله (ص) الا اني سمعت اناسا يزعمون انك انما خلفتني لشيء كرهته مني فتضاحك رسول الله (ص) وقال يا علي اما ترضى ان تكون مني كهارون من موسى الا انك لست بنبي فقال علي بلى يارسول الله (ص) قال فأنت كذلك وهذا الحديث رواه كل من تعرض لذكر مناقبه (ع) ودوّن شيئا من فضائله ولا حاجة لتعداد من رواه فإنه من الاحاديث المتواترة والمنكر له منكر للضروريات كانكار وجوب الصوم والصلاة فيامعاشر المسلمين والموحدين والمصدقين بيوم الدين من اخواننا السنيين اتتهمون رسول الله (ص) بالميل والمحاباة وانه ينطق عن الهوى والغرض حوشيتم فإن هذا من ذلك ثم حوشيتم فإن هذا يؤدي الى الإلحاد والزندقة ويؤول الى الكفر فإذن مانزله هذه المنزلة واحله هذا المحل الا وهو لها اهل وهل منزلة هارون الا ماسأله موسى ربه اذ قال واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري وكذلك حين ذهب لميقات ربه قال اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فعلي هو اخو رسول الله (ص) ووزيره الذي شدّ الله به ازره وخليفته في قومه بل كل مزية ثابتة لهارون فهي لعلي الا ما اخرجه العقل والشرع ولذلك لما كان هارون شريكا لموسى عليه السلام في النبوة وكان قول رسول الله «ص» لعلي عليه السلام يفيد مشاركته له في النبوة نفى ذلك بقوله الا انه لا نبي بعدي وهذا من اوضح الادلة واقوى البراهين واجلاها على ثبوت الخلافة اترى بربك هل كان في قوم موسى احد يماثل هارون او يدانيه في فضل ولو كان موسى عليه السلام مات في غيبته تلك اوخلافها اكان احد يتولى امر امته ويدبر شانها غيره واي منزلة اعلى واجل ورتبة ارفع واشرف من مرتبة النبيين ومنزلة المرسلين فإنها منتهى الأمنية وقصارى غايات الشرف والفضل الا ترى الى قول رسول الله (ص) له الا ترضى فإن فيه دلالة على ان هذه غاية وافضل ما يعطى وأنها بشارة ونحلة فيها الرضا وفوق الرضا وان من نالها كفته عن كل فضل وجمعت له كل خير فلا حاجة له في غيرها وهذا واضح عند العارف باساليب الكلام ثم انظر الى هذا العالم النحرير والتابعي الكبير فقيه اهل المدينة سعيد بن المسيب حين سمعها

كيف اوقرت سمعه وملأت صدره واطاشت لبه حتى لم يكد يصدقها وقال فاحببت ان اشافه سعدا بها ثم لما شافهه بها قال له سعد انا سمعته فبقي مع ذلك مدهوشا وراجعه القول كالمنكر والمتعجب لانه سمع ثناء باهرا ومدحا عظيما ورأى ان من كانت له هذه المنزلة من رسول الله «ص» كان سيد المسلمين ومتولي امورهم والمرجع لهم بعد نبيهم قياسا على هارون وعلي عند المسلمين ليس بهذه المثابة ولا له هذه المنزلة قد عري من الخلافة ونحي عن الولاية لم يسمع له ذكرا ولم ير من يروي له فضلا ويرى المدح والثناء والتقريض والاطراء لغيره فاخذه العجب واستولت عليه الحيرة ولم تكد تسكن نفسه ويطمئن قلبه الا بظهير كاليمين ونحوه هذا وسعد عنده من علية الصحابه واعلامهم والمبجل فيهم واليه الاشارة يومئذ لانه لم يبق من اهل الشورى غيره وهو من السابقين والثابتين والمبشرين والفاتحين والمرشحين والمستجابين وحقيق لسعيد ان تاخذه الدهشة واضطراب القلب لهذا الحديث العظيم من هذا الصحابي الجليل لانه راى القول لا يوافق العمل بل كل صحيح الوجدان بعيد عن العصبية والتقليد اذا سبر امير المؤمنين وما تفرد به من المزايا وامتاز به عن كافة الصحابة ورأى احوال المسلمين معه وعدم اكتراثهم به يروح حائرا ويظل باهتا ولولا جلالة قدر سعد وان له عند الناس منزلة يأمن معها من ان يناله سوء لما اقدم على ذكر هذا الحديث فقد كانت يومئذ تسل على من حدث بمثله السيوف وتنصب له الجذوع وتفتح له السجون على ان سعدا هذا لم يسلم من شر معاوية فقد دس اليه سما ومات مسموما وستعرف شيئا من ذلك إن شاء الله ثم انظر الى احتمال سعد فلم تغضه مراجعة سعيد واتهامه له وعدم سكون قلبه لحديثه وما ذاك الا لعلمه بانه هجم على قلب سعيد بفضيلة باهرة واكرومة عالية لا يقوم لحملها بادئ بدء حتى يروض ويثقف فوضع يديه على اذنيه وقال نعم والا فاستكتا وهي ابر يمين وابلغ الية على صدق ما يحدث به الراوي فإنها بمنزلة المباهلة وما عسى ان يقول الخطيب المصقع والكاتب المبدع في تحديد هذه المنزلة ومقدار هذه المدحة فلقد ارتج على قلمي وضاق عليه فسيح

القول وكلما نمقت لها كلاما أراه يضيق عنها ولا يسعها وكلما ساح الفكر في مسارحها وجال في رياضها ليقف على حدودها وينتهي الى غايتها اتسع له المجال ونأت عنه الأقطار ورجع كليلا مدحورا وهذه المدحة منه (ص) من جوامع الكلم الا ترى هذا الشيخ الجليل والعالم النحرير والباحث المفتش سعيد بن المسيب كيف عني بها وسعى وراءها وأهمه أمرها فلم يكتف بسعد بن أبي وقاص على جلالة قدره عنده مع قوله له سمعتها بأذني هاتين والا فاستكتا حتى سأل عنها ابا سعيد الخدري كما رواه ابن سعد في الطبقات وكيف استدرجه عند سؤاله بهذا الاسلوب من القول وهذا النوع من التملق خشية أن يكتمه الحديث لحراجة الموقف وصعوبة الامر على من يحدث بمثله وهذا النحو من السؤال يستعمله الحريصون على طلب العلم مع العلماء لأخذهم عنهم ما يبخلون به والذي جرأ ابا سعيد على ذكر هذا الحديث هو مبايعته لرسول الله (ص) على أن لا تأخذه في الله لومة لائم (١) ثم تأمل حال أمير المؤمنين حين سمع ذلك من رسول الله (ص) كيف طار به السرور ودفعته اريحية الفوز والظفر بالمراد الى الاسراع بالعود مهرولا حتى أثار الغبار بقدميه وحقيق بهذه البشارة وهذه النحلة ان تطرب لها القلوب فرحا وترتاح لها النفس طربا واقسم بالذي قامت السموات بامره لو لم يكن لأمير المؤمنين من الثناء والفضل الا هذه لسمت به إلى اعالي الدرجات وبلغت به منتهى غايات الفضل وكان بها سيد المسلمين كيف وهذه من علاه احدى المعالي

ثم سرح الفكر واطلق له العنان فيما رواه البراء بن عازب وزيد بن ارقم من قول رسول الله (ص) لعلي انه لا بد من ان اقيم او تقيم تره من جوامع الكلم قد افعم

(١) روى صاحب الاصابة عن ابي سعيد الخدري سعد بن مالك انه قال بايعت رسول الله (ص) مع جماعة على ان لا تأخذنا في الله لومة لائم ثم رجع رجل منهم فاستقال رسول الله فاقاله وروى عنه انه قال قال رسول «ص» لا يمنعن احدكم مخافة الناس ان يتكلم بالحق اذا رآه او علمه قال فحملني ذلك على ان ركبت الى معاوية فملأت اذنه

بالفضائل واشتبك بالمكارم وترى الاسرار تتزاحم في مطاويه والعقول السليمة تتشوف الى مراميه ومغازيه وارشدك الى فضل في هذا الرجل لا يوصف وعظمة لا تكيف ورتبة لا تنال ومعنى لا يسعه مقال ليس معنى هذا القول ان امر هذه الامة وصلاحها منوط بهما ومسند اليهما وان احدا من هذه الامة لا يقوم مقام رسول الله (ص) ولا يغني غناءه ولا يمثل شخصه غير امير المؤمنين ولو كان احد من اصحابه يصلح لقيادة ذلك الجيش او يقوم بحفظ المدينة غير امير المؤمنين لما كان لهذا القول وجه صحيح وكان قولا بالهوى والغرض وحاشاه «ص» من ذلك وهذا واضح لدى الإنصاف ولقد كان يهم رسول الله (ص) امر المدينة كما يهمه امر الجيش فانها دار الملك وعاصمة السلطان ولم يكن الوجه الذي توجه اليه يومئذ كغيره من الوجوه ولا العسكر الذي قاده كغيره من العساكر فقد كانت وجهته الى هرقل اعظم ملوك الارض والعسكر الذي قاده (ص) ثلاثون الف مقاتل معهم عشرة آلاف فرس واعظم عسكر قاده قبل ذلك احد عشر الفا وهو يوم حنين وسببه ان رسول الله (ص) بلغه ان الروم قد جمعت لحربه جموعا كثيرة بالشام وان هرقل قد رزق اصحابه لسنة واجلبت معه لخم وجذام وعاملة وغسان وقدموا مقدماتهم الى البلقاء فندب رسول الله «ص» الناس الى الخروج واعلمهم الوجه الذي يريده خلافا لسائر غزواته فقد كان اذا اراد غزوة ورى بغيرها وانما فعل ذلك لصعوبة الامر واهمية الوجه الذي توجه له وليتأهب الناس ويعدوا له عدته وبعث الى اهل مكة وكافة قبائل العرب يستنفرهم وكان قصده (ص) ان يلقى جمع الروم بجمع العرب فلذلك لم يأمن على المدينة الا من كان يغني غناءه ويملأ فراغه وهذه هي طريقة الملوك قديما وحديثا في المحافظة على دار السلطان وعاصمة الملك والاحتياط لها ولا يخفى عليك ذلك اذا راجعت احوال الامم وسير الملوك فانك ترى الواحد منهم اذا حشد جيشه وجمع قوته لعدو يهمه امره ويخشى عليه منه تولى هو قيادة ذلك الجيش بنفسه واقام مقامه في عاصمته ولي عهده ومن له الملك من بعده او يتولى هو حفظ العاصمة وينيب منابه في الجيش ولي العهد على ما تقتضيه

المصلحة ويوجبه الرأي والحكمة ولو خلا الجيش منها واسند امره الى قائد غيرهما كان ذلك اضاعة للحزم وعملا بغير الرأي لما في ذلك من تعريض الجيش للفشل والهلكة لاسباب يخشى وقوعها فيه توجب الوهن والاختلال منها انه ربما ضعفت نفس ذلك القائد ووهنت قوته عن احتمال الخطر واقتحام الاهوال حين يرى ان الملك الذي يبذل نفسه في سبيل الدفاع عنه انما هو لغيره ونفعه لسواه وليست النائحة كالثكلى واين العامل لنفسه من العامل لغيره ولقد قيل لبعض القواد وقد فر من المعركة ان الأمير ذمك على فرارك فقال . لأن يذمني الأمير حيا احب الي من ان يمدحني ميتا . . ومتى جبن القائد وضعفت نفسه سرى الضعف والفشل الى نفوس العسكر وبطل عملهم وكانوا لعدوهم مغنما وهب القائد يجود بنفسه ويحامي محاماة الملك عن ملكه فمن يضمن إطاعة سائر القواد ومتابعتهم له فاربما كان فيهم من هو اشرف منه بيتا أو اكبر سنا او اقرب إلى الملك نسبا وكل هذه تدعو الى عدم الخضوع له والخشية منه وهبه جمع كل ذلك فمن يضمن بذل نفوس العسكر له وسماحهم بها في سبيل الذب والمحاماة عنه حين لا يرونه محلا للخوف والرجاء ولا بيده الحرمان والعطاء فيسلمونه حينئذ للمشرفية ويخلون بينه وبين المنية فيدخل الوهن على الجيش بقتله او اسره ويظفر العدو حينئذ بمراده وبوجود احدهما في الجيش ينتفي كل ذلك وكذلك الأمر لو خلت العاصمة منهما فإن نفوس الجيش تبقى معلقة بمن يخلفونه وراءهم من ذراريهم واموالهم لعدم ثقتهم بسواهما وقلة ركونهم لغيرهما فإن كل كبير بالنسبة اليهما صغير وكل جليل عندهما حقير ومتى شغلت نفوس الجيش وتوزعت افكارهم وهى عزمهم ولم يصدق جدهم وكذلك الحال في سكان العاصمة ومن حولها حين يفارقهم من كانوا يعتمدون عليه ويلجأون اليه ويستظهرون به وتراهم يحتقرون كل من ينوب عنهما ويقوم مقامهما إذ لا ينظرون إليه بتلك العين التي ينظرون بها الملك او ولي عهده وحينئذ لو اراد عدو امكنه ملكها واحتلالها والاستيلاء على خزائن السلطان وحرمه وحرم عسكره وذراريهم ويقع عندها الملك وجنده بين نارين ويكون عرضة للهلاك وبوجود

احدهما ينتفي كل ذلك وهذا هو معنى قول رسول الله (ص) لعلي (ع) انه لابد من ان اقيم او تقيم ولذلك لما تجمعت الفرس بعد حرب القادسية بنهاوند وتحالفوا وتعاقدوا على استرجاع ملكهم واخراج العرب من بلادهم وبلغ ذلك عمر رضي الله عنه قام لهذ النبأ وقعد وعقد مؤتمرا جمع وجوه المهاجرين والانصار واستشارهم في حرب الفرس فكان رأيهم ان يخرج بنفسه لحربهم ثم قال اشيروا علي فكان كلما اشير عليه برأي يقول اشيروا علي ينتظر رأي امير المؤمنين (ع) فقال (ع) انك ان خرجت بنفسك يخشى ان ينتقض عليك الاطراف فيكون ما تخلفه وراءك اهم اليك مما بين يديك وارى لك ان تقيم فقال عمر رضي الله عنه هذا هو الرأي وقد كنت احب ان اوافق عليه انتهى وقد كان طار صيت امير المؤمنين «ع» يومئذ وانتشر فضله واشتهرت شجاعته بين العرب وسارت بها الركبان فكان رسول الله «ص» يثق به ويعتمد عليه في حفظ العاصمة والذب عنها لو ارادها عدو ويأمن به على من خلفه وراء ظهره وهذا هو معنى قول رسول الله (ص) من ان اقيم او تقيم وتأمل في تضاحك رسول الله (ص) حين قال له إن أناسا يزعمون أنك إنما خلفتني لشيء كرهته فإنه ناشئ عن تعجبه من تفاوت المنزلتين وبعد ما بين الحالتين حالة استخلافه كراهية له وحالة استخلافه نائبا عنه وقائما مقامه وان غيره من امته لا يغني غناءه ولا يصلح لهذا الأمر الجسيم ولا يليق بهذا المنصب الرفيع ثم قوله له عقيب تضاحكه الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى بمسمع من ذلك العدد الجم والمحفل الحاشد منبها لهم على فضله ومنزلته من الرسول ومحله من الأمة وانه المرجع لها والمفزع لو حدث به حادث قياسا على هارون حين استخلفه موسى في قومه وهذا نص منه «ص» عليه بالخلافة ولعمري ان هذا واضح جلي عند من انصف ولم يقلد وأوردنا بيان ما جمعه هذا الحديث من الفضائل واشتمل عليه من الأسرار لطال المقال واتسع المجال وفيما ذكرنا كفاية للنبقد البصير الساعي خلف البرهان والدليل ومنها ما ذكره (ع) في هذه الخطبة ولقد كنت معه (ص) لما اتاه الملأ من قريش فقالوا له يا محمد انك قد ادعيت ما لم يدعه آباؤك ولا احد من

اهل بيتك ونحن نسألك امرا ان انت اجبتنا اليه علمنا انك نبي ورسول وان لم تفعل علمنا انك ساحر كذاب فقال (ص) وماتسألون قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك فقال (ص) ان الله على كل شيء قدير فإن فعل الله ذلك اتؤمنون وتشهدون بالحق قالوا نعم قال فإني سأريكم ما تطلبون واني لأعلم انكم لا تفيئون الى خير وان فيكم من يطرح بالقليب ومن يحزب الاحزاب ثم قال (ص) يا ايتها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين اني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي بإذن الله والذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دوي شديد وقصف كقصف اجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله (ص) مرفرفة والقت بغصنها الأعلى على رسول الله (ص) وبعض اغصانها على منكبي وكنت عن يمينه (ص) فلما نظر القوم الى ذلك قالوا علوا واستكبارا فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها فامرها بذلك فاقبل اليه نصفها كاعجب اقبال واشده دويا فكادت تلتف برسول الله (ص) فقالوا كفرا وعتوا فمر هذا النصف فليرجع الى نصفه كما كان فامره رسول الله (ص) فقلت انا لا آله الا الله اني اول مؤمن بك يا رسول الله واول من اقر بان الشجرة فعلت ما فعلت بامر الله تعالى تصديقا لنبوتك واجلالا لكلمتك فقال القوم بل ساحر كذاب عجيب السحر خفيف فيه وهل يصدقك في امرك الامثل هذا يعنونني انتهى فمن تأمل كلامه عليه السلام في هذا المقام وقيامه بالشهادتين واظهاره الايمان ومجاهرته به قبالة اولئك الملأ علم مقدار ما عنده من النصرة لرسول الله (ص) والموازرة له وحرصه على تاييد دولته وتشييد امره فإن هؤلاء الملأ الذين سألوه (ص) المعجز هم سادة قريش وزعماؤها وصناديدها وهم ابو جهل وابو سفيان وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والحارث بن هشام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج فانظر اليه (ع) على صغر سنه حين كذبوا النبي (ص) وبهتوه وكفروا بالمعجز كيف قام مكذبا لهم معترضا في وجوههم مظهرا للإيمان بالمعجز والتعظيم لرسول الله (ص) ردا عليهم وابطالا لقولهم مستخفا بهم مستصغرا لشانهم غير مكترث بهم ولا

مبال بتكذيبهم وهذا لعمري منتهى النصرة وغاية ما يتصور من البسالة والجرأة وما رأينا التاريخ دون لاحد من الرجال في سن الحداثة ما دونه لهذا الرجل

وتأمل في بقية احواله في صغره من ملازمته لرسول الله (ص) والاحتياط عليه والانقطاع اليه والحرص على التعلم منه وتمسكه بالدين لم تمل به حداثته ولم تلفته شبيبته الى الاخذ بشيء من اللعب واللهو وهو غاية ما يرومه الاحداث ومنتهى رغبتهم وقصارى لذتهم وما ذلك الا لما وهبه الله له وميزه به عن سائر الاحداث من كبر النفس ورجحان العقل وقوة الذكاء وما اشبه بيحيى ابن زكريا عليهما السلام وقد قيل له وهو صبي هلم لنلعب فقال ما خلقنا للعب واذا تاملت هذا من احواله على صغره علمت مبلغه من العظمة حال كبره وان اصطفاء رسول الله له واتخاذه اياه وزيرا واخا ووصيا وخليفة على صغره وحداثة سنه آية من آيات نبوته ومعجزة ظاهرة لرسالته ولقد كانت ترمقه قريش بابصارها وتشير اليه بطرفها وتقدر له خدمته لرسول الله (ص) وانقطاعه اليه قدرهما روى جبير [1] بن مطعم قال قال ابي المطعم بن عدي لنا ونحن صبيان بمكة الا ترون حب هذا الغلام يعني عليا لمحمد واتباعه له دون ابيه فواللات والعزى لوددت انه ابني بفتيان بني نوفل جميعا وروى الفضل بن العباس قال سألت ابي عن ولد رسول الله الذكور ايهم كان رسول الله (ص) اشد حباله فقال علي بن ابي طالب فقلت له سألتك عن بنيه فقال كان احب اليه من بنيه جميعا وارأف . ما رأيناه زايله اي فارقه يوما من الدهر منذ كان طفلا الا ان يكون في سفر لخديجة وما رأينا اباً برابن منه لعلي ولا ابنا اطوع لأب من علي له . فبالله عليك الا اعطيت التأمل في هذا المقام حقه وتدبرت شهادة المطعم والعباس وكيف فارق هذا الغلام امه واباه واخوته وبني عمومته وانقطع الى رسول الله (ص) ولم يكن قريبا منه في السن ولا شبيها له في الحداثة وانما يميل الانسان الى شبيهه وشكله فانك لا ترى الشاب يعاشر الشيوخ ويلازمهم بطبعه وكذلك

(١) كما في شرح النهج للعلامة ابن ابي الحديد ج ٣ ص ٢٥١

الشيخ لا تراه يميل لمعاشرة الاحداث

وما ذاك الا لانه امتاز عن ابناء جيله واحداث عشيرته بان له عقل الشيوخ واخلاق ذوي السن والتجربة كما امتاز رسول الله (ص) ايام صباه وحداثته عن ابناء عصره ولما لم يكن في زمانها من يشبههما ويقاربهما غيرهما حصلت بينهما تلك الالفة والامتزاج فانك لا ترى بين البشر جامعة ولا رابطة مثل تقارب الخلق ومناسبة الطبع ويشبه هذا ماجرى للخليل بن احمد (ره) واضع علم العروض مع يونس النحوي وقد قال له اني اريد ان اسألك مسألة فاكتمها علي فقال قد فعلت ان ضمنت لي كتمان جوابها فقال قد فعلت قال الخليل سل قال يونس مالي ارى اصحاب رسول الله (ص) كأنهم بنو ام واحدة وارى عليا من بينهم كأنه ابن العلة (الضرة) فقال الخليل (ره) ان عليا قد بهر نوره انوارهم وغلبهم على صفو كل منهل والناس الى اشباهها واشكالها أميل اما سمعت قول الاول

وكل شكل لشكله الف اما ترى الفيل يالف الفيلا

وهذا هو روح الحقيقة ولباب الصواب [1] وعن سعيد بن جبير قال سألت انس بن مالك فقلت ارأيت قول عمر عن ستة ان رسول الله (ص) مات وهو عنهم راض الم يكن راضيا عن غيرهم من الصحابة فقال بلى مات رسول الله (ص) وهو راض عن كثير من المسلمين ولكن كان عن هؤلاء اكثر رضا فقلت له فاي الصحابة كان رسول الله (ص) له احمد او كما قال قال ما فيهم احد الا وقد سخط منه فعلا او انكر عليه امرا الا اثنان علي وابو بكر فانها لم يقترفا منذ اتى الله بالإسلام امرا اسخطا فيه رسول الله (ص). ويؤيد ذلك قوله (ع) فيما تقدم من خطبته وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل وانما ذكرنا حديث انس وهو اقل ما يذكر من فضله (ع) لان له تعلقا في حال الصغر ومنها ماكان منه (ع) في حصار الشعب وسببه ان قريشا حين رأت ان الدين قد فشا امره

(١) في شرح النهج جزء ٣ صفحة ٢٥١

وظهرت كلمته و كثراهله ورأوا قيام ابي طالب دون رسول الله (ص) وجمعه بني هاشم وبني المطلب على الذب عن رسول الله (ص) ومنعه من ان يصل اليه اذى ورأت ان في ايقادها حربا بالسيف على بني هاشم ربما اوقعها في خلاف الغرض خشيت ان يتعصب بنو عبد مناف لهم فعدلت الى مقاطعتهم وهو المسمى في عصرنا بالحرب الاقتصادية فاجمع رأيهم على ان لا يجالسوا بني هاشم ولا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يعاملوهم وامثال ذلك و كتبوا بينهم في ذلك كتابا عقدوا فيه الأيمان وعلقوه في الكعبة فاجتمع الى ابي طالب بنو هاشم وبنو المطلب ودخلوا معه في شعبه وحوصروا فيه فاشتد البلاء وعظم الخطب وناهم الجهد والضيق ومنعوا ان يصل اليهم من القوت ما يسد رمقهم الا ما كان بوجه السر والاحتيال واستمرت المحنة ثلاث سنين وكان لامير المؤمنين (ع) في ذلك من النصرة العزيزة والخدمة الجليلة والمقامات السامية ما ليس لغيره كعادته في كل احواله واعماله قوة اختصه الله سبحانه بها ونجدة برأه لها وهو يختص بفضله من يشاء. كان ينام في اكثر لياليه مكان رسول الله (ص) خوفا عليه من ان يغتاله احد وكان يخرج بالليل الى من يبعثه له ابو طالب ممن يعرف بالخير من قريش مخفيا نفسه مضائلا شخصه بهيئة السارق ليوصل الى رسول الله (ص) وبقية اهله ما يسد رمقهم ويحفظ حياتهم وهو مع ذلك يعلم احتياط ابي جهل واضرابه[1] ومراقبتهم له وحرصهم على ان لا يصل اليهم شيء من ذلك ويعلم تلظي اكبادهم عليه وحنقهم وتمنيهم ان لو ظفروا به في بعض تلك الخلوات لاراقوا دمه لانه المقصود بعد رسول الله (ص) فإنه الوزير والظهير والمحامي والنصير وقد ذكر هو (ع) ذلك في بعض خطبه قال: فتعاقدوا على ان لا يعاملونا ولا يناكحونا واوقدت الحرب علينا نيرانها واضطرونا الى جبل وعر مؤمننا يرجو الثواب وكافرنا يحامي عن الاصل انتهى فما يقول الرأي العام في خدمة هذا الشاب لصاحب هذه الدعوة ومؤسس هذه الدولة وموازرته له في هذه المواقف الرهيبة والمأزق الحرج والقائه نفسه في المهالك وتعرضه للاخطار حرصا على حياته والفوز بتمام دعوته الا يليق به ان يكون خلفاله ونائبا عنه

(١) ذكر ذلك ابو جعفر الاسكافي كما في شرح النهج ج ٣ ص ٢٥١

ومنها مبيته على فراش رسول الله (ص) واقيا له بنفسه وذلك ليلة امر (ص) بالهجرة من مكة الى المدينه ومجمل ذلك كما رواه كافة المؤرخين هو ان قريشا لما رأت ما آل اليه امر رسول الله (ص) من الظهور والانتشار وبيعة الانصار له وهم قبيلتا الاوس والخزرج ساكنو المدينة وان الإسلام قد فشا فيها وهاجر اكثر المسلمين اليها عقدوا مؤتمرا بينهم في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب حضره منهم ذو السن والرأي ولم يمكنوا احدا من احداثهم من الحضور فيه والدخول معهم في شأنهم تكتما في الامر فذكروا ما وصل اليه امر الاسلام من النمو والعلو وانه يوشك ان تؤلف لرسول الله (ص) من المسلمين قوة تأتي عليهم ويكون بها بوارهم فاجهدوا انفسهم وافرغوا كل ما في وسعهم لدفع ما يوشك ان يصطلمهم والقصة مشهورة وآخر ما اجمع عليه راي ملأهم ان يبيّتوا رسول الله (ص) وينتخبوا من كل بطن من بطون قريش حتى بني هاشم رجلا ويضربوه جميعا باسيافهم فيذهب دمه ولا تطلب به قبيلة بخصوصها وافترقوا على ذلك وان ينجزوا عملهم الليلة المقبلة فاطلع الله سبحانه نبيه على ما اجمعوا عليه من المكر به وكانوا قد اغتنموا فرصة موت ابي طالب (رض) فانه لم يكن ليتهيأ لهم ذلك في حياته ثم انهم وضعوا عليه العيون والمراصد وضبطوا جميع حركاته وفعاله خشية ان يفوتهم تلك الليلة فيفسد عليهم تدبيرهم وراى (ص) في ذلك اليوم تيقظهم له ومراقبتهم احواله وعدم غفلتهم عنه وعلم انه لا نجاة له الا بأن يشبه لهم وجوده في بيته بان يبيّت احدا في فراشه مكانه ليتهيأ له الخروج من مكة ليلا وليت شعري من الذي يطيق احتمال هذا البلاء ويقدم عليه ومن الذي يملك من نفسه تعريضها لظباة السيوف المرهفة والصفاح المشحوذه مختارا غير مكره ولا ملجأ بغير سلاح ولا لامة يحترز بها ويلجأ اليها في الدفاع عن نفسه والذب عن مهجته فإن هذا امر فوق الشجاعة وخارج عن طورها فإن المتناهي في الشجاعة وان كان ربما اقدم على القتل والقى نفسه في الهلكة ولكن يساعده على ذلك امور هي مفقودة هنا منها ان يكون ذلك الشجاع معروفا بالنجدة والباس ويبرأى ممن عرفه بذلك فيمنعه الحياء والانفة من

الفرار فيقتحم الهلكة . ومنها علمه بان فراره لاينجيه بل يوقعه في الاسر بايدي اعدائه فيشتفون بقتله كيف شاءوا ومنها خشيته ان يعيش ذليلا ولم يعتد ذلك ومنها شدة الحنق والغيظ على من يقاتله لترة او خلافها فيرجو ان يصل الى قتله قبل ان يقتل ومنها رؤيته اقرانه وامثاله يتسابقون الى النزال فتدعوه الحمية والعزة الى مساجلتهم ومع كل ذلك فإن له معه ما يدافع به عن نفسه ويعتصم به ويلجأ اليه الا وهو سيفه ولامته فإنها المؤمنة والمشجعة له ولولاها لما خاض الغمرات فاين هذا ممن يدعى الى لقاء اعدائه ومقابلتهم بغير سلاح ولا آلة يدافع بها عن نفسه وهو يعلم تلظي اكبادهم عليه وحنقهم منه وحرصهم على لقائه فإنا لم نسمع بمن اقدم على ذلك وهو سالم العقل معتدل المزاج صحيح الحواس اذا فما الذي يريد ان يفعله هذا النبي الكريم والحكيم العليم والفيلسوف العظيم وقد احيط به وابصر اعداؤه وجه الحيلة واشرفوا على النجاح واستنشقوا ريح الظفر وما بينه وبين ان يستوي على عرش الملك ويستلم زمام السلطان ويعقد نظام الدولة سوى هذه الليلة فمن الذي يهب هذه الليلة نفسه لهذا النبي الذي جاء لتهذيب العالم وتنظيمه وانقاذ الخلق من ظلمات الجهل وقد اشرف على الظفر بمراده وبنيل غرضه فيبيت مكانه ويضمن له بذل نفسه في سبيل خلاصه وانه لا يفعل شيئا يريبهم ببقائه ولا يدلهم على مكانه ولا اين ذهب ولو عذبوه بانواع العذاب فتكون له اليد والمنة على كافة الخلق قبل ان يظفر اعداء الله واعداء الخلق واعداء انفسهم بقصدهم من قتله وهدم بنيانه اجل اين من اخذه هذا النبي من ابيه وضمه اليه وهو طفل يكنفه في فراشه ويمسه جسده ويشمه عرفه ويضع الشيء ويلقمه اياه وما وجد له كذبة في قول ولا خطلة في فعل وكان يتبعه اتباع الفصيل اثر امه وكان يرفع له في كل يوم من اخلاقه علما ويأمره بالاقتداء به ثم لما قام لتنظيم العالم وانشاء الدولة ولم ير من يوازره ويعاضده وينصره اخذ له على عهدته النهوض باعباء الوزاره والقيام باثقال النصرة والمعاضده هذا هو الذي يليق لهذا الامر ويجدر به القيام بهذا الحمل نعم دعاه رسول الله (ص) كما رواه المؤرخون والمفسرون والمحدثون

واسند اليه هذا الامر وفوض اليه العمل به فقال له ان قريشا تحالفت واجمعت على ان تبيتني هذه الليلة واختاروا من كل بطن رجلا الى تمام القصة فامضِ الى فراشي ونم في مضجعي والتف في بردي الحضرمي ليروا انني لم اخرج وإنني خارج إن شاء الله فاجاب ملبيا لدعوته باذلا لمهجته موطنا على لقاء الله نفسه لم يتلكأ ولم يتلعثم ولعمر الله لو اعتذر لكان له في العذر مجال وفي التخلص متسع ولا وصمة عليه في ذلك لو قال ان نفسي لا تطيب بفراقك ولا آمن ان يلحقك العدو فاقيك بنفسي واذب عنك بسيفي وتترك في فراشك احد عبيدنا او بعض اتباعنا أونحو هذا من القول ولكنه عليه السلام يعلم ان راي رسول الله (ص) اعلى من رايه وان هذه المحنة لا يقوى احد على حملها والنهوض بثقلها فاسرع ملبيا ليفوز بهذا النفع العظيم والخير الكثير والفوائد التي لا تحصى وهو يرى ان في قتله حياة العالم باسره فطوبى له فلقد فاز باجرها وطار بفخرها وطوق العالم منة لا منتهى لشكرها وتالله الذي لا آله غيره انها لفضيلة ما سبق لها نظير ولا دون التاريخ لاحد من اعاظم الرجال مثلها الا ما كان لنبي الله اسماعيل (ع) كما نطق به الذكر الحكيم بقوله عز من قائل ﴿ يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ فما يقول الراي العام فيمن يساجل الانبياء ويجاري المرسلين تارة يكون كهارون (ع) ومرة كاسماعيل (ع) ولعظم هذه الاكرومة وجلالة قدرها وبعد شأوها نزلت بها الآيات وتواترت بفضلها الروايات فقد اجمع المفسرون كافة ان قوله سبحانه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين نزلت ليلة الهجرة وان مكرهم هو اختيارهم من كل بطن من بطون قريش رجلا ليقتلوه ويذهب دمه وان مكر الله سبحانه هو مبيت امير المؤمنين على فراش النبي (ص) ليتهيأ له الخروج وان قوله سبحانه ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله انها نزلت فيه ايضا ليلة مبيته على الفراش وروى الزمخشري والثعالبي والرازي في تفاسيرهم وكذا ابن عقبة في ملحمته وابو السعادات في مناقبه والغزالي في احيائه ان الله سبحانه اوحى ليلة الهجرة الى

جبرئيل وميكائيل اني قد آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من عمر صاحبه فايكما يؤثر اخاه بطول العمر فاختار كل واحد منهما طول العمر فاوحى اليهما الا كنتما كعبدي محمد وعلي آخيت بينهما وقد آثر علي اخاه محمدا بطول العمر وبات مكانه واقيّاله بنفسه. اهبطا الى الارض واحفظاه من اعدائه فكان جبرئيل عند راسه وميكائيل عند رجليه وهما يقولان بخ بخ لك يا علي من مثلك وقد باهى الله بك ملائكته وانه ليحزنني ويحزن كل منصف صحيح الوجدان خارج عن ربقة المقلدين ان نرى جملة من علماء المسلمين من المؤرخين والمفسرين يمرون بذكر هذه الفضيلة ساهين غافلين كانها من اقل الفضائل وادنى المناقب لا يترنحون طربا ولا يبتهجون سرورا وعجبا وتالله انها لمنتهى منازل الفضل وقصاري غاياته لا يدرك الوهم مداها ولا يحيط الفكر بمعناها ولا عذر لهم في ذلك اللهم الا ماعتذر به عبدالله بن الزبير حين عوتب على تركه الصلاة على النبي (ص) في خطبته فقال انا نحب رسول الله (ص) ولا نبغضه ولكن له اهيل سوء اذا ذكرناه بخير اتلعوا اعناقهم ورفعوا رؤوسهم. وهؤلاء لو اعطوا فضائل امير المؤمنين من الاعظام والتبجيل حقها وقدروها قدرها لاتلعت الشيعة اعناقها ورنحت اعطافها وعن بعض علمائهم انه قال لقد بغضت الشيعة الينا ذكر علي بن ابي طالب بكثرة اطرائهم له الا وان في مدح الله ورسوله له لغنى عن مدح المادحين وتقريض الواصفين ولقد حاول جماعة منهم ان يغمصوا هذه الفضيلة حقها ويحطوا بزعمهم قدرها منهم ابن الاثير (١) فقال ان رسول الله (ص) قال له لا يخلص اليك شيء تكرهه والعجب انه ذكر بعدها بكلمات يسيرة انهم ضربوه واخرجوه الى المسجد وحبسوه ساعة ثم اطلقوه وهذا تكذيب للزيادة في الحديث وهي انه لا يصل اليك شيء تكرهه ليحق الله الحق ويبطل الباطل ولو سلم صحة هذه الزيادة وانه انما القى نفسه بين يدي اعدائه ومن يرومون قتله وعرض مهجته لشفارهم المرهفة

(١) في كتابه الكامل جزء ٢ صفحة ٣٨ وسبقه الجاحظ

لأن رسول الله (ص) اخبره بانه لا يناله اذى وان الله سيدفع عنه شرهم فيكون قول الله ورسوله عند امير المؤمنين بمنزلة الوجدان وقائما مقام المشاهدة والعيان وهذه المرتبة من الايمان واليقين هي اعلى مراتب الصديقين وافضل مقامات النبيين واشرف درجات المرسلين لم يدعها ابراهيم خليل الرحمن عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام حين قال ربي ارني كيف تحيي الموتى قال او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فدل على ان ايمانه لم يصل الى درجة المشاهدة والعيان ولا كذلك موسى على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام كما اخبر عنه سبحانه بقوله فإذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس في نفسه خيفة موسى ولم ينقل احد من اعداء امير المؤمنين والمتصدين لمحو فضائله انه تلكأ، او تتعتع او اوجس في نفسه خيفة حين دعي للمبيت على الفراش وكم اراد اعداء هذا الرجل ان يذموه فمدحوه وان يضعوه فرفعوه وان يهينوه فاكرموه ليصدق قوله سبحانه يريدون ليطفئوا نورالله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وبحق قال (ع) لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا وبهذه الرتبة من الايمان كان يجود بنفسه على رسول الله (ص) ويبذلها له في كل مواطنه ومواقفه وليت شعري الم يسمع اصحاب رسول الله (ص) قوله سبحانه ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا وقوله سبحانه ولا يحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فما بالهم لم يبيعوا انفسهم باجمعهم لله فيربحون الجنة ويحيون الحياة الابدية عند ربهم وكيف فروا يوم احد وحنين ولم يستبقوا لبراز عمرو يوم الاحزاب وما بال الاكابر منهم لم يدون التاريخ لهم قتل احد من المشركين الم يكونوا مؤمنين بهذه الآيات كلا بل آمنوا بها ولكن لم يصل الايمان الى درجة الاطمئنان واليقين. بربك خبرني هل رأيت او سمعت ان تاجرا دابه السعي وراء الربح يستيقن الربح في سلعة من السلع ولا يتجر بها كلا وانما يمنعه من الاتجار بالسلعة عدم العلم بالربح وخوف الخسران

ولو بلغ اصحاب رسول الله (ص) هذه الرتبة من الايمان ما فر عنه احد ولبذلوا كما بذل امير المؤمنين وجادوا كما جاد ولقد احتج عليهم بذلك طلحة بن ابي طلحه سيد بني عبد الدار وصاحب لواء قريش يوم احد فقال يا معاشر اصحاب محمد انكم تزعمون انكم تعجلوننا باسيافكم الى النار ونعجلكم باسيافنا الى الجنة فهل من رجل يعجلني بسيفه الى النار او اعجله بسيفي الى الجنة فانتدب له امير المؤمنين (ع) وقال والذي نفسي بيده لا افارقك حتى اعجلك بسيفي الى النار او تعجلني بسيفك الى الجنة (١) ثم حمل عليه فضربه على هامته ففلقها ونظير هذه المقالة قالها عمرو ابن عبدود ايضا يوم الاحزاب حين اقتحم الخندق واحجم عنه اصحاب رسول الله (ص) كلهم قال يا معاشر المسلمين اين جنتكم التي تزعمون ان من قتل منكم دخلها فانتدب له امير المؤمنين وقتله وسيتلى عليك ذلك مفصلا ان شاء الله. هكذا يفعل الموقنون بوعد الله سبحانه حيث يقول وعدا عليه حقا فيبيعون انفسهم لله ويمشون الى العدو فإن قتلوه فهو المراد وان قتلهم فازوا بالجنة وهو معنى قوله سبحانه فيقتلون ويقتلون والواو هنا بمعنى او والله اعلم ولقد قال (ع) لولده الحسن ع يوم صفين حين فرت ميمنة اهل العراق وتوجه نحو القلب يمشي رويدا وقد قال له ولده الحسن (ع) وقد راى اقتراب العدو منه سبحان الله ما يمنعك ان تسرع الى هؤلاء الذين ثبتوا وتقف معهم يابني ان اباك لا يبالي وقع على الموت ام وقع الموت عليه وهذا هو عين اليقين بوعد الله وحقيقة الايمان ومنتهى التصديق به ولقد كانت سلامته من القتل ليلة مبيته على الفراش من الطاف الله وعنايته وحسن توفيقه لما يريده الله سبحانه بهذه الامة من الخير اعلاء لمجدها واعلانا لشانها لأنه سيف الرسالة ووزير النبوة فإن الملأ الذين تآمروا على قتل النبي (ص) وانتخبوا للفتك به كانوا قد اجمعوا على تنفيذ ذلك وامضائه تلك الليلة وكان المظاهر لهم من بني هاشم ابو لهب ولما انتهوا الى الدار وهموا بالهجوم على فراش رسول الله (ص) ادركت ابا لهب رقة ورافة باهل الدار من النساء والاطفال وخشي

(١) رواه ابو الفرج في الاغاني جزء ١٤ وكذا الطبري

ان تلحقهم في ظلام الليل دهشة وذعر وربما هلك بعضهم فوقف في وجه القوم ولم يدعهم يدخلونها وقال نتربص طلوع الفجر لنميز الرجل من المرأة ورأوا منه الجد في ذلك فلم يسعهم خلافه خشية ان يفسد عليهم تدبيرهم فقاموا يرقبونه وهم لا يشكون انه في مضجعه وقد كان خرج من بينهم ولم يشعر به احد فهتف بهم ابليس كما روي بخروجه فلم يصغوا اليه لما يشاهدونه من وجوده ملتفا ببرده الحضرمي ولما طال انتظارهم وقد رايهم ماسموه من الهاتف اخذ بعضهم يرميه بالحجارة وكان قد طلع الفجر وامن امير المؤمنين على رسول الله (ص) من الاتباع فقام من الفراش فلما رآه المشركون وقد فاتهم رسول الله (ص) سألوه عنه فقال لا علم لي به فاخذوا يضربونه ليدلهم عليه واين ذهب فلم يجدهم ذلك ثم حبسوه وقد هموا بقتله ولكنهم شغلوا عن ذلك بطلب رسول الله (ص) في كل وجه وسقط في ايديهم واذا اراد الله امرا هيأ أسبابه ولما امن رسول الله (ص) من الطلب وتوجه الى المدينة دار سلطانه وعاصمة ملكه ارسل الى امير المؤمنين (ع) يامره باداء ما عنده من الامانات والودائع لانه صلى الله عليه وآله مع ما كان بينه وبين قريش لم تكن تتهمه باداء الامانات فكان عيبة ودائعهم واماناتهم ولم يكن واحد من اهل بيته واصحابه يعلم اسراره ومطلعا على خفايا اموره غير امير المؤمنين شان الوزير والمستشار ولما فرغ (ع) من فعل ما امر به لحق برسول الله (ص) على خوف من قريش فكان يكمن النهار ويسير الليل على قدميه من غير رفيق ولا دليل ولم يكن سافر قبلها الى المدينة ولا عرف طريقها هداية من الله سبحانه حتى وصلها وقد تفطرت قدماه فقال النبي «ص» ادعوا لي عليا فقيل لا يقدر على المشي لما به فاتاه النبي فاعتنقه وبكى رحمة لما به من تفطر قدميه وورمهما شان الاب الرؤوف بالولد الأبر ثم تفل في يده وامرها عليهما فبرئتا ولم يشتكهما بعد ذلك الى ان قتل (ع) (١) هذه نبذة من احواله (ع) الى زمن الهجرة وهي مما اجمع عليه اهل السير والثقاة من المؤرخين والمفسرين فاني لم اذكر في هذه الكلمة

(١) ابن الاثير صفحة ٤٠ جزء ٢٠

الاما اشتهر نقله واستفاضت روايته بين علماء الشيعة والسنة من مناقبه وخصائصه (ع) فان بها تقوم الحجة وتدحض الشبهة ولو اردنا ان نذكر كل ماورد في فضله (ع) من طريق اهل السنة فقط لجاء عدة مجلدات فمن تامل ماذكرناه بعين الانصاف وكان سليم الوجدان ادرك ما لهذا الرجل من العظمة عند الله وعند رسوله (ص) وكبر نفسه وبعد همته وفضله على هذه الامة العربية ويده الجسيمة عندها في تأسيس الدولة وانشائها وانه احق بادارتها بعد النبي «ص» البس من الاسف والخسران ان يرمقه فلاسفة الشرق والغرب من غير المسلمين بأبصارهم وينظرون اليه كأعظم رجل من رجال العالم وفئة كثيرة من المسلمين ينظرون اليه شزرا ولا يستطيعون له ذكرا ولا يدونون له فضلا وبعض اولائك الفئة يقرنه بمعاوية وربما فضل معاوية عليه ولا نرى بقية المسلمين يبرأون الى الله من تلك الفئة الا ذلك هو الخسران المبين

ومنها مواخاة رسول الله «ص»

ذكر كافة المؤرخين ونقلة الاثار ومن عني بتدوين احوال الصحابة كالإمام احمد والترمذي والواقدي وابن اسحق والبلاذري ومحمد بن سعد وابن عبد البر بالفاظ متقاربة مع اتحاد المعنى ان رسول الله «ص» بعد ان هاجر الى المدينة واطمأنت به الدار آخى بين المهاجرين ثم آخى بين المهاجرين والأنصار فآخى بين حمزة بن عبد المطلب (ع) وزيد بن حارثة وآخى بين ابي بكر وعمر وآخى بين عثمان وعبدالرحمن بن عوف وآخى بين الزبير وعبدالله بن مسعود وقيل طلحة وآخى بين سعد بن ابي وقاص ومصعب بن عمير وآخى بين المقداد بن عمرو وجابر بن صخر وآخى بين عبيدة بن الحارث ابن المطلب وبلال وآخى بين عمار وحذيفة بن اليمان وفي استقصائهم يطول الكلام وكل هؤلاء قالوا آخى رسول الله (ص) بينه وبين علي بن أبي طالب رووا ذلك بعدة طرق تزيد على العشرين طريقا بالفاظ مختلفة نقتصر على ذكر بعضها خوف الاطالة واعتمادا على شهرته بين المسلمين ولا ينكره الا ناصب او مكابر

ففي الطبقات(١) ان النبي (ص) حين آخى بين اصحابه وضع يديه على منكب علي (ع) ثم قال انت أخي ترثني وارثك اه

وفي مسند احمد عن زيد بن ابي اوفى قال آخى رسول الله (ص) بين اصحابه فقال علي يا رسول الله (ص) آخيت بين اصحابك ولم تواخ بيني وبين احد فقال والذي بعثني بالحق نبيا ما اخرتك الا لنفسي وروى الترمذي عن ابن عمر قال آخى رسول الله (ص) بين اصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله (ص) آخيت بين اصحابك ولم تواخ بيني وبين احد فقال رسول الله (ص) انت اخي في الدنيا والآخرة ورواه ايضا عن زيد بن ابي اوفى ذكر ذلك صاحب الينابيع. وطالما فخر (ع) بذلك بمرأى ومسمع ومنتدى وبجمع من اعدائه وحاسديه على اعواد المنابر وفي صدور المحافل كان يقول انا عبد الله واخو رسوله لا يقولها احد غيري الا كاذب أومفتر ولم يجحد ذلك منهم احد ولا انكره منكر وقد احتج به على اهل الشورى قال انشدكم الله هل فيكم احد آخى رسول الله (ص) بينه وبينه غيري قالوا اللهم لا(٢) وافتخر يوم بدر حين برز هو وحمزة وعبيدة لعتبة وشيبة والوليد فقيل لحمزة من انت قال انا اسد الله واسد رسوله وقيل لعلي من انت فقال انا عبد الله واخو رسوله وقيل لعبيدة من انت فقال انا الدين في الحلف. ذكر ذلك محمد بن سعد في الطبقات في غزوة بدر. فما يقول الرأي العام في هذه المؤاخاة وهل لغايتها مدى وهل لذروتها في

(١) لمحمد بن سعد كاتب الواقدي وهو عند اهل السنة من الموثوق بهم مقبول الرواية معتمد على نقله وقد مدحه صاحب ميزان الاعتدال واثنى عليه ثناء حسنا وكتابه من الكتب المعتبرة عند اهل السنة المعول عليها وقد طبع بالمانيا سنة ١٣٢١ هـ

(٢) روى ذلك ابن عبد البر في الاستيعاب في احوال علي (ع)

فضاء الفضل منتهى هيهات بعد مداها ونأى عن الإدراك ذراها فلو حام الفكر حولها لزل أورامها الوهم لأعياو كل فسبحانك اللهم واهب العطاء تختص بكرامتك وفضلك من تشاء فيا ايها الراي العام المؤمن برسول الله(ص) المنزه له عن الغايات المبرء له من التهم والمحاباة المقدس لاعماله المقتدي به في كل افعاله ما ترى في هذا المشهد الذي يقوم فيه هذا النبي العظيم والرسول الكريم والفيلسوف الحكيم يجمع اصحابه واولياءه انصار الدعوة واركان الدولة وسادة الأمة بعد ان درس احوالهم وسبر غورهم وعرف اخلاقهم فيختار لكل واحد منهم قرينا منهم يشاكله في صفاته ويشابهه في اخلاقه فيأمره بمؤاخاته واتخاذه خليلا وانما فعل ذلك ليؤكد بينهم المحبة ويغرس في نفوسهم روح التعاون والمواساة فإن عليها يدور النجاح وبها تتم الاعمال وتبلغ الغايات وهي التي عرجت بهذه الأمة الى اوج المجد واعطتها مقاليد الامم وملكتها نواصي الملوك واقاليم الارض فلله هو من سانس ما اعلمه وحكيم ما اعظمه ثم ينتقد من بينهم شابا فيصطفيه لنفسه ويختاره على جميع اصحابه فما يقال لهذا الشاب وماذا نصفه اذا اردنا تقريظه والثناء عليه هيهات خرست البلغاء واحصرت الخطباء وتاهت العلماء عن اداء حقه من التبجيل والإطراء وما عسى ان يقال فيمن هو خير هذه الأمة واعظمها قدرا وارفعها منزلة واقربها برسول الله(ص) شبها الا ترى ان هؤلاء الذين انتقاه رسول الله (ص) من بينهم واختاره عليهم وآخاه دونهم هم صفوة الخلق وخيرة الامة وافضل اهل زمانهم لا يرتاب في ذلك مسلم ولقد كان فيهم من هو اقرب منه نسبا وابعد ذكرا كعمه الحمزة اسد الله واسد رسوله وكان قريبا له في السن واخاله من الرضاعة وفيهم

من هو من اهل السبق والسن كالخلفاء الراشدين ابي بكر وعمر وعثمان وفيهم من هو من ذوي الرياسة كسعد بن عباده سيد الخزرج والمطاع فيهم وكسعد بن معاذ سيد الاوس والمبجل فيهم وعن امره يصدرون فما بال سيد الحكماء وافضل العقلاء اختار من بين هؤلاء الذين ذكروا هذا الشاب وهو بمنزلة ولده في السن فإنا لم نرَ سببا لمواخاته سوى فضله وانه احد ركني هذه الدولة واقوى عامل في رقيها واشبههم به واطوعهم له واحوطهم عليه واقومهم باعباء الدولة بعده ولو كان فيهم من هو اعظم منه فضلا وأجل قدرا واقرب من الله سبحانه منزلة ووسيلة لكان رسول الله(ص) له ظالما في هضمه حق الافضل وتأخيره وهو المقدم وكذلك الكلام في المساوي في الفضل فإن تقديم رجل على آخر مثله في الفضل يخالف الحكمة وينافي العدل ورسول الله(ص) بريٌ من كل ذلك ومنزه عنه ومن كان يعرف سببا لاختيار رسول الله(ص) له اخا غير الا فضلية فليدلنا عليه ولو كان ثمة سبب غير الفضل لعرفه واهتدى اليه أعداؤه وحاسدوه والمولعون بتنقيصه ونحو فضله ولنقضوا عليه مفخره حين يقول انا عبد الله واخو رسوله لا يقولها احد غيري الا كاذب او مفتر فلقد ظهر بحمد الله تعالى للرأي العام ان اختيار رسول الله (ص) لهذا الشاب وانتقاءه من بين اولئك الكهول والشيوخ الذين سابقوا الى الإيمان والنصرة واخذوا النصيب الاوفر من الفضل والجلالة والعظمة والرياسة ليس الا لأنه اعظمهم فضلا واقدمهم سبقا واعرفهم بالله واحبهم الى رسول الله(ص) واعلمهم بالسياسة واقومهم باعباء الدولة واحقهم بمنصب الرئاسة وهو (ص) لم يختره ويصطفيه يوم المؤاخاة فقط وانما اختاره وهو غلام كما سمعته وتلي عليك يوم سمع رنة الشيطان وكذلك يوم جمع عشيرته

الاقربين وهذه هي سيرة الانبياء وحكماء الملوك في من يريدون نصبه من بعدهم لامتهم فينبهون في المحافل وعند المسابقة في الفضائل على انه افضل الامة وخيرها لتغرس في النفوس عظمة ذلك المرشح ومنزلته ومحبته فلا يطمع في مزاحمته حينئذ طامع ولا يخشى عليه من منازع وهذا جلي واضح لمن تأمل وانصف. فإن كنت في شك من ذلك فمثل لنفسك هذه الرواية وهي لو ان ملكا من ملوك زماننا كان محبا لامته حريصا على ما يصلحهم قد اداب نفسه واتعب جسمه في اصلاحهم وبذل في سبيل ذلك كل ثمين وجاد بكل عزيز فاغناهم بعد الفقر واعزهم بعد الذل وحررهم بعد الرق وجعلهم ملوكا بعد ان كانوا مماليك وامراء بعد أن كانوا صعاليك فراحوا يرفلون في العز بعد الامتهان ويمرحون في النعمة بعد شقاء العيش والهوان فما تكون منزلة هذا الملك عند امته وما محله في نفوسهم ما شئت فقل بعد ان تسبر احوال الامم وتدرس ما دونوه لاعاظم رجالهم فلو ان هذا الملك جمع ارباب دولته ومن بيدهم ازمة الادارة من وزراء وقواد وعمال وامثالهم واختار لكل واحد منهم شبيها ومثالا فقرنه اليه وآخاه به ثم اختار لنفسه من بينهم واحدا واتخذه اخا كيف تجد في نفسك منزلة هذا الأخ عند هذه الأمة ومحله في نفوسهم فاذا تمثلت لديك هذه الرواية عرفت منزلة امير المؤمنين ومحله وقدره ونبذت الترهات وعرفت الحقائق من الخيالات وبالله اقسم قسما مبرورا لو لم يغرس الناصبون والحاسدون في نفوس بعض المسلمين ما غرسوه من الكذب والزور وموهوه من الشبه ودلسوا عليهم الامر لما ارتاب في امر امير المؤمنين (ع) مسلم ولكن ما الحيلة في هذه الأمة وما الدواء لها هيهات انقطعت الحيل واعيا الداء ولقد كان (ص) يتحرق على هذه الامة اسفا ويتقطع عليها حسرة وحنقا

حتى نزل قوله سبحانه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فيا ليت شعري ما الذي نقمته هذه الامة من امير المؤمنين حتى وضعت قدره وصغرت شانه وانزلته بغير المنزلة التي انزله الله ورسوله فيها اتتهم نبيها وولي نعمتها واشفق الناس عليها وارأف الخلق بها بالميل والمحاباة والله سبحانه يقول لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . اللهم اصلح امر هذه الأمة واهدها سبيل الرشاد وخذ بناصيتها الى الحق انك ولي ذلك والقادر عليه

﴿ احواله (ع) في حروبه واولها بدر الكبرى ﴾

لما تم لرسول الله(ص) الخروج من مكة وانجاه الله سبحانه من كيد الظالمين ومكر الكافرين اقبل على شانه وما ارسله الله له فاخذ في نظم الجيش وتدريبه وتثقيفه وتهذيب اخلاقه وتلقينه الدين وتعليمه قواعد الشريعة فإن الجيش من السلطان وبه نمو الدولة وقوامها وكانت همته(ص) منصرفة نحو اقتياد قريش واخضاعها لإرادته فإنهم قلب العرب ومرمى انظارهم والناس لهم تبع فمتى استقاموا وانقادوا استقامت العرب وانقادت فاخذ(ص) يرسل السرية اثر السرية تعترض عير قريش وتجارتها لاخذ اموالها وإنعاش العسكر بها وتشجيعا لاصحابه وتمرينا لهم على القتال وارهابا لاعدائهم فلقد كانت قريش تنظر اليهم نظر ازدراء واحتقار حتى كانت وقعة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة وهي الوقعة التي أعزت الاسلام وارست قواعده وبها كان ظهور الدولة وطلوع نجمها وكان لسوطها دوي في العالم ملأ مسامع الملوك وارجف قلوبهم فكانت العرب بعدها تنظر الى رسول الله(ص) بعين الرهبة والعظمة والهيبة وتعلقت الآمال به وثبتت القلوب على حبه وتوجه الخوف والرجاء نحوه وقوي

ايمان اصحابه بما كان يعدهم به من الظهور والاستيلاء على ملوك الارض فصدق عزمهم واشتدت جرأتهم وازدادوا بصيرة في دينهم ويقينا في امرهم ولولا نصر الله سبحانه لهم في ذلك الموطن لما كان للدين والدولة عين ولا اثر وقد قال (ص) ذلك اليوم[1] اللهم ان تهلك هذه العصابة لاتعبد وان شئت الا تعبد لاتعبد . وان انتصارهم يوم بدر لمن آيات النبوة ومعجزات الرسالة ويعلم ذلك من راجع الغزوة في الكتب المفصلة

ومجملها ان رسول الله (ص) بلغه ان عير قريش فصلت من مكة تريد الشام وان اموال قريش كلها مجموعة فيها فندب اصحابه لها فخف معه منهم مائة وخمسون رجلا وخرج بهم يعترضها وقد فاتته ذاهبة الى الشام فرجع ولم يلق حربا ولما توجهت العير راجعة من الشام لقيهم رجل من جذام واخبرهم باعتراض رسول الله (ص) لعيرهم وقال انه ينتظر رجوعكم ويعد لكم الايام عدا فائتمروا فيما بينهم واجمع رأيهم على ان يرسلوا رجلا منهم يسمى ضمضم بن عمرو يستنفر قريشا ليمنعوا عيرهم من رسول الله (ص) واصحابه فسار يجد السير ليلا ونهارا وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت في منامها قبل مجيء ضمضم رؤيا افزعتها وعظمت في صدرها. فقالت لاخيها العباس اني رأيت رؤيا اهالتني واتخوف ان يدخل على قومك منها شر فقال ما هي قالت رأيت راكبا اقبل على بعير حتى وقف بالأبطح ثم صاح باعلى صوته ثلاثا يا آل غدر انفروا الى مصارعكم في ثلاث فأرى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه اذ مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها ثلاثا ثم مثل به بعيره على رأس ابي قبيس فصرخ بمثلها ثلاثا ثم اخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوي حتى اذا كانت في اسفل

(١) أي يوم بدر

الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة الا دخله فاذة منهـا فقال العباس ان هذه لرؤيا فشاعت في مكة فلقي ابو جهل العباس فقال له ما كفاكم ان تتنبأ رجالكم حتى تنبأت نساؤكم وسنتربص بكم ثلاثا فإن يكن ما قالت حقـا فسيكون والا نكتب عليكم انكم اكذب بيت في العرب قال العباس فلم يسعني الا الجحود وانكرت ان تكون عاتكة رأت شيئا فلما امسيت لم تبق امرأة من ولد عبد المطلب الا جاءت تلومني على احتمالي من ابي جهل فقلت لئن عاد كفيتكن اياه قال العبـاس فلما كان اليوم الثالث خرجت اتعرض لأبي جهل وانا مغضب اذكر ما احفظني به النساء من مقالتهن فلما رأيته توجهت نحوه لعلني انال منه بعض ما فاتني فاقبل يشتد خارجا من المسجد فقلت ما باله لعنه الله اكل هذا فرقا من ان اشاتمه فاذا هو قد سمع ما لم اسمع سمع صوت ضمضم ينادي يا معشر قريش يا آل لوي بن غالب اللطيمة اللطيمة قد عرض لها محمد في اصحابه الغوث الغوث والله ما ارى ان تدركوها وقد جدع اذني بعيره وشق قميصه قبلا ودبرا وحول رحله . اوصاه ابو سفيان بكل ذلك فلم تملك قريش مـن امرها شيئا . نفرت على الصعب والذلول وشغل بعضهم عن بعض واراد بعضهم التخلف عن المضي لرؤيا عاتكة فاحرجهم ابو جهل واهاجهم حتى خرجوا الا ابا لهب فلم يخرج ولم يحرجه ابو جهل خشية منه واما ابو سفيان ومن معه من اهل العير فإنهم بعد ارسالهم ضمضما اقبلوا يجدون السير وتنكبوا الطريق وساحلوا بالتجارة حتى احرزوها وامنوا عليها ولما علم رسول الله (ص) برجوع ابي سفيان من الشام وظن قربه منه ندب الناس للخروج واعلمهم ان اموال قريش وخزائنها في تلك التجارة فخف معه ثلاث مائة وثلاث عشرة رجلا ولما امن اهل العير على تجارتهم وعلموا

بخروج قريش وخروج رسول الله (ص) ارسل ابو سفيان الى قريش يأمرهم بالرجوع فاختلفت كلمتهم وقام بالامر ابو جهل يحرض الناس ويعدهم النصر وقال لهم من جملة كلامه اننا بعد استئصالنا محمدا والمقترين به نقيم في بدر[1] ثلاثا ننحر الجزر ونطعم الطعام ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان فلا تزال العرب تهابنا ابدا وقد كانوا خرجوا بخيلهم وخيلائهم عليهم البيض والدروع مظهرين الفخر والمباهاة وعدتهم تسعمائة وخمسون مقاتلا وقادوا مائة فرس بطرا وخرج رسول الله فيمن خف معه من اصحابه وكانوا من الفاقة وضعف الاستعداد على اسوء حال كان معهم فرس واحد وقيل اثنان وكان مع الثلاثة والاربعة والخمسة بعير واحد يعتقبونه

كان رسول الله (ص) وعلي وزيد يعتقبون بعيرا واحدا فإذا كانت عقبة النبي (ص) قالا اركب حتى نمشي عنك فيقول ما انتما باقوى على المشي مني ولا انا باغنى عن الاجر منكما (هذه هي النفس القدسية والخليقة النبوية) ولما عرضوا على رسول الله (ص) ورأى ما بهم من البؤس قال اللهم انهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فاشبعهم وعالة فاغنهم من فضلك فاستجاب الله سبحانه لنبيه ورجعوا على احسن حال وافضله بما اصابوا من الغنيمة وسار رسول الله (ص) حتى نزل وادي بدر وكان قد علم بمسير قريش وارسل عليا (ع) والزبير وبسيس بن عمر يتجسسون على الماء فوجدوا روايا قريش فيها سقاوهم فاسروهم وافلت منهم جماعة فيهم رجل يسمى عجير

مضى يشتد وهو ينادي يا آل غالب هذا ابن ابي كبشة واصحابه فماج العسكر وكرهوا ما جاء به وامتنعوا من الطعام ولقي بعضهم بعضا

(١) بدر سوق من اسواق العرب تجتمع فيه كعكاظ

وكانوا عازمين على الرجوع لولا ابو جهل وعقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث وهؤلاء كانوا اشد الناس تحريضا على رسول الله (ص) وجاء علي (ع) ومن معه بالاسرى من السقائين فاقبل المسلمون يسألونهم عن ابي سفيان فقالوا لا علم لنا به نحن سقاة قريش فكرهوا خبرهم ورجوا ان يكونوا لابي سفيان فاقبلوا يضربونهم فقالوا نحن لابي سفيان والعير بهذا الفوز فامسكوا عنهم وكان رسول الله (ص) يصلي فلما فرغ قال لاصحابه ان صدقوكم ضربتموهم وان كذبوكم تركتموهم فقالوا يا رسول انهم يقولون انهم لقريش قال نعم ان قريشا اقبلت تمنع عيرها ثم اقبل على السقاة فقال لهم اين قريش فقالوا خلف هذا الكثيب الذي ترى قال كم هم قالوا كثير قال كم عدتهم قالوا لا ندري قال كم ينحرون قالوا يوما عشرة ويوما تسعة فقال القوم ما بين الالف والتسعمائة فقال من خرج من اهل مكة قالوا لم يبق احد به طمم ثم تركهم والتفت الى اصحابه وقال هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها فاشيروا علي فقال الحباب بن المنذر يا رسول الله اهذا المنزل انزلكه الله ام هو الحرب والمكيدة فقال (ص) بل هو الحرب والمكيدة فقال انطلق بنا يا رسول الله الى ادنى مياه القوم فإني عالم بها وبقلبها فانطلق (ص) ونزل بالعدوة الدنيا من الوادي ونزلت قريش بالعدوة القصوى فأرسل رسول الله (ص) اليهم عمر بن الخطاب يقول لهم ارجعوا لا حاجة لي في قتالكم ولأن يلي هذا الامر مني غيركم احب الي من ان تلوه مني فقال حكيم بن حزام قد عرض نصفا فاقبلوه ولئن رددتموه لا تنصرون عليه ابدا فقال ابو جهل لا نرجع بعد ان اظفرنا الله بهم ولا نطلب اثرا بعد عين ولا يعرض لعيرنا بعد هذا اليوم ابدا ثم اصطفوا للقتال وكان اول من برز من المشركين عتبة بن ربيعة بن عبد شمس واخوه شيبة وابنه الوليد

فبرز لهم ثلاثة من الانصار فقالوا لا حاجة لنا الى قتالكم ثم نادوا يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا فدعا رسول الله (ص) عليا وحمزة وعبيدة وقال قوموا فقاتلوا عن حقكم الذي بعث الله به نبيكم اذ جاء هؤلاء بباطلهم ليطفئوا نور الله فلما برزوا وانتسبوا لهم قالوا اكفاء كرام وبارز حمزة عتبة فلم يمهله ان قتله وبارز علي الوليد فلم يمهله ان قتله وبارز عبيدة شيبة فاختلفت بينهما ضربتان سبقه شيبة بضربته فاصابت عضلة ساقه فقطعتها وكر علي وحمزة على شيبة فقتلاه ولما رأى حنظلة بن ابي سفيان ما فعل علي بالوليد وكان خاله حمل عليه حتى إذا دنا منه ضربه علي (ع) بالسيف على وجهه فخر قتيلا ثم التحم القتال واشتدت الحرب وباشر رسول الله (ص) القتال بنفسه فعن علي (ع) قال لما كان يوم بدر وحضر البأس اتقينا برسول الله (ص) وكان من اشد الناس بأسا يومئذ وما كان احد اقرب الى المشركين منه. وعن عمر بن الخطاب (رض) قال لما كان يوم بدر نظرت الى رسول الله (ص) يثب بالدرع وثبا وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وروى الواقدي عن علي (ع) قال لما كان يوم بدر اركبني رسول الله (ص) فرسا[1] فلما جرت بي خررت على عنقها ومالي وللخيل فدعوت ربي فامسكني حتى استويت فلما استويت طعنت فيهم بيدي هذه حتى اختضبت مني ذي يعني ابطه .

ثم كسر الله شوكة المشركين وفل حدهم قتل منهم من قتل واسر من اسر وفر الباقون في كل وجه هذه هي الوقعة التي عم المسلمين نفعها وغمرهم خيرها اذلت اعداءهم وانعشت فقيرهم وثبتت قلوبهم ونالوا بها من العز والثراء ما لم ينالوه في موطن قط وكانت هي اساس ملكهم

(١) كانت اخذت من المشركين غنيمة

وقاعدة سلطانهم ولقد طار امير المؤمنين بذكرها وحاز مجدها واستأثر بفضلها فقد اظهر فيها من البسالة والنجدة والبأس ما اطاش الالباب واذهل العقول وجبن شجعان العرب وصناديدها وصغر شأنها ووضع قدرها فلقد احصي من قتل يوم بدر فكان نصف من قتل بسيفه والنصف الآخر لبقية العسكر(١) وكان يعتمد بقتله كل من كان شديد العداوة لرسول الله (ص)

(١) قال الواقدي (١) حنظلة بن ابي سفيان قتله علي «١» (٢) الحارث بن الحضرمي قتله عمار (٣) عامر بن الحضرمي قتله عاصم بن ثابت (٤) عمير بن ابي عمير قتله سالم مولى ابي حذيفة (٥) عبيدة بن سعيد بن العاص قتله الزبير بن العوام (٦) العاص بن سعيد بن العاص قتله علي «٢» (٧) عقبة بن ابي معيط قتله عاصم بن ثابت (٨) عتبة بن ربيعة قتله حمزة (٩) شيبة بن ربيعة شركا في قتله علي «٣» (ع) وحمزه (١٠) الوليد بن عتبة قتله علي «٤» (ع) (١١) عامر بن عبدالله بن انمار قتله علي «٥» (١٢) الحارث بن نوفل قتله خبيب بن يساف (١٣) طعيمة بن عدي قال بن اسحاق قتله علي «٦» (ع) (١٤) زمعة بن الاسود قتله ابو دجانه (١٥) الحارث بن زمعة قتله علي «٧» (١٦) عقيل بن الاسود قتله علي «٨» (١٧) عبداللات بن المنذر قتله علي «٩» وهو يظنه اباجهل (١٨) حرملة بن عمرو قتله علي «١٠» وهو يظنه ابا جهل (١٩) ابو البختري قتله المجدر (٢٠) نوفل بن خويلد قتله علي «١١» (٢١) النضر بن الحارث قتله علي «١٢» صبرا (٢٢) زيد بن مقاص قتله علي «١٣» (٢٣) عمير بن عثمان قتله علي «١٤» (٢٤) عثمان بن مالك قتله صهيب (٢٥) ابو جهل قتله عبد الله بن مسعود (٢٦) العاص بن هاشم بن المغيره قتله عمرو بن يزيد وحليف لهم (٢٧) قتله عمار بن ياسر وقيل قتله علي «١٥» (٢٨) ابو قيس بن الوليد قتله علي «١٦» (٢٩) ابو قيس بن الفاكه قتله حمزه (٣٠) مسعود بن ابي امية قتله علي «١٧» (٣١) امية بن عائذ قتله سعد بن الربيع (٣٢) ابو المنذر بن رفاعه قتله معن بن عدى (٣٣) عبد الله بن ابي رفاعه قتله علي «١٨» (٣٤) زهير بن ابي زمعه قتله ابو اسيد (٣٥) السائب بن ابي رفاعه قتله عبدالرحمن بن عوف (٣٦) السائب بن السائب قتله الزبير (٣٧) الاسود بن عبد الاسد قتله حمزه (٣٨) عمرو بن شيبان قتله يزيد بن قيس (٣٩) جابر بن سفيان قتله ابو بردة (٤٠) حاجز بن السائب قتله علي «١٩» (٤١) عوير بن عمر

لقي طعمة بن عدي وكان من رؤس اهل الضلال وكان مقنعا بالحديد فشجره بالرمح وقال له والله لا تخاصمنا في الله بعد اليوم ابدا وقتل نوفل ابن خويلد وكان من اشد الناس عداوة لرسول الله(ص) وكانت قريش تعظمه وتطيعه وهو الذي قرن ابا بكر وطلحة واوثقهما بحبل وعذبهما الى الليل حتى سئل فيهما ولما علم رسول الله (ص) بحضوره بدرا قال اللهم اكفني ابن العدوية و كان لصوته زجل يوم بدر كان ينادي يا معشر قريش ان هذا اليوم يوم العلاء والرفعة فصمد له علي(ع) فقال نوفل لرجل الى جنبه من هذا كانه يريدني فقال هذا علي بن ابي طالب فقال ما رأيت كاليوم رجلا اسرع في قومه منه فضربه علي(ع) على ساقيه و كانت درعه مشمرة فقطعهما فقال انشدك الله والرحم فقال(ع) كل رحم مقطوعة الا من كان متبعا لرسول الله(ص) ثم أجهز عليه وقال رسول الله(ص) بعد الوقعة من له علم بنوفل بن العدوية فقال علي(ع) انا قتلته فكبر رسول الله(ص) وحمد الله ان استجاب فيه دعوته ورأت بنو مخزوم حرصه على

قال البلاذري قتله علي «٢٠» (٤٢) امية بن خلف قتله عمار (٤٣) اوس بن المغيرة بن اوذان قتله علي «٢١» وعثمان بن مظعون (٤٤) منبه بن الحجاج قتله علي «٢٢» (٤٥) نبيه بن الحجاج قتله علي «٢٣» (٤٦) العاص بن منبه قتله علي «٢٤» ومنه اخذ ذا الفقار (٤٧) وابو العاص بن قيس قتله علي «٢٥» (٤٨) وعاص بن ابي عوف قتله ابو دجانه (٤٩) معاويه بن عبد قيس قتله عكاشه (٥٠) معبد بن وهب قتله ابو دجانه . هؤلاء الذين عرفت اسماءهم واسماء قاتليهم نقلت ذلك من طرق اهل السنه من شرح النهج والذي ذكره الشيخ الجليل ثقة الاسلام المفيد(ره) خمس وثلاثون قتيلا سوى من شرك فيه او اختلف في قاتله اهو غيره وعلى ما ذكره اعلى الله مقامه يزيد على النصف وعلى ما ذكر من طريق اهل السنة ينقص عن النصف واحدا او اثنين وما اسر احدا سوى عمرو بن ابي سفيان وهبه لرسول الله .

قتل ابي جهل فاحدقوا به واشرعوا دونه الرمـاح حتى جعلوه في مثل الحرجة(١) واجمعوا ان يلبسوا لامته رجلا منهم فالبسوها عبد اللات بن المنذر فصمد له(ع) فقتله وهو يراه ابا جهل ثم ولى عنه وهو يقول خذها وانا ابن عبد المطلب ثم البسوهـا حرملة بن عمرو فصمد له (ع) فقتله ثم ارادوا ان يلبسوها رجلا آخر فأبى ورأى(ع) العاص بن سعيد بن العاص يوم بدر وهو يبحث للقتال كما يبحث الثور والزبد يرغو على شدقيه فصمد له فقتله وكان من صناديد قريش لقي عمر بن الخطاب فقال هلم الي يا ابن الخطاب قال عمر فهبته وحدث عنه والقصة عن عمر مشهورة(٢) وان عمله يوم بدر لمن خوارق العادات واجل الكرامات لمـن تأمله بعين البصيرة وسار وراء الحقيقة فلقد قرأنا وقائع الامم وحروبها وما امتاز ذوو البأس والشجاعة فيها فلم نر حالته وعمله يوم بدر يشبهها شيء من اعمالهم بربك

(١) الشجر المجتمع (٢) ذكر العلامة ابن ابي الحديد في المجلد الثالث صفحة ٣٣٩ عن الواقدي وكذلك ثقة الاسلام المفيد(ره) ذكرا القصة بالفاظ مختلفة مع اتحاد المعنى واللفظ للمفيد قال(ره) روى ابو بكر الهذلي عن الزهري عن صالح بن كيسان قال مر عثمان بن عفان بسعيد بن العاص فقال انطلق بنا إلى امير المؤمنين عمر بن الخطاب نتحدث عنده فانطلقا فاما عثمان فصار الى المجلس الذي يشتهيه قال سعيد واما انا فملت الى ناحية القوم فنظر الي عمر فقال مالي اراك كأن في نفسك علي شيئا اتظن اني قتلت اباك ووالله لوددت انني قتلته واو قتلته لم اعتذر من قتل كافر ولكنني مررت به في يوم بدر فرأيته يبحث للقتال كما يبحث الثور واذا شدقاه قد أزبدا فلما رأيت ذلك هبته ورغت عنه فقال الي يا ابن الخطاب وصمد له علي فتناوله فوالله ما رمت مكاني حتى قتله قال وكان علي(ع) حاضرا في المجلس فقال اللهم غفرا ذهب الشرك بما فيه ومحا الاسلام ما تقدم فما لك تهيج الناس علي وفي رواية فعلام تهاج القلوب فكف عمر فقال سعيد اما انه ما كان يسرني ان يكون قاتل ابي غير ابن عمه علي بن ابي طالب وانشأ القوم في حديث آخر.

خبرني عن شاب لم يتجاوز الخامسة والعشرين من العمر يكون في جيش قد تجاوز الثلاثمائة مقاتل واكثرهم قد مارس الحرب وقاسى الاهوال وخاض الغمرات وبارز الشجعان وقتل الاقران وفيهم المشهور بالبأس والمعروف بالرياسة فيعمل ذلك الشاب من النكاية في العدو مثل عمل ذلك العسكر باجمعه واعجب من كل عجيب ان ذلك الشاب على حداثة سنه لم يبارز قبلها قرنا ولم يباشر حربا ولم يلق جيشا ولا عرف بالشجاعة فإنا لم نسمع بمثله ولا دون الثقاة من ارباب السير ونقلة الآثار عملا مثل هذا العمل ولقد كان المشهور بالبأس والمشار اليه في بني هاشم حمزة بن عبد المطلب وكان يعد من صناديد قريش وله في حرب الفجار مقام يذكر وظهرت له في يوم بدر شجاعة فائقة ولكن عمل علي اخفى بظهوره شجاعة كل شجاع وبأس كل ذي بأس وتالله مابلغ به هذه الغاية من الجرأة والإقدام ودفعه الى هذا البطش حتى عادل بلاؤه بلاء العسكر باجمعه الا ماضيف الى شجاعته وهو علمه بأن هذه الدولة التي ارسل الله سبحانه نبيه لبنائها ووازره على تشييدها قد تم اساسها ورست قواعدها واوشكت ان تعلو جدرانها ويكمل بنيانها ويتمتع العالم بظلها ويسعد بخيرها وانه لا يخشى على قواعدها ان تهدم وعلى صروحها ان تقوض الا من اولئك الملأ الذين ضمتهم بدر فإنهم اعداء تلك الفكرة وضد تلك النهضة وبهلاكهم يتم البنيان ويسعد السكان فخصت له هذه الضراوة وهذا الفتك في اهلاكهم واستئصالهم وكلما ازداد شر العدو وضرره ازداد الحرص على اعدامه فعمله يومئذ في قومه لم يكن عمل تشف وانتقام بل عمل مصلح عظيم محسن لأمته باذل نفسه في سبيل الخير لها شيمة الطبيب الماهر في الحرص على قتل الميكروب الضار واستئصاله وادل شيء على ما ذكر انه لم يأسر احدا يوم بدر سوى

عمرو بن ابي سفيان وقد وهبه لرسول الله(ص) وما سلب قتيلا قط ولو شاء لحاز نصف المغنم يومئذ ولقد كان يعتمد بقتله الاعلام واهل الشرف والبأس ولسلبهم الحظ الوافر من الثمن مع انه كان من اشد المسلمين فقرا واقلهم مالا ولكن هيهات انما الغنى غنى النفس وانما نفسه من نفس رسول الله(ص) قتل الوليد بن عتبة ونوفل بن خويلد وحنظلة بن ابي سفيان والعاص بن ابي العاص ونبيه ومنبه ابني الحجاج وهم رؤوس قريش ولم يعرض لسلبهم وقتل طلحة بن ابي طلحة واخوته يوم احد ولم يعرض لسلبهم وهم من سادة قريش وقتل عمرو بن عبدود رئيس الاحزاب وقائد العسكر ولم يعرض لسلبه حتى لامه عمر بن الخطاب وقال لم لا سلبته فإن درعه داودية . بمثل هذا تعرف الهمم العالية والنفوس الكبيرة

رأى عمر بن الخطاب ابا دجانة واقفا على قتيل له يريد سلبه فقال دعه وانا اشهد لك به وهذه عادة القاتل اذا قتل احدا كان له سلبه ولا لوم عليه في ذلك الا من كانت نفسه منصرفة الى ما هو اعلى من ذلك واجل فقد قرن الله عمله بالفوز والنجاح وآمنه على ذلك البناء من ان ينال اويكاد ورجع ذلك الجيش باكاليل النصر واعلام الظفر والعز وآب اعداؤه بالهوان والخسر فما يقول الرأي العام في هذا الرجل وهذا سعيه لأمته وكدحه لها وتهالكه في سبيل اصلاحها حتى بلغت ما بلغت ايليق به بعد نبيها ان يقود زمامها ويتولى امورها. وما ذكرناه من فعل امير المؤمنين(ع) لا يرتاب فيه كل من راجع السير والمغازي فمن عمر بن عبد العزيز(ره) انه سئل عن سبب رفعه السب عن علي(ع) قال كنت وانا غلام بالمدينة اختلف الى عبيدالله بن عتبة بن عبدالله بن مسعود آخذ عنه العلم وهو يومئذ مفتي المدينة فمر علي يوما وانا مع غلمة وقد نلت من علي(ع)

فأتيته بعدها فاعرض عني ثم اقبل على صلاته واطال فلما رأيت ذلك منه سألته عن سبب اعراضه فقال يا بني متى بلغك ان الله غضب على اهل بدر بعد ان رضي عنهم فقلت ما ذاك قال ما حملك على سب علي فقلت وعلي من اهل بدر فقال يا بني وهل كانت بدر الا لعلي [1] فانظر الى مازرعه الظالمون في نفوس الاطفال والغلمان من تصغير شأن هذا الرجل ولولا ان لله سبحانه فيه عناية لما كان له مع اهل الفضل ذكر ولا في تاريخ الصحابة فضل ويأبى الله الا أن يتم نوره وكلمته هي العليا والله غالب على امره فنسأله سبحانه ان يعرفنا اولياءه واحباءه لنقتدي بهم فنحشر معهم فإن المرء مع من احب وهو القريب المجيب .

ومنها وقعة احد

وهي الوقعة التي عظم كربها واستطار شررها ودخل على المسلمين بها من الحزن ما ذهب بسرورهم يوم بدر ولقد كانت لهم الغلبة اول الامر وظفروا باعدائهم ظفرا لم ينالوا مثله قط ونال المشركون فيها بعض ماارادوا واذهب سرورهم بها حزنهم يوم بدر وكان فيها لأمير المؤمنين (ع) من البلاء العظيم والخدمة الجليلة والمواقف المشهورة والمقامات المحمودة ما لم يكن لاحد قط من اصحاب رسول الله (ص) ولقد عجبت الملائكة يومئذ من ثباته وحملاته وتهالكه في الذب عن رسول الله (ص) وبثباته في تلك المواقف ثبت من ثبت كسهل بن حنيف وابو دجانة وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص والحارث بن الصمة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت بعد ان فر الناس كلهم عن رسول الله (ص) ثم تراجع هؤلاء وهو الذي دعاهم لان يبايعوا رسول الله (ص) على الموت ليتهيأ له

(١) روى ذلك العلامة ابن ابي الحديد في شرح النهج في احوال عمر بن عبد العزيز

تخليصه وانقاذه من الاعداء ولولا ذلك لقتل (ص) في بعض تلك المواقف وكان الدين والدولة كأمس الذاهب وكم له عند هذه الامة العربية من يد مكفورة ونعمة غير مشكورة وبلاء لا يجحد ولكنه لم يحمد ويجمل الوقعة ان قريشا بعد رجوعها من بدر بالخيبة والخسر مفلولة الحد عاثرة الجد رأت العير التي قدم بها ابو سفيان من الشام وكانت الحرب لأجلها موقوفة في دار الندوة فاجمع ملأهم على ان يجهزوا بها او بربحها جيشا لرسول الله (ص) وكانوا يربحون من الدينار دينارا وكانت العير الف بعير والمال خمسون الف دينار فاقبلوا يسعون في فك الاسرى الذين اسرهم المسلمون وكانوا سبعين اسيرا فارسلوا فداءهم واطلق من الاسرى اناس بغير فداء منهم عمرو بن ابي سفيان فإن اباه امتنع من ارسال فدائه وقال والله لااجمع لهم قتل ولدي حنظلة واخذ مالي ثم انه عدا على رجل من الانصار جاء معتمرا واسره مكان ابنه وكان العرب يأمن بعضهم بعضا في الأشهر الحرم ومن جاء مكة معتمرا او حاجا لا يهاج ولا يروع فلما فعل ذلك ابو سفيان انكرت قريش عمله واعظمته فلم يلتفت فاطلق له رسول الله (ص) ولده ومنهم ابو العاص وكانت زوجته زينب بنت رسول الله (ص) فبعثت بفدائه وفي الفداء قلادة كانت خديجة امها أدخلتها بها على ابي العاص ليلة زفافها فلما رأى القلادة رسول الله (ص) رق لها رقة شديدة وقال للمسلمين ان رأيتم ان تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها ما بعثت به من الفداء فقالوا نعم يا رسول الله نفديك بانفسنا واموالنا فاطلقوا ابا العاص وردوا لها الفداء قال بعض علماء المسلمين من اهل السنة قرأت هذا الحديث على شيخي ابي جعفر العلوي فقال لي اترى ابا بكر وعمر (رض) لم يشهدا هذا

المشهد[١] اما كان يقتضي التكرم والاحسان ان يطيب قلب فاطمة بفدك ويستوهب لها من المسلمين اتقصر منزلتها عند رسول الله(ص) عن منزلة اختها زينب وهي سيدة نساء العالمين هذا اذا لم يثبت لها حق لا بالنحلة ولا بالإرث اترى لو قال ابو بكر هذه بنت نبيكم قد حضرت تطالب هذه النخيلات افتطيبون عنها نفسا اكانوا منعوها ذلك انتهى .

الجواب عن ذلك موكول للرأي العام . ولما فكت قريش اسراها اقبلوا على تجهيز العسكر وبثوا دعاتهم فيمن جاورهم وضوى اليهم كثقيف وكنانة والاحابيش وباقي قبائل تهامة فاوعبوا وتالبوا ولما أجمعوا على المسير كتب العباس الى رسول الله (ص) يخبره بذلك وشرط على الرسول ان يوصله في ثلاث فلما قرئ على رسول الله (ص) امر بكتمانه ثم دخل منزل سعد بن الربيع [٢] فقال هل في البيت احد قال لا يارسول الله (ص) تكلم بحاجتك فأخبره الخبر فقال سعد عسى ان يكون الخير في ذلك وخرج رسول الله (ص) فدخلت زوجة سعد وقالت بما حدثك رسول الله(ص) فانتهرها فقالت قد سمعت ما قال لك واخبرته الخبر فاسترجع وقد ساءه ذلك ثم اخذ بتلابيبها وخرج يعدو بها حتى لحق برسول الله (ص) وقد اجهدها فقال يا رسول الله (ص) ان هذه قد سمعت ماحدثتني به واخشى ان يظهر الخبر فتظن اني افشيت سرك فقال خلي سبيلها . وخرجت قريش على احسن عدة قد اوعبوا من السلاح والظهر وكانوا ثلاثة آلاف مقاتل فيهم سبعمائة دارع يقودون مائتي فرس ومعهم ثلاثة آلاف بعير والظعن خمس عشرة امرأة فنزلوا الحليفة وارسل رسول الله

(١) وهو طلب رسول الله(ص) من المسلمين ان يرجعوا لزينب فداء زوجها

(٢) هو احد النقباء

(ص) الحباب بن المنذر ليعلم له حالهم فدخل فيهم وحزرهم وجاء بعلمهم فقال حسبنا الله ونعم الوكيل وبات سعد بن معاذ واسيد بن حضير وسعد بن عباده في رجال من الانصار وعليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله (ص) ورأى (ص) تلك الليلة كأنه في درع حصينة وكأن سيفه ذا الفقار قد انفصم عند ضبته وكأن بقرا تذبح وكأنه مردف كبشا فأولها (ص) لاصحابه قال اما الدرع الحصينة فالمدينة واما انفصام سيفي فمصيبة في نفسي واما البقر المذبوح فقتل في اصحابي واما مردف كبشا فكبش الكتيبة نقتله ان شاء الله وكان رأي رسول الله (ص) ان لا يخرج من المدينة فاحب ان يوافق عليه فاستشار اصحابه فوافقه الاكابر منهم ورأى عامتهم الخروج شوقا الى لقاء العدو فإن اكثرهم لم يكن شهد بدرا فأحبوا ان يتداركوا ما فاتهم وكان ذلك رأي حمزة (ع) قال والذي نفسي بيده لا اطعم طعاما حتى اجالدهم بسيفي خارج المدينة فعندها عزم (ص) على الخروج ثم وعظ اصحابه وامرهم بالجد والتهيأ لعدوهم وان لهم النصر ما صبروا ثم دخل منزله فقال سعد بن عباده انكم استكرهتم رسول الله (ص) على الخروج والامر ينزل عليه من السماء فردوا الامر اليه فخرج (ص) وقد لبس لامته واظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من أدم[1] وتقلد السيف والقى الترس في ظهره فندموا على ما صنعوا وقالوا ما كان لنا ان نخالفك فافعل ما بدا لك فقال (ص) لاينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين اعدائه فانظروا الى ما آمركم به فافعلوه وامضوا على اسم الله ثم دعا بثلاثة ارماح فعقد ثلاثة الوية دفع لواء الاوس الى اسيد بن حضير[2] ودفع لواء الخزرج الى الحباب بن المنذر

(١) وهي الجلود المدبوغة (٢) هو احد النقباء

ودفع لواءه وهو لواء المهاجرين الى علي (ع) ثم ركب رسول الله (ص) فرسه وتنكب قوسه واخذ قناة بيده والمسلمون عليهم السلاح قد اظهروا الدروع فيهم مائة دارع وكانوا سبعمائة مقاتل وخرج السعدان يعدوان بين يدي رسول الله (ص) فلما التقى الجمعان نزل رسول الله (ص) واقبل يعدل الصفوف ويبوؤها مقاعد للقتال حتى اذا اقامها كالقداح دعا الرماة وكانوا خمسين راميا وامر عليهم عبد الله بن جبير وقيل عبد الله بن عمرو بن حزم وجعلهم في مكان يسمى عينين وقال احموا ظهورنا من خيل المشركين فإننا انما نؤتى من قبلكم ولا تفارقوا مراكزكم فإن رأيتمونا نأسرونا فلا تعينونا وان رأيتمونا نأسرهم فلا تفارقوا مكانكم حتى ندعوكم ثم قال اللهم اشهد عليهم يكرر ذلك ثلاثا ثم ظاهر (ص) بين درعين ولبس المغفر والبيضة فوق المغفر واصطفوا للقتال واقبلت خيل المشركين من ورائهم وهم مائتا فارس عليهم عكرمة بن ابي جهل وخالد بن الوليد وضرار بن الخطاب فنضحهم الرماة بالنبل فولوا الادبار ودنا القوم بعضهم من بعض وكان لواء المشركين بيد طلحة بن ابي طلحة وهو يومئذ سيد بني عبدالدار وسأل رسول الله (ص) من يحمل لواء المشركين فقيل بنو عبد الدار فقال نحن احق بالوفاء منهم واخذ اللواء من امير المؤمنين ودعا مصعب بن عمير فدفعه له وكان لواء قريش في بني عبد الدار جعله لهم قصي بن كلاب ونادى ابو سفيان يومئذ يا بني عبد الدار نحن نعرف انكم احق باللواء منا وانما اتينا يوم بدر من قبل اللواء وانما يؤتى القوم من قبل الويتهم فالزموا لواءكم وحافظوا عليه او خلوا بيننا وبينه فإنا قوم مستميتون موتورون نطلب ثارا حديثا وجعل يقول اذا زالت الالوية فما قوام الناس وبقاؤهم بعدها فغضب بنو عبد الدار وقالوا

أنحن نسلم لواءنا . واما المحافظة عليه فسترى وهموا بابي سفيان واغلظوا له فقال لهم نجعل لواء آخر فقالوا نعم ولا يحمله الا رجل من بني عبد الدار واحدقوا باللواء واسندوا اليه الرماح وهذا هو الذي اراده ابو سفيان ثم نادى طلحة بن ابي طلحة وهو صاحب اللواء وعميد العسكر يتحدى المسلمين للبراز فقال يا معاشر اصحاب محمد انكم تزعمون انكم تعجلوننا باسيافكم الى النار ونعجلكم بأسيافنا الى الجنة فهل منكم احدٌ يبرز الي فاعجله بسيفي الى الجنة أويعجلني بسيفه الى النار فقال علي (ع) والذي نفسي بيده لا افارقك حتى يعجلك الله بسيفي الى النار او يعجلني بسيفك الى الجنة ثم حمل عليه وبدره بضربة فلقت هامته وخر صريعا فسر رسول الله (ص) وكبر وكبر المسلون وحملوا على كتائب المشركين يضربون وجوههم حتى انتقضت صفوفهم ولم يقتل غير طلحة بن ابي طلحة ثم حمل اللواء اخوه عثمان بن ابي طلحة وهو يقول :

ان على رب اللواء حقا ان يُنهل الصعدة او تندقا

وخلفه النساء يضربن بالدفاف ويقلن

ضربا بني عبد الدار ضربا حماة الادبار

فحمل عليه علي فقتله ثم حمله ابو سعيد بن ابي طلحة فقتله علي (ع) ثم حمله مسافع بن ابي طلحة فقتله علي (ع) ثم حمله الحارث بن طلحة بن ابي طلحة فقتله علي (ع) ثم حمله كلاب بن طلحة بن ابي طلحة فقتله علي (ع) ثم حمله الجلاس بن طلحة بن ابي طلحة فقتله علي (ع) ثم حمله ارطاة بن شرحبيل فقتله علي (ع) ثم حمله شريح بن قارط فقتله علي (ع) ثم حمله صواب غلامهم وكان من اشد الناس فضرب علي (ع) يده فقطعها فاخذ اللواء بيده اليسرى فضربه علي (ع) على يده فقطعها فاخذ اللواء على صدره وجمع يديه وهما مقطوعتان عليه فضربه علي (ع) على هامته فسقط صريعا

وانهزم القوم.

روى نحو ذلك ابن الاثير (١) وابو الفرج (٢) ومحمد بن جرير الطبري (٣) واللفظ له قال حدثنا ابو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا حيان بن علي عن محمد بن عبيد الله بن ابي رافع عن ابيه عن جده (٤) ابي رافع قال لما قتل علي بن ابي طالب اصحاب الالوية ابصر رسول الله (ص) جماعة من مشركي قريش فقال لعلي احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جمعهم وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي قال ثم ابصر رسول الله الله (ص) جماعة من مشركي قريش فقال لعلي احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جمعهم وقتل شيبة ابن مالك احد بني عامر بن لوي فقال جبرائيل يا رسول الله ان هذه للمواساة فقال رسول الله (ص) انه مني وانا منه فقال جبرئيل وانا منكما قال فسمعوا صوتا لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي انتهى.

ولعمري ان من قتل يوم بدر مقدار ما قتله العسكر باجمعه وهي اول حرب شهدها وعرف بها لجدير بان لا يقوم له بعدها احد ولا يثبت قبالته قرن. وروى الواقدي ان عليا (ع) قتل ثلاثة من حملة اللواء وهم طلحة بن ابي طلحة كبش الكتيبة وارطاة بن شرحبيل وصواب غلامهم وان عثمان بن ابي طلحة قتله حمزة بن عبد المطلب ضربه بالسيف على كاهله فقطع كتفه حتى انتهى السيف الى مئزره وقال خذها وانا ابن ساقي الحجيج وان ابا سعد بن ابي طلحة رماه سعد بن ابي وقاص بسهم فقتله وان مسافعا والحارث قتلهما عاصم بن ثابت رميا بالسهم وان كلاب بن طلحة ابن ابي طلحة قتله الزبير بن العوام وان الجلاس قتله طلحة بن عبيد الله

(١) جزء ٢ صفحة ٥٨ (٢) جزء ١٤ صفحة ١٧ (٣) جزء ٣ صفحة ١٧

(٤) ابو رافع من اجلاء الصحابة وهو من موالي رسول الله (ص)

والاول اشهر وهب ان الصحيح ما رواه الواقدي فالفضل يؤول الى علي في قتل حملة اللواء وذلك لأن قتلهم واستئصالهم كان بسببه ومستندا الى فعله وهو الذي فتح لأولئك الكماة ذلك الباب المرتج فدخلوه وسلك أمامهم تلك الطريق المخيفة فاتبعوه . إعلم سددك الله ان ذوي النفوس الكبيرة والهمم السامية من اي صنف كانوا من اهل الصلاح اوالعلم اوالشجاعة اوالتجارة او اوالخ شأنهم التنافس والمسابقة الى نيل الغايات وبلوغ اعالي الدرجات والسعي اليها والتفاضل فيها فإنها غاية رغبتهم ومنتهى اذتهم فترى الواحد منهم اذا رأى آخر من صنفه قد فاقه وتقدمه حفزته همته ودفعت به نفسه الى مجاراته واللحاق به والانت له في سبيل ذلك كل صعب وقذفت به في كل كرب وحببت اليه المكروه وهونت عليه الشديد وهذا غني عن البيان والحاكم به الوجدان فإذا عرفت ذلك فاعلم ان اللواء كان في بني عبد الدار وكانت لهم الميزة بذلك على قريش والحامل له طلحة بن ابي طلحة سيد بني عبد الدار وكبش الكتيبة واليه الإيماء والاشارة فكيف تكون محاماتهم عنه مع ما سمعوه من ابي سفيان . هذا واللواء معنى العسكر وبسقوطه سقوطه ولذلك تحوطه الأبطال وتحف به الكماة من حماة الحقيقة وذوي الحفاظ والنجدة وعنده تسيل النفوس وعليه تدور رحى الموت فمن يدنو منه او يحوم حوله فلما رأى أولئك الكماة اقتحام امير المؤمنين تلك اللجج وفتحه ذلك الباب المرتج وركوبه تلك الطريق المخيفة بحمله على صاحب اللواء مع ما حف به من الاخطار وقتله واعقب ذلك سرور رسول الله (ص) واظهاره التكبير وتكبير المسلمين فرحا بما فتح به عملهم وتفاؤلا بفوزهم ونجاحهم فما ظنك ببهجة هذا السرور

وزجل ذاك التكبير كم حرك من نفوس اولئك الكماة واثار من نخوتهم وارهف من حدهم واجدّ من جدهم فراحوا يتواردون حياضا المنية ويتعاطون كؤسها ويصافحون الصفاح ويبذلون الارواح ويركبون اللجج ويجودون بالمهج وكانت وجهتهم وجدهم نحو حملة اللواء معتمدين قتلهم واستئصالهم تشبها بأمير المؤمنين وجريا على جادته ولذلك لم يقتل من قريش قبل هزيمتهم غير حملة اللواء باتفاق المؤرخين وهذا ظاهر لمن تدبر ونظر بعين الحقيقة (فافضل اهل الفضل ذو السبق بالفضل) ولما قتل حملة اللواء وبقي مطروحا لا يدنو منه احد كر المسلمون على جمع المشركين ففروا في كل وجه والنساء خلفهن يدعون بالويل بعد ضرب الدفاف وانهن لعرضة لمن ارادهن واستباح المسلمون عسكرهم يغنمون كيف شاءوا لا يعرض لهم احد ولما رأى الرماة الذين اقامهم رسول الله (ص) قبالة المشركين يحمون ظهور المسلمين . ان المشركين هزموا قالوا مابقاؤنا هنا واصحابنا يغنمون فنهاهم اميرهم ان يخلوا مراكزهم وذكرهم قول رسول الله (ص) وحثه على ان لا يفارقوا المكان الذي اقامهم فيه فقالوا ان رسول الله انما نهانا وهو يظن ان الأمر لا يبلغ الى ما نرى اما تراهم منهزمين وجعلوا يتسللون حتى لم يبق في الثغر مع عبد الله بن جبير الا نفر يسير لا يتجاوزون العشرة ولما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل الثغر خاليا كر بخيلهما وهما مائتا فارس على عبد الله ومن بقي معه فقتلوهم عن آخرهم واتوا المسلمين من خلفهم وهم آمنون قد شغلوا بالنهب واتباع العدو فوضعوا السيف فيهم فانتقضت صفوفهم واستدارت رحاهم وذعروا وعمتهم الدهشة ورأى خالد رسول الله (ص) في خف من اصحابه فقال لمن معه دونكم هذا الذي تطلبونه فحملوا عليه حملة رجل واحد ضربا

بالسيوف وطعنا بالرماح ورميا بالنبل ورضخا بالحجارة وقتل مصعب بن عمير صاحب اللواء واختلط المسلمون وصاروا يقتتلون على غير شعار ويضرب بعضهم بعضا ولا يشعرون من الذعر والدهشة ولما رأى من فر مع المشركين خيلهم تقاتل المسلمين كروا عليهم واحاطوا بهم ففر المسلمون في كل وجه لا يلوون على احد والرسول يدعوهم في اخراهم ولم يبق من رسول الله (ص) احد غير امير المؤمنين وفي تلك الحال قتل حمزة (ع) ثم تداعى المهاجرون والانصار بشعارهم ورجع منهم جماعة واول من رجع سهل بن حنيف وابو دجانة ثم تتابع الباقون والتحم القتال واشتد الامر واصطدم الفيلقان ونادى المشركون بشعارهم يا للعزى فاوجعوا في المسلمين قتلا ذريعا وباشر رسول الله (ص) القتال بنفسه ورمى عن قوسه حتى تحطمت وانكسرت سيتها وانقطع وترها وفني نبله وانكسر سيف علي (ع) فجاء النبي (ص) فقال يا رسول الله (ص) انما يقاتل الرجل بسيفه فاعطاه (ص) سيفه ذا الفقار ولم يزل الخطب يتفاقم والحرب تزداد تضرما حتى مضى اكثر النهار والظفر للمشركين وقد جعلوا حدهم وجدهم نحو رسول الله (ص) وتضعضعت اركان المسلمين واستبسل المشركون وطفق المشركون يقتلون فيهم كيف شاؤا وكان في يد خالد بن الاعلم قناة يحوز بها المسلمين وهو يقول استوسقوا كما تستوسق جرب الغنم وهذه الحالة كانت اشد على المسلمين من جميع الاحوال قتل فيها من الانصار حول رسول الله (ص) سبعون قتيلا وصاح صائح قتل محمد فعندها فر المسلمون جميعا واعتصموا بالجبل وبقي رسول الله (ص) في ثمانية نفر علي وطلحة والزبير وابو دجانه والحارث بن الصمة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف. ولما رأى امير المؤمنين (ع) ما دهم رسول الله (ص)

واحدق به من الخطر وانه لا طاقة لهم وهم ثمانية بالعدو وهم ثلاثة آلاف مقاتل ورأى ان هؤلاء السبعة الذين ثبتوا معه هم نخبة العسكر وشجعانه وان رسول الله (ص) في مأمن ما ثبت هؤلاء معه ودافعوا عنه الى ان يصل الى الجبل وينحازوا به الى اصحابه الذين اعتصموا فيه وما بينه وبين الجبل سوى خطوات . ولكن من يضمن له ثبات هؤلاء السبعة وصبرهم اذا تفاقم الخطب واشتدت الحالة حرجا وذلك حين ترى قريش انحياز رسول الله (ص) الى اصحابه وخلاصه منهم بعد قبضهم له باليد فربما هممت اولئك السبعة انفسهم حينئذ ورأوا الفرار بها مغنما اما حبا للحياة واما علما منهم بانهم لا يغنون عن رسول الله (ص) من القتل وانه مقتول فروا ام ثبتوا وحينئذ يقتل رسول الله (ص) ولا يجدى بذل امير المؤمنين نفسه وسماحه بها ويذهب الدين والدولة ويعود الخير الذي عم المسلمين نفعه شرا محضا . اذاً فما حال هذا الوزير والحالة هذه وهو الذي اليه النظر في امر الدولة والكافل لحفظها والعامل لرقيها وما الذي يريد ان يعمله لإنقاذ صاحب الدولة والمحاماة عنه هذه الخطوات الى ان يصل الى اصحابه ويأمن على حياته وما الحيلة في ذلك وهو يرى كلب عدوه وحنقهم عليه وتهالكهم في قتله واندفاعهم اليه وهم ثلاثة آلاف مقاتل وليس معه من يدافع بهم عنه سوى هؤلاء السبعة ولما يحرز ثباتهم . نعم رأى بتلك البصيرة التي امتاز بها عن كافة الخلق وادرك بها سر النبوة وابصر حقيقة الرسالة وسبق الخلق كافة الى الايمان بالله ورسوله وهو لم يبلغ الحلم وبذلك العقل الذي استفاده من رسول الله (ص) واستحق به منزلة هارون من موسى . رأى ان يبايع رسول الله (ص) على الموت ليقتدي اولئك السبعة به فيحرز ثباتهم ويأمن فرارهم ويكون دفاعهم دفاع مستميت

فبايع رسول الله (ص) على الموت وتبعه اولئك السبعة تشبها به وجريا على اثره وبايعوا على الموت وانحازوا برسول الله (ص) نحو الجبل ولما رأت قريش احاطة اولئك الكماة برسول الله (ص) وشدة محاماتهم عنه واستماتتهم دونه هالهم ذلك ونكصوا احجاما عنه ورأوا ان لاسبيل الى نيله والوصول اليه وقنعوا بما نالوه وكروا راجعين اذ لا يمكنهم الصعود الى الجبل لارتفاع المسلمين عليهم وبذلك انجا الله نبيه من كيد الاعداء وكل من ذكر هؤلاء الثمانية ذكر مبايعتهم رسول الله (ص) على الموت منهم الواقدي ومحمد بن سعد في الطبقات وابن حجر العسقلاني وابن عبد البر .

هذه نبذة من اعماله (ع) يوم احد . فعلى ايها انبهك لادهشك اعلى تقديمه على كافة المهاجرين وتأميره عليهم باعطائه لواءهم ينقادون له ويحفون به على صغر سنه وفيهم مثل حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله وهل يرتاب احد في ان لواء الجماعة يحمله رئيسهم والمقدم فيهم وهو عنوان الفخر ومظهر الزعامة ولذلك قال ابن عباس (ره) ان لعلي اربعا ما هن لأحد قط هو اول عربي وعجمي صلى مع رسول الله (ص) وهو صاحب لوائه في كل زحف وهو الذي ثبت معه يوم المهراس يعني يوم أحد وقد فر الناس وهو الذي ادخله قبره انتهى .

وانما اخذه رسول الله (ص) من علي (ع) يوم احد واعطاه لمصعب ابن عمير جبرا لقلوب من آمن به من بني عبد الدار لأن مشركي قريش كما عرفت كان لواؤهم مع بني عبد الدار . ولما قتل مصعب يوم أحد ارجعه (ص) لعلي (ع) باتفاق كافة المؤرخين روى محمد بن سعد في الطبقات باسناده عن قتادة ان علي بن ابي طالب صاحب لواء رسول الله (ص) يوم بدر وفي كل موطن وروى فيها ايضا باسناده عن مالك

ابن دينار قال قلت لسعيد بن جبير من كان صاحب لواء رسول الله (ص) قال إنك لرخو اللبب فقال لي سعيد الجهني انا اخبرك كان يحمله في المسير ابن ميسرة العبسي فاذا كان القتال اخذه علي بن ابي طالب ام على فتحه باب النصر والظفر يوم احد بقتله طلحة بن ابي طلحة عميد القوم وكبش الكتيبة بعد ان تحدى المسلمين للبراز وكيف سر رسول الله (ص) بقتله وكبر فرحا وكبر المسلمون تلك التكبيرة التي أرعشت قلب الشرك وانعشت قلب الاسلام وكيف تتبع حملة لواء المشركين يقتلهم فردا فردا قاصدا بذلك اذلالهم وكسر معناهم وفل حدهم فيا له مقصد ما اجله واعلاه وكان هو سبب هزيمة المشركين حيث اصبحوا بغير لواء يحفون به وبقي مطروحا لا يجسر احد على حمله فعلى مثل هذه الاعمال تقوم دعائم الدولة وتثبت قواعد الملك وترفع اعلام السلطان وبأربابها تعلق الآمال وتسعد الشعوب وترقى الأمم. ام على ثباته في تلك الزلازل وانتصابه لرد تلك الجحافل ووقوفه في وجه تلك النوازل التي زازلت الاقدام واطاشت الالباب واطارت القلوب وشردت بالمسلمين في كل وجه وفيهم المعروفون بالبأس والمشار اليهم بالنجدة والبسالة. فمن (١) زيد بن وهب قال وجدنا من عبد الله بن مسعود طيب نفس فقلنا لو حدثتنا عن يوم احد وكيف كان فقال اجل ثم ساق الحديث حتى انتهى الى ذكر الحرب فقال قال رسول الله (ص) اخرجوا اليهم على اسم الله فخرجنا فصف لهم صفا طويلا واقام على الشعب خمسين رجلا من الانصار وامر عليهم رجلا منهم وقال لا تبرحوا من مكانكم هذا ولو قتلنا عن آخرنا فإنما نؤتى من موضعكم هذا قال فأقام ابو سفيان بازائهم خالد بن الوليد الى ان قال ولما رأى اصحاب

(١) رواه الشيخ المفيد في الإرشاد

الشعب الناس يغنمون قالوا يذهب هؤلاء بالغنائم ونبقى نحن وقالوا لعبد الله بن عمرو بن حزم الذي كان رئيسا عليهم نريد ان نغنم كما غنم الناس فقال ان رسول الله(ص) امرني ان لا ابرح من موضعي هذا فقالوا انما امرك بهذا وهو لا يرى ان الامر يبلغ الى ما نرى ومالوا الى الغنائم وتركوه ولم يبرح هو من موضعه فحمل عليه خالد بن الوليد فقتله ثم جاء من ظهر رسول الله(ص) يريده فنظر الى النبي(ص) في خف من اصحابه فقال لمن معه دونكم هذا الذي تطلبون فشانكم به فحملوا عليه حملة رجل واحد ضربا بالسيوف وطعنا بالرماح ورميا بالنبل ورضخا بالحجارة وجعل اصحاب النبي(ص) يقاتلون عنه حتى قتل منهم سبعون رجلا وثبت علي وابو دجانة وسهل بن حنيف للقوم يدفعون عن النبي(ص) وكثر عليه المشركون ففتح(ص) عينيه وكان قد اغمي عليه ونظر الى علي (ع) فقال يا علي ما فعل الناس قال نقضوا العهد وولوا الدبر فقال فاكفني هؤلاء الذين قد قصدوا قصدي فحمل عليهم فكشفهم ثم عادوا اليه من ناحية اخرى فكر عليهم فكشفهم وابو دجانة وسهل بن حنيف قائمان على رأسه بيد كل واحد منهم سيفا ليذب عنه وثاب اليه من اصحابه اربعة عشر رجلا منهم طلحة بن عبيد الله وعاصم بن ثابت وصعد الباقون في الجبل وصاح صائح قتل محمد فانخلعت لذلك القلوب وتحير المنهزمون فاخذوا يمينا وشمالا الى ان قال زيد بن وهب قلت لعبد الله بن مسعود انهزم الناس عن رسول الله(ص) الا علي وابو دجانة وسهل بن حنيف فقال انهزم الناس الا علي بن ابي طالب وحده وثاب الى رسول الله(ص) نفر وكان اولهم عاصم بن ثابت وسهل بن حنيف وابو دجانة ولحقهم طلحة بن عبيد الله قلت واين كان ابو بكر وعمر قال كانا ممن تنحى قلت واين كان عثمان قال

جاء بعد ثلاث من الوقعة فقال له رسول الله(ص) لقد ذهبت فيها عريضة قال (اي زيد بن وهب) فقلت له واين كنت انت قال فيمن تنحى قلت له فمن حدثك بهذا قال عاصم بن ثابت وسهل بن حنيف قال قلت له ان ثبوت علي في ذلك المقام لعجيب قال ان تعجب من ذلك فقد تعجبت منه الملائكة اما علمت ان جبرائيل(ع) قال في ذلك اليوم وهو يعرج به الى السماء لا سيف الا ذو الفقار«١» ولا فتى الا علي. قلت فمن اين علم ان ذلك من جبرئيل(ع) قال سمع الناس صائحا يصيح في السماء بذلك فسألوا النبي عنه فقال ذاك جبرئيل. فانظر لهذا العالم زيد بن وهب وسؤاله لهذا الصحابي الجليل. كذلك فلتكن الرواة يبحثون عن الحقيقة ليهتدوا الى صحيح الحديث فيعرفوا الحق من الباطل انتهى .

وعن قتادة«٢» عن سعيد بن المسيب قال لو رأيت مقام علي(ع) يوم احد لوجدته قائما على ميمنة رسول الله(ص) يذب عنه بالسيف وقد ولى غيره الادبار. وعن عكرمة «٣» قال سمعت عليا يقول لما انهزم الناس عن رسول الله(ص) يوم احد لحقني من الجزع ما لم يلحقني قط ولم املك نفسي وكنت امامه اضرب بسيفي بين يديه فرجعت اطلبه فلم اره فقلت ما كان رسول الله(ص) ليفر وما رأيته في القتلى واظنه رفع من بيننا الى السماء فكسرت جفن سيفي وقلت لاقاتلن به عنه حتى اقتل وحملت على القوم فافرجوا عني فاذا انا برسول الله(ص) قد وقع على الارض مغشيا عليه فقمت على رأسه فنظر الي فقال ما صنع الناس يا علي فقلت كفروا يا رسول

«١» كان ذو الفقار للعاص بن نبيه قتله علي واخذه غنيمة روى ذلك هشام بن السائب الكلبي في الجمهرة كما في ابن خلكان جزء ٢ صفحة ٢٨٤

«٢» رواه الشيخ المفيد «٣» رواه الشيخ المفيد

الله(ص) وولوا الدبر من العدو واسلموك فنظر النبي(ص) الى كتيبة قد اقبلت اليه فقال لي رد عني يا علي هـذه الكتيبة فحملت عليهـا بسيفي اضربها يمينا وشمالا حتى ولوا الادبار فقال لي النبي (ص) ياعلي اما تسمع مديحك في السماء ان ملكا يقال له رضوان ينادي لا سيف الا ذوالفقار ولا فتى الا علي فبكيت سرورا وحمدت الله سبحانه على نعمته .

وروى الواقدي[1] باسناده عن علي(ع) قال لما كان يوم احد وجال الناس تلك الجولة اقبل امية بن ابي حذيفة بن المغيرة وهو دارع مقنع بالحديد ما يرى منه الا عيناه وهو يقول يوم بيوم بدر فيعرض له رجل من المسلمين فقتله امية قال علي(ع) واصمد له فاضربه بالسيف على هامته وعليه بيضة وتحت البيضة مغفر فنبا سيفي وكنت رجلا قصيرا ويضربني بسيفه فاتقي بالدرقة فلحج[2] سيفه واضربـه وكانت درعه مشمرة فاقطع رجليه فوقع وجعل يعالج سيفه حتى خلصه من الدرقة وجعل يناوشني وهو بارك حتى نظرت الى فتق تحت ابطه فاحششُ فيه بالسيف فمال قتيلا وانصرفت.

وروى ابو عمر[3] بن عبد الواحد الزاهد اللغوي غلام ثعلب ورواه ايضا محمد بن حبيب في اماليه ان رسول الله(ص) لما فر معظم اصحابه عنه يوم احد كثرت عليه كتائب المشركين وقصدته كتيبة من بني عبد مناة ابن كنانة فيها بنو سفيان بن عوف وهم خالد بن سفيان وابو الشعثاء بن سفيان وابو الحمراء بن سفيان وغراب بن سفيان فقال رسول الله (ص) لعلي اكفني هؤلاء فحمل عليهم وانهم ليقاربون خمسين فارسا وهو(ع) راجل فما زال يضربها بالسيف حتى تتفرق عنه ثم تجتمع عليه هكذا مرارا

(١) شرح النهج صفحة ٣٨٠ جزء ٣ (٢) أي نشب والتزق بالدرقة
(٣) شرح النهج صفحة ٣٧١ مجلد ٣

حتى قتل من بني سفيان بن عوف الاربعة وتمام العشرة ممن لا تعرف اسماؤهم فقال جبرائيل يا رسول الله (ص) ان هذه المواساة لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى قال رسول الله (ص) وما يمنعه وهو مني وانا منه فقال جبرائيل (ع) وانا منكما قال وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء لا يرى شخص الصارخ به ينادي لاسيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي فسئل رسول الله (ص) فقال هذا جبرائيل . قال العلامة المتبحر ابن ابي الحديد وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين وهو من الاخبار المشهورة ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن اسحاق وسألت شيخي عبدالوهاب (ره) عن هذا الخبر فقال صحيح قلت فما بال الصحاح لم تشتمل عليه قال او كلما كان صحيحا تشتمل عليه الصحاح كم قد اهمل جامعو الصحاح من الاخبار الصحيحة اهـ

وروى الواقدي[1] عن علي (ع) قال لقد رأيتني يومئذ وإني لاذبهم في ناحية وان ابا دجانة لفي ناحية يذب طائفة منهم حتى فرج الله ذلك كله ولقد رأيتني وانفردت منهم يومئذ فرقة خشناء فيها عكرمة بن ابي جهل فدخلت وسطهم بالسيف فضربت به واشتملوا علي حتى افضيت الى آخرهم ثم كررت فيهم الثانية حتى رجعت من حيث جئت ولكن الأجل استأخر ويقضي الله امرا كان مفعولا انتهى .

وروى الواقدي قال قال رسول الله (ص) يوم احد من له علم بذكوان ابن عبد القيس فقال علي (ع) انا رأيت فارسا يركض في أثره حتى لحقه وهو يقول لا نجوت ان نجوت فحمل عليه بفرسه وذكوان راجل فضربه وهو يقول خذها وانا ابن علاج فقتله فاهويت الى الفارس فضربت رجله بالسيف

(١) شرح النهج صفحة ٣٧٣ مجلد ٣

حتى قطعتها من نصف الفخذ ثم طرحته عن فرسه فذففت عليه واذا هو ابو الحكم بن خنيس بن شريق بن علاج بن عمرو بن وهب الثقفي

وروى الواقدي(١) قال بينا عمر بن الخطاب يومئذ في رهط من المسلمين قعود اذ مر بهم انس بن النضر بن ضمضم عم انس بن مالك فقال ما يقعدكم قالوا قتل رسول الله(ص) قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه فجالد بسيفه حتى قتل فقال عمر اني لارجو ان يبعثه الله امة وحده يوم القيامة ولقد وجد به سبعون ضربة اه

وما اشبه حالته بحال امير المؤمنين(ع) حين فقد رسول الله (ص) هكذا يفعل الموقنون بوعد الله المخلصون في جهادهم

مقتل حمزة بن عبد المطلب

كان وحشي عبد لابنة الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف فقالت له ابنة الحارث ان ابي قتل يوم بدر ولا ارى كفوا له غير محمد او علي او حمزة فإن انت قتلت واحدا منهم فأنت حر قال فقلت اما محمد فلا اقدر عليه فإن اصحابه يمنعونه واما حمزة فوالله لو وجدته نائما ايقظته هيبة له واما علي فالتمسه فلما كان يوم احد خرجت فيمن خرج فلقيت هندا فقالت اي وحشي اشف واشتف فكنت يوم احد التمس عليا فبينا انا في طلبه اذ طلع علي فاذا هو حذر مرس كثير الالتفات فقلت ما هذا بصاحبي الذي التمس اذ رأيت حمزة يفري الناس فريا فكمنت له الى صخرة لها مكبس فاعترضه سباع بن ام انمار وكانت امه ختانة بمكة فقال له حمزة وانت يا ابن مقطعة البضور ممن يكثر علينا هلم الي. فاحتمله حتى اذا برقت قدماه رمى به فبرك عليه فشخطه شخط الشاة ثم اقبل علي مكبا حين رآني

(١) شرح النهج جزء ٣٠ صفحة ٣٨١

فلما بلغ المسيل وطئ على جرف فزلت قدمه فهزت حربتي حتى رضيت منها فاضرب بها في خاصرته حتى خرجت من مثانته وكر عليه طائفة من اصحابه فاسمعهم يقولون ابا عمارة فلا يجيب فقلت قد والله مات الرجل وذكرت هندا وما لقيت على ابيها وعمها واخيها فلقيتها وقلت لها ما لمن قتل قاتل ابيك قالت سلبي ثم قالت ارني مصرعه فأريتها مصرعه فشقت بطنه واستخرجت كبده فمضغتها وقطعت مذاكيره واذنيه وجدعت انفه وجعلت من ذلك مسكتين ومعضدين وخدمتين ونزعت ثيابها وما عليها من حلي واعطتنيه وقالت اذا جئت مكة فلك عشرة دنانير. وكانت هند اول من مثل باصحاب النبي (ص) وامرت النساء بالمثل وبجدع الانوف والآذان فلم تبق امرأة الا عليها معضدان ومسكتان وخدمتان.

ومر ابو سفيان بحمزة قتيلا بعد اعتصام المسلمين بالجبل فجعل يضرب بالسيف شدقيه ويقول ذق عقق والى جنبه الحليس سيد الاحابيش فالتفت الى بعض اصحابه وقال انظروا الى هذا يزعم انه سيد قريش ثم يفعل هذا بابن عمه وهو لحم فقال ابو سفيان انها زلة استرها علي ونادى ابو سفيان في قريش من يزعم منكم انه قتل محمدا قال ابن قمئة انا قتلته فقال ان كنت صادقا نسوّرك كما تفعل الاعاجم بابطالها.

وأقبل رسول الله (ص) فيمن ثبت معه من اصحابه يرقى الجبل الذي اعتصم به المسلمون قال كعب بن مالك فكنت اول من عرفه وعليه المغفر فجعلت اصيح هذا رسول الله (ص) حي سوي فجعل يومي الي بيده على فيه اي اسكت ثم دعا بلامتي فلبسها ونزع لامته واقبل ابو سفيان فوقف في اصل الجبل ونادى «اعل هبل اعل هبل» فقال رسول الله (ص) قولوا له الله اعلى واجل ثم صاح ابو سفيان اين ابن ابي كبشة يوم

بيوم بدر وانكم واجدون في قتلاكم عبثا ومثلا الا ان ذلك لم يكن عن رأي سراتنا وان كنا لم نكرهه. ثم انصرف هو وقومه الى مكة ونزل رسول الله(ص) والمسلمون يوارون القتلى فلما وقف على حمزة ورأى ما فعل به قال ما وقفت موقفا اغيظ علي من هذا الموقف ولئن اظفرني الله يوما بقريش لأمثلن بثلاثين سيدا منهم فنزل قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم بـه ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . فقال(ص) بل اصبر وخرجت فاطمة(ع) في نساء وقد رأت الدم الذي بوجه ابيهـا فاعتنقته وجعلت تمسح الدم عن وجهه ورسول الله(ص) يقول اشتد غضب الله على قوم ادموا وجه رسوله وهو يدعوهم الى الله. وذهب علي(ع) الى المهراس فأتى بالماء منه وقال لفاطمة امسكي هذا السيف غير مذمم .

وروى محمد بن اسحاق ان عليا(ع) قال شعرا :

افاطم هاك السيف غير مذمم فلست برعديـد ولا بلـيم
لعمري لقد اعذرت في نصر أحمد وطاعة رب بالعباد رحيم
اميطي دماء القوم عنه فإنه سقى آل عبد الدار كأس حميم

قال الواقدي : فنظر اليه رسول الله(ص) مختضبا بالدم فقـال لئن كنت احسنت القتال اليوم فقد احسن عاصم بن ثابت والحارث بن الصمه وسهل بن حنيف وسيف ابي دجانة غير مذمم الى ان قال فلما رأت فاطمة الدم لا يرقأ وعلي يصب الماء عليه بالمجن اخذت قطعـة حصير فاحرقته حتى صار رمادا ثم الصقته بالجرح فاستمسك الدم .

وروى البخاري(١) باسناده عن ابي خازم انـه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح رسول الله (ص) ومن كان يسكب الماء وبما دووي

(١) جزء ٣ صفحة ١٨

قال كانت فاطمة(ع) تغسله وعلي يسكب الماء بالمجن فلما رأت فاطمة ان الماء لا يزيد الدم الا كثرة اخذت قطعة حصير فاحرقتها والصقتها فاستمسك الدم انتهى .

هذا كل ما رواه البخاري في حق علي(ع) في يوم احد وتناسى مواقفه ومقاماته التي تعجبت منها الملائكة وادهشت كل من شاهدها ووقف عليها وما فتحه على المسلمين من قتل اصحاب لواء قريش وما عمله من انقاذ رسول الله(ص) كما سمعت اتراه لم يعها أو لم تثبت عنده كلا والله لقد وعاها وعلم صحتها ولكن ابى الا انحرافا عن امير المؤمنين وسنفتح بابا في هذا الكتاب له ولأمثاله ممن غمصوا امير المؤمنين قدره واهملوا فضله اهذا جزاؤه من امثال هؤلاء المسلمين فاستمع لمن قتل من المشركين بسيف علي وبسيف غيره تعرف صدق ما نقوله ننقل ذلك عن أئمة التاريخ وقدوة اهل السير وهم الواقدي ومحمد بن اسحاق والبلاذري والطبري . «١» طلحة بن ابي طلحة كبش الكتيبة وصاحب لواء قريش قتله علي١(ع) «٢» عثمان بن ابي طلحة قتله حمزة بن عبد المطلب «٣» ابو سعيد بن ابي طلحة قتله سعد بن ابي وقاص «٤» مسافع بن طلحة بن ابي طلحة قتله عاصم بن ثابت «٥» كلاب بن طلحة بن ابي طلحة قتله الزبير «٦» الحارث بن طلحة بن ابي طلحة قتله عاصم بن ثابت «٧» الجلاس بن طلحة بن ابي طلحة قتله طلحة بن عبيد الله «٨» ارطاة بن شرحبيل قتله علي٢ «٩» قارض بن شريح (١) قتله علي(ع) «١٠» صواب قتله علي٣(ع) وروى الطبري وابن الاثير وابو الفرج ان هؤلاء العشرة كلهم قتلهم علي(ع) «١١» وعبد الله بن حميد قتله علي٤(ع) في رواية ابن

(١) وقيل شريح بن قارض

اسحاق وفي رواية الواقدي قتله ابو دجانة «١٢» وابو الحكم بن الاخنس قتله علي ٥(ع) «١٣» وسباع بن عبد العزيز قتله حمزة (ع) «١٤» امية بن ابي حذيفة قتله علي ٦(ع) «١٥» هشام بن ابي امية قتله قزمان «١٦» الوليد ابن العاص قتله قزمان «١٧» خالد بن اعلم العقيلي قتله قزمان «١٨» عثمان بن عبد الله بن المغيرة قتله الحارث بن الصمه «١٩» عبيد بن حاجز قتله ابو دجانة «٢٠» شيبة بن مالك قتله طلحة بن عبيد الله «٢١» ابي بن خلف قتله رسول الله (ص) «٢٢» ابو عزه قتله عاصم بن ثابت «٢٣» خالد بن سفيان بن عويف «٢٤» وابو شمثا بن سفيان بن عويف «٢٥» وابو الحمراء ابن سفيان بن عويف «٢٦» وغراب بن سفيان بن عويف هؤلاء الاربعة قتلهم علي (ع) «٢٧» معاوية بن المغيره بن ابي العاص قتله علي (ع) وقيل قتله زيد بن حارثة وعمار بن ياسر.

هؤلاء هم الذين احصيت اسماؤهم من قتلى المشركين فعلي (ع) يقارب من قتل بسيفه نصف المقتولين ويزيد على النصف على رواية الطبري فما يقول الرأي العام في عمل هذا الامام في هذا اليوم واي نفس نفسه واي قلب اشتملت عليه جوانحه اليس هو اعجوبة الكون واكبر رجال العالم بعد رسول الله (ص) بربك حدثني بمثله اودلني على من فعل كفعله وكيف تهيأ له قتل هذا العدد من الرجال وحده والمسلمون يومئذ سبعمائة مقاتل فيهم من ذوي البأس والبسالة والمعروف بالشجاعة فيعدل بلاؤه بلاءهم باجمعهم او يزيد عليه وكيف لم تهن نفسه ولم يضعف قلبه وقد فر العسكر باجمعه وبقي منفردا مع رسول الله (ص) يصد عنه تلك الهجمات ويقوم بوجه تلك الاهوال حتى من الله برجوع اولئك السبعة واعانوه على حفظ رسول الله [ص] ولولاه لما رجع منهم احد. ولما رجع هؤلاء تركهم عند رسول الله [ص] يحمونه

واقبل يصد هجمات العدو ويرد الكتائب ويفرق الجمع خشية ان يتكاثروا على رسول الله[ص] ومن معه فكان بعمله هذا يحامي عن الجميع هـذا والمشركون ثلاثة آلاف وكتائبهم تتدفق على رسول الله[ص]

فلما يئس من الانتصار رأى الانحياز برسول الله[ص] والانسحاب بانتظام اقرب لسلامة رسول الله فبايعه هو والحافين به على الموت واستنقذه من ايدي العدو كما عرفت سابقـا وبذلك حفظت حيـاة رسول الله وحياة الدين والدولة فعمله يوم احد كعمله يوم بدر بـل هو اظهر في الاعجاب واعظم في النفع وادل على القدرة والبسالة وعلو الرأي وثبات النفس لأن الدولة كانت يوم بدر للمسلمين والنصر حليفهم . ورسول الله في امن من العدو ان ينالهُ وكلهـا احوال تقوي القلب وتشجع النفس وتدعو الى الاقدام والمثابرة بخلافها يوم احد فإن كل ما كان فيهـا من الاحوال كان يوجب ضعف النفس وطيش القلب وعلى الخصوص فرار الجيش باجمعه فإنه يحدث في القلب روعة ودهشة لا يملك معها المرء نفسه

ولما استوت عنده حالتا الشدة والرخاء والعافية والبلاء عظم قدره وظهر على كافة المسلمين فضله .

واعجب من كل عجيب انه على عظيم بلائه في ذلك اليوم وكثرة ما لقيه من العدو لم يصب بشيء من الجراحة حفظا منه سبحانه له فلله هو من إمام ما اعظم منته على هذه الأمة وما اقل شكر هذه الأمة لها .

ايحل عند الرأي العام لهذه الأمة ان تنحيه عن مقـام رسول الله ولا تراه لرعايتها اهلا ربنـا احكم بيننا وبين قومنـا بالحق وانت خير الحـاكمين .

(تنبيه) العلماء المؤرخون والباحثون عن احوال الرجال من اخواننا

المسلمين من اهل السنة هم في امير المؤمنين طائفتان طائفة منصفة واخرى منحرفة وانما يعرف ذلك النيقد البصير المضطلع باحوال الرجال المفتش عن اسرار اعمالهم السابر لغورهم المتفطن لكيفية سيرهم واما ذوو البلاهة والقصور والحشوية من المسلمين فلا ينتبهون لما نقوله بل يبنون الأمور على ظاهرها وهم الاكثر عددا وهؤلاء يخدعون بالسراب ويموه عليهم بالخيالات وسأدلك على كل واحدة من الطائفتين المنحرفة والمنصفة كيلا يلتبس عليك الامر فإن المخادعين والمدلسين والمنحرفين هم اس الداء ومنهم المصيبة والبلاء .

فمن علامة المنصفين انك تراهم يذكرون فضل الصحابة مبتهجين به متزلين لهم منازلهم معطين كل ذي حق حقه مدونين لهم كلما شاع نقله واشتهر ذكره من الكرامات لا يفرقون بين احد منهم سواء كان عليا أو ابابكرا وعمر او عثمان او خلافهم وهؤلاء قليل .

واما المنحرفة فتراهم لا يذكرون لعلي (ع) من الفضل الا ما تواتر نقله ومالابد من ذكره خشية ان يتهموا بالانحراف والنصب بتركه وترى ذكرهم له استطرادا وبنحو من العرض فإن كان هناك قول نادر ضعيف مجهول قائله فيه خلاف ما ذكروه من الفضل دونوه قبالته ولم ينبهوا على ضعفه توهينا للفضيلة ورفعا للوثوق بها . فاما ذوو الغفلة والبلادة فترى ان ذلك منهم تثبتا واحاطة بالقضية واماذوو الفطنة والالمعية فإنها ترى ذلك انحرافا وغضا .

اذ لا ترى منهم مع ابي بكر وعمر وعثمان (رض) وامثالهم ما تراه مع علي (ع) فتراهم يهملون ماثبت لعلي (ع) من الفضل ويذكرون لهؤلاء الاعاظم من الفضائل مالم يثبت نقله ولم تصح روايته بل ما لا يعد فضلا

ولا يكسب فخرا وهؤلاء الأعلام هم في غنى عما يلفقه هؤلاء المنحرفون لسابقتهم وفضلهم المشهور ولولا خشية أن يساء قوم من اخواننا المسلمين من اهل السنة لعقدنا فصلا مسهبا في ذكر العلماء المنحرفين واقامة البرهان على نصبهم العداوة لأمير المؤمنين (ع) وبنيه وشيعته ولكنا نكل معرفة ذلك الى الرأي العام مع ذكر بعض المنحرفين فمنهم محمد بن سعد كاتب الواقدي وهو عند اخواننا من اهل السنة موثوق بروايته وكتابه الطبقات من اجل الكتب عندهم .

ذكر فيه غزوة احد ولم يذكر لأمير المؤمنين (ع) غير قتله طلحة بن ابي طلحة وسرور رسول الله (ص) بذلك وتكبيره وتكبير المسلمين وانه كان ينقل الماء بترسه وفاطمة تغسل الدم عن وجه النبي (ص) واين هو عن مواقفه في ذلك اليوم التي سارت بها الركبان وعجبت منها الملائكة وكانت السبب في نجاة رسول الله (ص) وخلاصه من القتل .

اتراه لم يسمعها وقد رواها استاذه ومعلمه محمد بن عمر بن واقد بلى لقد سمعها ووعاها ولكن اهمه امر ابي بكر (رض) واشغله عن ان يذكر لغيره موقفا فذكر في غزاة احد ان اربعة عشر رجلا ثبتوا مع رسول الله (ص) منهم ابو بكر ولم يذكر سواه[1] وليته ذكر اسماء البقية وهيهات يتحقق اسماءهم الم يعلم ان عليا [ع] منهم كلا بل علم والله أنه سيدهم وقطب رحاهم فإنه ذكر في حال امير المؤمنين [ع] عند ذكره لأحوال البدريين انه بايع رسول الله [ص] يوم احد على الموت فاذا كان كذلك فما باله لم يذكره في هذه الغزاة .

وذكر ابابكر اهل رآه لم يف ببيعه الذي بايع به كلا . وفيه وفي حمزة [ع]

(١) اما الواقدي فذكر ان اربعة عشر رجلا ثبتوا مع رسول الله (ص) ولم يذكر منهم ابابكر

ابن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث ومصعب بن عمير (رض) نزل قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) وهم حمزة ومصعب وعبيدة قتلوا يوم بدر واحد (ومنهم من ينتظر) وهو علي (ع) (وما بدلوا تبديلا)

اليس هذا منه انحرافا عن علي (ع) اعاذنا الله منه ثم لو سئل ابن سعد ما الذي فعله ابو بكر (رض) في تلك المواقف التي تزلزلت فيها الاقدام وانخلعت منها القلوب وطاشت فيها الالباب وفر عنها صناديد العرب وشجعان الاوس والخزرج وكل من ثبت ذلك اليوم ظهر له اثر وذكر له عمل راجع غزوة احد في الكتب المطولة .

ومتى كانت لابي بكر (رض) هذه البسالة وهذه النجدة وما نقل عنه ناقل انه ضرب احدا بسيف او طعن برمح او رمى بسهم ولقد تمنى له اولياؤه واحباؤه شيئا من ذلك ليزينوا به التاريخ ويحلوا به الكتب ويشنفوا به الاسماع ويرفعوه فوق كل عمل ويحقروا به بأس كل ذي بأس واين عروة وعائشة واضرابهما من اعداء امير المؤمنين عن ذلك لو كان له يومئذ قلامة .

والوجدان وهو اعدل حاكم يحكم على كل واحد من اولئك الاربعة عشر الذين ثبتوا في تلك المواقف التي طالت مدتها وكان المهاجم لهم فيها ثلاث آلاف مقاتل كلهم يتلظى حنقا ويتسعر غيظا انه اما قاتلا او مقتولا او ضاربا او مضروبا او طاعنا او مطعونا او راميا او مرميا واذ لم يرو له شيء من ذلك يحكم الوجدان بعدم ثبوته وكذب الناقل له .

ولا وصمة عليه في ذلك فلقد فر من هو اقوى منه جنانا واشجع قلبا (خلق الله للحروب رجالا) ولقد كان في غنى عن ذكر هذه له .

ولقد عجبت لهذا الرجل وامثاله من المحدثين اذ يذكرون لأبي بكر (رض) من الفضل ما يصغرون به قدره وهو اجل من ذلك واكبر انظر الى هذه الفضيلة التي اتعب نفسه واجهد قلمه في ترويجها واثباتها واعجب لقد ذكر عدة روايات ان عمر ابي بكر يوم مات كان ثلاثا وستين سنة وان ذلك من اكبر مناقبه حيث وافق ذلك عمر رسول الله (ص) واقتدى به جماعة في ذكرها فضيلة لأبي بكر ايضا وهل شيء اطرف من هذا وابدع فما يقال لليهودي او النصراني اذا قام يسخر من الاسلام واهله وقال ان من اعظم كرامات المسلمين ان يعيش الواحد منهم ثلاثا وستين سنة خصوصا اذا كان خليفة مع ان هذه المدة من الزمن يعيشها العالم والجاهل والمؤمن والكافر والولي والفاسق والنبي والكاذب فأي فضل فيها .

وياليت شعري هل افتخر احد بأن اباه او جده عاش ثلاثا وستين سنة وهل ذكر لاحد من الصلحاء في معرض المدح والثناء انه عاش هذه المدة ورأيت جماعة من محدثيهم يجهدون انفسهم في اثبات هذه المدة من العمر لعمر رضي الله عنه وينفونه عن علي (ع) ويذكرون الروايات المختلفة في سنه كأن هذا العمر عند هؤلاء من الادلة على استحقاق الخلافة نعوذ بالله من المكابرة والميل عن جادة الانصاف وركوب الاعتساف .

على ان حصر عمرهما في ثلاث وستين سنة ومطابقته للمدة التي عاشها رسول الله [ص] موقوف على ضبط يوم ولادتهما والساعة بل الدقيقة التي ولدا فيها وكيف يصح ذلك في رجلين من أمة أمية وليسا من ذوي الرياسة ولا في بيت الملك والزعامة فيعتنى بتاريخ ولادتهما ويحفظ ويضبط السنين المتطاولة .

ولو اريد من الضبط الضبط التقريبي دون الحقيقي لخلا عن الفائدة وفات الغرض منه على ان الاقوال في تحديد عمرهما بل عمر رسول الله [ص] مختلفة .

فعن ابن عباس [رض] ان عمر رسول الله [ص] خمس وستون سنة وعن انس ان عمره [ص] ستون سنة والذي فتح هذا الباب معاوية روى مسلم في صحيحه عن جرير انه سمع معاوية يخطب فقال مات رسول الله [ص] وهو ابن ثلاث وستين وابو بكر وعمر وانا ابن ثلاث وستين

فاجدر بهذه الرواية صحة ان يكون الراوي لها معاوية ترويجا لغرضه وتمويها على شيعته انه نظير هؤلاء في الفضل .

فلتذهب هذه الرواية وراويها ادراج الرياح فإنهما رضي الله عنهما في غنى عما لا فضل فيه .

وانما تتفاضل الناس في الافعال وتتفاوت في الاعمال وتمتاز بالصبر على المكاره واحتمال العظائم والوقوف في وجوه الشدائد اذا شمرت الحرب وعم الكرب وازدلفت الاقران وتقصف المران وانتضيت الصفاح واختلست الارواح فهناك يمتاز الشجاع من المموه والنجدة من الهيابة وبها تسمو كبار النفوس وعظماء الرجال ويظهر فضلهم ويعرف قدرهم .

انظر الى قوله سبحانه [ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص] كيف خص هؤلاء بالمحبة التي هي غاية القرب منه سبحانه لثباتهم وصبرهم والثبات في الزلزال انما يفعله كبار النفوس وعظماء الرجال واما ما يسهل عمله ويخف حمله ولا كلفة في فعله فلا يستحق فاعله مدحا ولا يستوجب ثناء ولا يجديه فخرا .

وكيف يفخر على غيره بعمل يشاركه ذلك الغير فيه قال ابو الطيب :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال

وكأني ببعض من نظر في كتابنا هذا يظن بنا التحامل على هذين الخليفتين العظيمين والحط من شأنهما كلا والله الذي لا إله غيره ولا معبود سواه ما قصدنا ذلك ولا هو من شأننا ولا يحول في خلدنا .

وإنما تلك حمية للحق وغيرة على اهل الفضل وانفة لهم ان يهضم حقهم ويغمص فضلهم من اولئك المدلسين المدعين انهم عيبة الآثار وحملة الاخبار وانهم المرجع فيها والمعتمد وان الصحيح منها ما دونوه والفاسد ما اهملوه .

ولعمري كم من صحيح ضيعوه وفاسد حفظوه وحق اماتوه وباطل احيوه وما اشبه اولئك الفئة المنحرفة عن امير المؤمنين وابنائه الصالحين بأن يكونوا يهود هذه الأمة لمشاركتهم لهم فيما وصفهم به سبحانه حيث لم يعملوا بما علموه ولم ينتفعوا بما حملوه من وصايا رسول الله [ص] في عترته واهل بيته فكان مثلهم كمثل الحمار يحمل اسفارا .

ومما ذكره ابن سعد وغيره من الكرامات لأبي بكر وعمر ان رسول الله [ص] حين عزم على الخروج الى احد دخل بيته ومعه ابو بكر وعمر وقد عماه والبساه ولعمري انها خدمة لرسول الله [ص] يستحق فاعلها الثواب والاجر ولكن لا ميزة لهما في ذلك ولا فضل فإن كل واحد من اصحابه (ص) يلج بيته ويدخل معه ويلبسه لامته ولا يأنف من خدمته .

ولقد كانت تأتيه الأمة فتأخذ بيده وتذهب به الى السوق لينتصف لها ممن ظلمها وكان اكثر ما يرى جالسا بين الفقراء واهل الصفة من اصحابه .

نعم لو كانت حالتـه (ص) حالة جبابرة الملوك وسبيله سبيلهم في استعمال الكبرياء والعظمة وانه لايدخل بيوتهم ولا يدنو منهم ولايكلمهم الا وزراؤهم وارباب الدولة فيهم كما جرى عليه القياصرة والاكاسرة من الروم والفرس لكان لهما الميزة بذلك .

فاما وحالة رسول الله (ص) هذه فلا ولو كان ذلك كذلك لكان انس بن مالك خادم رسول الله (ص) خير اصحابه وافضلهم .

نعم ! الميزة الجليلة والفخر الباهر لمن كان رسول الله (ص) يقلده بسيفه ويعممه بعمامته وهو علي بن ابي طالب وذلك يوم الخندق حين برز لعمرو بن عبدود وقد احجم عنه اصحابه (ص) وكذلك يوم ارسله لليمن وابن سعد هو الذي روى ذلك في الطبقات .

وروى ابن حجر في الاصابة صفحة ٤١ جزء ٤ قال بعث رسول الله (ص) عليا (ع) بن ابي طالب على بعث فعممه بعمامة سوداء ثم ارسلها من ورائه . وروى فيها ايضا عن علي (ع) قال عممني رسول الله (ص) يوم غدير خم بعمامة سوداء طرفها على منكبي . فما يقال لمن يهمل هذه الفضيلة لهذا الفاضل ويعتني بتدوين تلك والتبجح بهـا .

اليس القصد بذلك ستر الحقيقة واغماص الفضل ومما روى ابن سعد والبخاري وتبعهما غيرهما من الرواة ان اباسفيان نادى يوم احد بعد ان سكنت الحرب واعتصم المسلمون بالجبل رافعا صوته اني القوم محمد ثلاثا فنهى رسول الله (ص) ان يجيبه احد ثم نادى اني القوم ابن ابي قحافة ثلاثا فنهى رسول الله (ص) ان يجيبه احد ثم نادى ثلاثا أني القوم ابن الخطاب ثلاثا فنهى رسول الله (ص) ان يجيبه احد فقال ابو سفيان اما هؤلاء فقد قتلوا وكفيتموهم ولو كانوا احياء لاجابوا فلم يملك عمر نفسه ان قال كذبت يا عدو الله بل

ابقى الله لك ما يخزيك انتهى .

فاعجب لهذا الراوي كيف حاول ان يجعلهما نظير رسول الله (ص) عند الناس في المنزلة ونباهة الشان حتى جعل النداء لهما ثلاثا كما لرسول الله(ص) واظن لو ان عثمان لم يفر يومئذ لذكره الراوي في النداء له ولكن لكل حق حقيقة وعلى كل صواب نورا .

ويرد هذا الخبر من وجوه الاول اي دلالة في عدم الجواب له على قتلهم و كيف يستدل به او يتوهمه مغفل فضلا عن ابي سفيان وهو ماهو .

وثانيا كيف اقدم عمر وهو ابر واتقى على مخالفة نهي رسول الله(ص) بعد تكريره وتشديده فان الظاهر من النهي هو قصده(ص) اخفاء نفسه عن اعدائه خشية من صعود المشركين للجبل واتباعهم له فلقد كان حريصا على ذلك فإنه لما رآه بعض اصحابه[1] حين صعد الجبل مبشرا بسلامته هذا رسول الله(ص) حي اشار اليه باصبعه ان اسكت ثم نزع لامته والبسها له ولبس لامته .

ويكون حينئذ جواب عمر بمنزلة الدلالة على رسول الله والاغراء به وهي اعظم كبيرة موبقة نعوذ بالله من ذلك وحاشاه منها .

وثالثا كيف اهم ابا سفيان امرهما وعني بالسؤال عنهما دون غيرهما ولم يكونا يومئذ من اهل النكاية في عدوهما ولا من ذوي البأس والمدافعة ولا لأبي سفيان عندهما دم ولا له قبلهما ترة فيشتفي بقتلهما ويبشر قومه بذلك .

وكيف لم يسأل عن علي امير المؤمنين وهو ثاره وعنده ترته وهو الذي اضرم قلبه حنقا واحرق كبده حزنا بقتله ابنه حنظلة وبني عمه الوليد

(١) وهو سعد بن مالك

وعتبة وغيرهم واسره ابنه عمرا يوم بدر وهو الذي هزمهم يوم احد وقل حدهم واطفأ جمرتهم بقتله عميدهم وصاحب لوائهم طلحة بن ابي طلحة وتنشيطه المسلمين واثارته نخوتهم .

وهو الذي حال بينهم وبين ماراموه من قتل رسول الله بثباته ودفاعه وكل ذلك بمرأى من ابي سفيان .

فهذا هو الاجدر بان يهم ابا سفيان ويعتني بالسؤال عنه بعد رسول الله ليكون من امره على بصيرة فإن بان له قتلهما صفا له العيش وشفى منه الغيظ والا لم يجده قتل سواهما وهؤلاء الثلاثة وهم رسول الله (ص) وعلي وحمزة هم الذين اهموا هند ازوجته فاغرت وحشيا وجعلت له جعلا على قتل احدهم .

فاين ابو بكر وعمر عن ان يُطلبا بثار او يحنقا احدا من قريش ولقد تمكن خالد بن الوليد وضرار بن الخطاب من عمر فلم يقتلاه فمن البلاذري (١) وابن اسحاق ان ضرار بن الخطاب قرع رأس عمر بالرمح يوم احد وقال انها نعمة مشكورة يا ابن الخطاب .

وروى الواقدي (٢) قال كان خالد بن الوليد يحدث وهو بالشام يقول الحمد لله الذي هداني للاسلام لقد رأيتني ورأيت عمر بن الخطاب حين جال المسلمون وانهزموا يوم احد وما معه احد واني لفي كتيبة خشناء فما عرفه منهم احد غيري وخشيت ان اغريت به من معي ان يصمدوا له فنظرت اليه وهو متوجه الى الشعب وهذان القرمان وهما ضرار وخالد هما اللذان فعلا الافاعيل بالمسلمين يوم احد . فقد كانا يومئذ على خيل المشركين وهما حين حملا على المسلمين بخيلهما ورأيا رسول الله

(١) شرح النهج صفحة ٣٨٩ جزء ٣ (٢) شرح النهج صفحة ٣٨٩ جزء ٣

(ص) في خف من اصحابه قال دونكم هذا الذي تطلبون فحملوا على رسول الله (ص) من كل جانب ضربا بالسيوف وطعنا بالرماح ورميا بالسهام ورضخا بالحجار كما عرفت سابقا فمن يظفر به مثل هذين العدوين ولا يقتلاه ويعفأ عنه لانه ليس من اهل البأس ولا حنق عليه من احد ولا هو مطلوب بثار . كيف يتمنى اعداؤه كأبي سفيان هلاكه ويهمهم قتله وقد تمكنوا من قتله فلم لم يقتلوه لو صح هذا الحديث وهذا واضح لمن انصف.

واني لأعجب لهذا الإمام العظيم كيف مني في حياته وبعد مماته من هذه الأمة برجال يسعون في تصغير شأنه وخفض مقامه والحط من كرامته ويا ليتهم يعتمدون شيئا من ذلك ويدلوننا عليه لنقتفي اثرهم ونسير خلفهم وايم الحق ما ولايتنا لهذا الرجل ولولده الا حبا للحق وتعصبا لأهل الدين والفضل ولا نريد بذلك الا الله ورسوله .

وهب ان اولئك المعاصرين له المنحرفين عنه في حياته كان ينازعهم الدولة والسلطان وتبعهم كثير من الناس لوجود الدنيا عندهم وفي قبضتهم فما بال اهل هذا العصر وفيهم المنصف والنبيه والالمعي والفطن ومن يدعي الوجدان ويسعى خلف البرهان ولا يخدع بالسراب ولا تغره الالقاب ولا يقلد الآباء ولا يسير الا بضياء لا ينتبهون الى ما اسسه الظالمون وسطره الكاذبون فأنصفونا يا معشر الاسلام السنيين في اهل بيت نبيكم ومن فرض الله مودتهم في كتابه واذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا واوجب عليكم في الصلاة المفروضة الصلاة عليهم مع نبيكم .

ومن اولئك المنحرفين علي بن برهان الدين الحلبي صاحب السيرة الحلبية فإنه ذكر في غزوة احد لبعض الصحابة من الكرامات ما يشبه حديث خرافة ولم يتعرض لضعفه ولا نقل عن احد ضعفه لكنه تصدى

لانكار فضل امير المؤمنين (ع) فقال[1] ان مـا تروبه الرافضة لعلي من الكرامات يوم احد ثم عدها

وقال جميعه رده الامام ابو العباس بن تيمية بانه كذب وقد عرفت مما سبق ان الشيعة لم تنفرد بذكرها بل رواها الثقاة المنصفون من اهل السنة المنحرفون عن النصب والانحراف وليت شعري ما الذي اعتمده هذا الحلبي وامامه التيمي في تكذيبها .

فإن كان استعظامه واستبعاده فرار المسلمين عن النبي (ص) فقد نطق القرآن بذلك اذ يقول سبحانه (اذ تصعدون ولا تلون عـلى احد والرسول يدعوكم في أخراكم) فإن هذا صريح في ان الجميع فروا .

وان كان استبعاده ثبات امير المؤمنين وحده فهي مكابرة وعنادفقد اشتهر عند عامة الخلق وعلم كافة الأمم وسائر الفرق من ذوي الملل فضلا عن المسلمين . ان الشجاعة انتهت اليه وانه بلغ اقصى غايتها والاستدلال على ذلك كالاستدلال على وجود مكة وامثالها فمن كان بهذه المثابة من الشجاعة كيف يستبعد ثباته او يحتمل احد فراره معما اضيف الى شجاعته من شدة حبه لله ورسوله وتهالكه في رضاهما واهل السير مجمعون على ثباته يوم احد وانه بايع رسول الله (ص) على الموت ومختلفون في غيره ولو انه انحاز بعض الانحياز لحفظ له وروي عنه لكثرة اعدائه بل لوكان يحتمل منه الفرار لألصقه به اعداؤه وافتروا عليه بـه لكنهم علموا ان الناس لا يصدقونهم ولا يروج عندهم لما هو مركوز في نفوسهم من شجاعته وبأسه واحتياطه على رسول الله(ص) فرموه بما يحتمله الناس فيه ويصدقونهم به من تحريضه الناس على عثمان والرضا بقتله وايوائه قتلته

(١) صفحة ٢٤٩ جزء ٢

وكراهته لأبي بكر وعمر وامثال ذلك فاين الاستبعاد لولا النصب والعناد اعاذنا الله منه .

ثم ذكر هذا الحلبي في سيرته(١) ان سعدا كان من الرماة المذكورين وان رسول الله(ص) دعا له فقال اللهم سدد رميته واجب دعوته وانه رمى يوم احد الف سهم وكلما رمى سهما قال له رسول الله(ص) فداك ابي وامي حتى قالها الف مرة ولم يستبعد ذلك ولا انكره هو ولا إمامه. بربك انصفني اليس هذا الحديث من المنكرات وشبيه بالخرافات وملحق بالمحالات وبيان ذلك ان هذا المقدار من السهام يحتاج الى بعير لحمله فكيف حملها سعد وهب انه حملها على بعير وكان البعير معه في المعركة وان لم يرو ذلك لنا .

فيكون الذي اصابه سعد من المشركين بين قتيل وجريح الف رجل. لأنه مسدد الرمية بدعائه [ص] وهذا ثلث عسكر المشركين فكم يكون قتل من اعلامهم وقد كان انهزام عسكر المشركين اول الحرب بقتل تسعة منهم وهم حملة اللواء فكيف لم يهزم المشركون وقد اصيبوا بالف بين قتيل وجريح وعلى اقل الاحتمالات يكون المقتول مائتان وخمسون رجلا.

والروايات متفقة على ان كل من قتل من المشركين لم يبلغ الاربعين وعلى فرض ان الله سبحانه لم يستجب لنبيه دعوته في سعد ولم يسدد رميته فلا ريب ان سعدا كان من الرماة المعدودين فلنفرض على اقل الاحتمالات انه كان يخطئ بثلاث ويصيب بواحد فيكون قد قتل من المشركين ما يقرب من مائة رجل وكم قتل بقية المسلمين يا ترى فلنفرض لهم مقدار من قتله سعد فيكون قد قتل من المشركين ما يقرب من المائتين

(١) صفحة ٢٤١ جزء ٢

وشتان مابين المائتين وبين ما اتفقت عليه الروايات من انه لم يبلغ الاربعين وكيف يقتل سعد هذا العدد من المشركين ولا رواه احد ولا افتخر له به وكانت الدواعي لنقله موفرة فلقد اخذ نصيبه من الرياسة والامارة بالكوفة وقيادة الجيش يوم القادسية حتى عير يومئذ بالجبن[1] فلم تذكر له هذه المنقبة التي ما سبق اليها ولا وقع لاحد مثلها فما الحيلة في امثال هؤلاء المؤرخين المبغضين لأمير المؤمنين المتصدين لنقض فضائله وكراماته وتكذيبها بغير برهان ويصدقون في غيره بالخرافات والمحالات وتالله ما قصدنا انتقاص ذلك الصحابي الجليل اعني سعد بن مالك بل غرضنا الدلالة على اولئك المؤرخين والتنبيه على حيادهم عن الإنصاف ودكوبهم في اهل البيت جادة النصب والانحراف لئلا يغتر بهم المسلمون ولا يتزهونهم عن الخيانة والافتراء .

ومما ذكره الحلبي في سيرته من الخرافات حديثا يضحك الثكلي قال ما هذا لفظه صفحة ١٦٦ جز٢٠ وعن علي رضي الله عنه انه قال لجمع من الصحابة اخبروني عن اشجع الناس قالوا انت قال اشجع الناس ابوبكر. لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله (ص) عريشا فقلنا من مع رسول

(١) عيرته سلمى زوجته وكانت قبله عند المثنى بن حارثه فلما كان يوم القادسية وسعد على سطح قصر هناك مشرف على العسكر وهو امير الجيش وقد رأت سلمى ما يلقى المسلمون من اهل فارس قالت وامثناه ولا مثنى للخيل اليوم فلطمها سعد فقالت اغيرة وجبنا وقال رجل يومئذ

نقاتل حتى انزل الله نصره ... وسعد بقصر القادسية معصم
فابنا وقد آمت نساء كثيرة ... ونسوة سعد ليس فيهن ايم

وقال جرير

انا جرير كنيتي ابو عمرو ... قد نصر الله وسعد في القصر

الله اي من يكون معه لئلا يهوي اليه احد من المشركين فوالله ما دنا منا احد الا ابو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله (ص) لا يهوي اليه احد الا اهوى اليه اي ولذلك حكم على انه اشجع الناس وبه يرد قول الشيعة والرافضة ان الخلافة لا يستحقها الا علي لأنه اشجع الناس اي وهذا كان قبل ان يلتحم القتال والا فبعد التحامه كان علي على باب العريش الذي بـه صلى الله عليه وسلم وابو بكر وسعد بن معاذ قائما على باب العريش في نفر من الانصار كما سيأتي انتهى كلامه بلفظه .

ولولا خشية ان يغتر به بعض بسطاء المسلمين لكان جديرا بالاعراض عنه فإنه كلام متهافت متناقض خلو من الفائدة لا يليق صدوره من احد من اهل العلم بالتاريخ .

ويا لها من فرية ما اعظمها وكذبة ما اقبحهـا كيف نسب اصحاب رسول الله الى الجبن والهلع والزهد برسول الله (ص) فلم ينتدب منهم جماعة لحمايته واي بأس يكون عند العريش وهو خلف الجيش والجيش حائل بينه وبين العدو وانما يخشى عليه حينئذ مـن الواحد او الاثنان لا غير واي خوف يكون من الاثنين والثلاثة حتى يحجم عنه ذوو البأس من الصحابة كأمير المؤمنين علي وحمزة والزبير وشجعان الاوس والخزرج كسعد بن معاذ وابي دجانة والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف وأمثالهم من ذوي النجدة ولم يكن ثمة حرب ولا قتال يخشى هؤلاء منه .

فهل سمع السامعون بشيء اطرف من هذا الحديث واغرب اينكص امثال هؤلاء عن حماية رسول الله (ص) ويتولاهـا ابو بكر وما ادري من ايهما اعجب امن احجامهم ام من اقدامه .

واعجب من ذلك قوله لا يهوي اليه احد الا اهوى اليه اي ابو بكر

وهذا الكلام منه يدل على انه كثر الهجوم من المشركين على رسول الله (ص) وان ابا بكر كان يذبهم عنه مع اننا لم نسمع ولا روى احد من المؤرخين هجوم احد من المشركين على رسول الله (ص) يوم بدر وكأن هذا الحلبي اشتبه عليه يوم بدر بيوم احد فافترى هذا الحديث .

وليته ذكر لأبي بكر قتل احد او جرحه ممن يهوي اليهم بسيفه ثم ناقض ذلك بقوله هذا قبل ان يلتحم القتال وكيف تكاثر الهجوم من المشركين على النبي ولم يلتحم القتال بعد وما الذي كان يعمله المسلمون حينئذ وكأنه اراد بهذا التفسير دفع ما يرد عليه من اتفاق المحدثين على ان سعد بن معاذ (ره) هو الذي كان يلي حراسة رسول الله (ص) كان متشحا بسيفه قائما بباب العريش لكنه بتفسيره وقع فيما هو اشد فسادا واقوى ايرادا وهو التناقض والتهافت .

على ان المؤرخين ذكروا ان ابنه عبد الرحمن برز يوم بدر وطلب البراز فقام اليه وسل سيفه فقال له رسول الله (ص) يا أبابكر شم سيفك ومتعنا بنفسك وانما قال له رسول الله (ص) ذلك لعلمه بضعفه وانه لو برز لقتل وما رأينا احدا ذكر له في غزواته مع رسول الله (ص) انه قتل احدا وبرز لأحد فمن يكون بهذه المثابة من الضعف والعجز يدّعى له انه اشجع الخلق اليس هذا الكلام بقول المجانين اشبه منه بقول المؤرخين .

ولهذا الحلبي امثال ذلك كثير في سيرته ولو تعرضنا لذكرها وردها لكتبنا بذلك مجلدات ضخمة ولكن يهون الخطب ان الفطن ومن له المام بالتاريخ لا يخفى عليه فساد ذلك .

ولولا خشية ان يستاء كثير من المسلمين لذكرت من امثال الحلبي وامامه التيمي كثيرا ممن لهم منزلة في قلوب المسلمين السنيين وهم منحرفون

عن علي (ع) والائمة من ولده ولو عرفهم اولئك المسلمون بهذه الصفة لبرأوا منهم فإن ولاية اهل البيت وحبهم عند كافة المسلمين فرض على كل مسلم وهؤلاء هم الذين فرقوا كلمة المسلمين وصغروا شأن اهل البيت وستروا فضلهم حين صانعهم أئمة الجور وملوك الضلال بالأموال واستمالوهم بالدنيا خوفا على سلطانهم من اهل البيت فمالوا معهم كما شاؤا وتدلسوا للناس بالدين والصلاح فمالت اليهم القلوب واحبتهم النفوس وصدقوهم بكل ما حدثوا به .

فما ربحت تجارتهم اذ فاتهم خير الدنيا ونعيم الآخرة وما كانوا مهتدين فعلى المسلمين ان ينتبهوا لذلك فيعرفون ان سيرتهم في تدوين فضل علي (ع) خلاف سيرتهم في تدوين فضل غيره والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم.

﴿ غزوة بني النضير ﴾

ثم اعقب غزوة احد غزوة بني النضير وسببها كما رواه المؤرخون ان رسول الله (ص) خرج الى يهود بني النضير يستعينهم على دية لزمته ومعه بعض اصحابه فاجابوه الى ما طلب ثم تآمروا على قتله وهو جالس الى جنب جدار وقالوا انكم لا تجدون فرصة عليه مثل هذه فليعلُ احدكم هذا البيت ويلقي عليه صخرة يقتله بها ويريحنا منه .

فنهاهم عن ذلك سلام بن مشكم وقال هو يعلم ذلك فلم ينتبهوا ولما هموا به جاء رسول الله (ص) الخبر من السماء فقام كأنه يريد حاجة وانتظره اصحابه فابطأ عليهم وجعلت يهود تقول ما فعل ابو القاسم ما حبسه فقال كنانة بن صوريا جاءه الخبر بما هممتم به قال ولما رجع رسول الله (ص) اخبر اصحابه بذلك فارسل اليهم رسول الله (ص) ان اخرجوا من بلادي فلا تساكنوني وقد هممتم بما هممتم من الغدر .

فارسلوا اليه انا لا نريم دارنا فاصنع ما بدا لك فامر رسول الله الناس بالخروج اليهم وحصارهم وضربت قبته في اقصى بني حطمة من البطحاء فلما جن الليل رماه رجل من بني النضير بسهم فاصاب القبة فامر النبي (ص) ان تحول قبته الى السفح واحاط به المهاجرون والانصار .

فلما اختلط الظلام فقدوا امير المؤمنين عليا (ع) فقال الناس يا رسول الله (ص) لا نرى عليا فقال اراه في بعض ما يصلح شانكم .

فلم يلبث ان جاء (ع) ومعه رأس اليهودي الذي رمى رسول الله (ص) بالسهم وكان يقال له عزورا وقيل عزول وكان من ارمى الناس وكان يبلغ نبله ما لا يبلغه نبل غيره فطرحه بين يدي النبي (ص) فقال له كيف قدرت عليه يا ابا الحسن .

قال إني رأيت هذا الخبيث جريئا شجاعا فكمنت له وقلت ما أحراه ان يخرج اذا اختلط الظلام يطلب منا غرة فاقبل مصلتا سيفه في تسعة نفر من اليهود فشددت عليه وقتلته فأفلت اصحابه ولم يبرحوا قريبا فابعث معي نفرا فإني ارجو ان اظفر بهم .

فبعث رسول الله (ص) معه عشرة فيهم ابو دجانة وسهل بن حنيف فادركوهم قبل ان يلجوا الحصن فقتلوهم وجاؤا برؤسهم الى النبي (ص) فأمر ان تطرح في بعض آبار بني حطمه .

وكان ذلك سبب فتح الحصن قذف الله في قلوبهم الرعب وصالحوا رسول الله (ص) على ان يحقن دماءهم وان يخرجوا من اوطانهم بذراريهم ونسائهم وان اموالهم لرسول الله (ص) فسيرهم رسول الله (ص) الى اذرعات من ارض الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرا وسقاء[1] وكانت اموالهم

(١) ذكر ذلك صاحب السيرة الحلبية جز ٢ صفحة ٢٧٩ والمفيد في الارشاد فراجع

صفيا لرسول الله(ص) يضعها حيث شاء .

فاجل طرف الانصاف وانظر بعين البصيرة والوجدان الى ما جبلت عليه نفس هذا الإمام من العظمة والذكاء والبأس والنجدة وشدة تيقظها لما يعود على هذه الأمة بالفوائد الجليلة والنفع العظيم وكيف فطن لهذه الحيلة من بين اصحاب رسول الله(ص) جميعهم وسار خلفها وكيف اقدم وحده على اولئك العشرة ولا ريب انهم اشجع من في الحصن .

وكيف لم يكتف بقتل عميدهم حتى استنجد بعشرة من المسلمين عليهم لئلا يفلت منهم احد ويوخذ الحصن حينئذ عفوا بغير قتال .

اجل ان هذا شأن الوزير ومن اليه امر الدولة وتدبير شأنها والنظر فيما يصلحها تأمن الرعية وهو خائف وتنام وهو يقظان وهو المخصوص دونها بالبلاء ومقاساة التعب والعناء .

وانظر الى قول رسول الله(ص) عندما اخبر بفقدهم له اراه في بعض ما يصلح شانكم تراه قول عارف بشأنه مطلع على حقيقة امره وشاهد له بأن هذا الكلام قد اوقف نفسه وفرغها للعمل فيما يصلح شأن هذه الامة وان لا عمل له سواه ولذلك اختاره اخا ووزيرا من بين سائر اصحابه على صغره وحداثة سنه .

فما يقول الرأي في هذا الإمام وهذا كدحه لأمته وسعيه لها ايليق به ان يتولى زمامها ويكون نظامها بعد نبيها وهل هذا العمل عمل عارف بالسياسة مستحق للرياسة .

﴿ وقعة الاحزاب ﴾

ثم كانت بعدها وقعة الاحزاب من السنة الخامسة من الهجرة وكان الذي جرها اجلاء بني النضير فإن نفرا من اشرافهم منهم حيي بن اخطب

وكنانة بن الربيع وسلام بن ابي الحقيق خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة ودعوهم الى حرب رسول الله (ص) وقالوا اننا سنكون معكم عليه فقال ابو سفيان مرحبا واهلا واحب الناس الينا من اعاننا على عداوة محمد

ثم توجه حيى بن اخطب ومن معه الى غطفان واخبروهم باجتماعهم مع قريش على حرب رسول الله (ص) وسألوهم النصرة فاجابوهم الى ذلك فلما بلغ رسول الله (ص) ما اجمعوا له امر بحفر خندق حول المدينة و كان الذي اشار بذلك سلمان الفارسي (رض) وكانت اول غزوة شهدها مع رسول الله (ص)

قال يا رسول الله (ص) نحن معاشر الفرس اذا دهمنا عدو خندقنا حول بلدنا خندقا فعمل رسول الله (ص) بما اشار بـه سلمان (رض) فقالت الأنصار سلمان منا وقال المهاجرون سلمان منا فقال رسول الله (ص) سلمان منا اهل البيت .

وعمل رسول الله (ص) في الخندق بنفسه وكان يشد حجر المجاعة على بطنه وظهرت له (ص) كرامات باهرة يومئذ .

منها ان جابر بن عبد الله الأنصاري رأى مـا برسول الله (ص) من الجوع فجاء الى زوجته واخبرها بذلك وامرها بصنع عشاء لرسول الله (ص) ثم مضى ودعا رسول الله (ص) للعشاء عنده فقال (ص) ما عندك يا جابر قال صاع دقيق وعناق فقال (ص) انا وحدي ام انا ومن احب فقال انت ومن تحب ظنا منه انه يريد اخص اصحابه واقربهم اليه .

فلما صلى رسول الله (ص) المغرب امر ان ينادى يا معشر المسلمين انكم في دعوة جابر بن عبد الله فلما سمع جابر ذلك ضاق ذرعا ومضى الى زوجته وقال لها لقد فضحنا بين المسلمين واخبرها الخبر فقالت له هل اخبرت رسول الله (ص) بالذي عندنا فقال نعم فقالت هو اعلم بما صنع .

فجاء رسول الله (ص) وتبعه المسلمون فدخل البيت وامر المسلمين ان يدخلوا عليه عشرة عشرة وهو يقطع اللحم والخبز بيده الشريفة ويقدمه لاصحابه وكلما خرج فوج دخل آخر حتى اكلوا جميعا من ذلك الطعام .

ومنها ان المسلمين بيناهم يحفرون في الخندق اذ اعترضتهم صخرة بيضاء فلم تعمل فيها المعاول فجاء سلمان واخبر النبي (ص) بذلك فجاء (ص) فاخذ المعول من سلمان وضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة اضاءت ما بين لابتيها يعني المدينة حتى كأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله (ص) تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها الثانية فصدعها وبرقت منها برقة اضاء منها ما بين لابتيها فكبر رسول الله (ص) تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها الثالثة فكسرها وبرق منها برقة اضاءت ما بين لابتيها فكبر رسول الله (ص) تكبير فتح وكبر المسلمون ثم اخذ بيد سلمان فرقى .

فقال سلمان بابي وامي انت يا رسول الله (ص) لقد رأيت شيئا ما رأيته قط فقال رسول الله (ص) للقوم هل رأيتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموج فرأيناك تكبر فنكبر ولا نرى غير ذلك قال صدقتم انه اضاء لي من البرقة الاولى قصور الحيرة ومدائن كسرى وكأنها انياب الكلاب وان الله سيفتحها عليكم ثم اضاءت لي من البرقة الثانية قصور الحمر من ارض الروم كأنها انياب الكلاب وان الله سيفتحها عليكم ثم اضاءت لي من البرقة الثالثة قصور صنعاء وان الله سيفتحها عليكم .

فابشروا وابشروا واستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صادق بار وعدنا النصر بعد الحصر .

وكان في المسلمين رجل يسمى شويل كان يهيم بكرامة بنت عبد المسيح ملك الحيرة ويخرف بها دهره .

قال بعض المسلمين لما سمعت قول رسول الله اضاءت لي من البرقة الاولى قصور الحيرة وان الله سيفتحها عليكم علمت ان وعده حق فقلت لشويل سل رسول الله(ص) ان يعطيك كرامة فجاء شويل وسأل رسول الله(ص) ان يعطيه كرامة بنت عبد المسيح فقال(ص) هي لك .

فلما توجه خالد بن الوليد في خلافة ابي بكر لحرب فارس نزل الحيرة وقد تحصن اهلها منهم بالقصور وحاصرهم المسلمون حتى أذعنوا بالجزية وكان سيدهم عمرو بن عبد المسيح فلما اراد خالد امضاء الصلح معه قام شويل واخبر خالدا بان رسول الله(ص) وهبه كرامة اخت عمرو وشهد له بذلك جماعة من المسلمين فابى خالد ان يكاتبهم الا على اسلام كرامة الى شويل .

فاشتد ذلك على اهل بيتها واهل قريتها وثقل عليهم وهي ابنة سيدهم ان يملكها ذلك الاعرابي على ضعفه وسوء حاله ودمامته وارادوا ان يعظموا خطرها(١) .

فقالت هونوا عليكم ولا تخطروه ولكن اصبروا .

ما تخافون على امرأة ناهزت الثمانين سنة فانما هذا رجل احمق رآني في شبيبتي فظن ان الشباب يدوم فدفعوها الى خالد فدفعها خالد الى شويل .

فلما صارت اليه قالت له يا هذا ما اربك الى عجوز كما ترى. فادني قال على حكمي . قالت لا تشطط .

فقال لست لأم شويل ان نقصتك من الف درهم فاستكثرت ذلك

(١) اي يعطون مالا كثيرا ليعتقها

لتخدعه ثم اتته بها فارسلها ورجعت الى اهلها فتسامع الناس بذلك فعنفوه حيث قنع منها بالف ولو استمسك لافتدت منه بعشرات الالوف .

فقال ما كنت ارى ان عددا يزيد على الف فابوا عليه الا ان يخاصمهم فذكر ذلك لخالد فقال كانت نيتي غاية العدد وقد ذكروا ان العدد يزيد على الف .

فقال خالد اردت امرا واراد الله خلافه تأخذ بما ظهر منك وندعك ونيتك صادقا كنت ام كاذبا . فتأمل هذه الكرامة لرسول الله وكيف انجز الله سبحانه عِدَته وحقق هبته لشويل بعد لأي من الزمن وبهذه وبأمثالها تعرف النبوة وتثبت الرسالة .

ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعد الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما . وقال المنافقون الا تعجبون كيف يمنيهم ويعدهم الباطل يخبرهم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لهم وهم يحفرون عليهم خندقا لا يستطيعون ان يبرزوا منه .

وفيهم نزل قوله سبحانه (واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) وجاءت قريش باحابيشها ومن ضوى اليها من كنانة و اهل تهامة واقبلت غطفان ومن تبعها من اهل نجد ووافاهم بنو سليم وبنو اسد وفزارة واشجع وبنو مرة فكان جميع من شهد الخندق من المشركين عشرة آلاف .

فهال المسلمين كثرتهم كما قص سبحانه (اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) الى آخر الآيات .

ثم ان رسول الله(ص) امر باحراز النساء والذراري في الآطام وجاء حيى بن اخطب عدو الله حتى اتى كعب بن اسد القرضي صاحب عقد بني قريضة وعهدهم و كان قد عاقد رسول الله وعاهده على قومه بني قريضه

فلما سمع كعب بحيى بن اخطب اغلق دونه باب الحصن فاستأذن عليه فابى ان يفتح له فناداه حيى ويحك يا كعب افتح لي فقال له انك لم تأتِ بخير وانك امرء مشوم واني قد عاهدت محمدا فلست بناقض مابيني وبينه ولم ار منه إلا وفاء وصدقا .

فما زال به حتى فتح له وكان حيى بن اخطب من شياطين الانس فقال ويحك يا كعب اني جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها وبغطفان على قادتها وسادتها وقد عاهدوني وعاقدوني الا يبرحوا حتى يستاصلوا محمدا ومن معه .

فقال كعب جئتني والله بذل الدهر بجهام قد هراق ماؤه يرعد ويبرق ليس فيه شيء ويحك دعني ومحمدا وما انا عليه فإني لم ار منه الا وفاء وصدقاً .

فما زال يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له بعد ان اعطاه عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش ولم تصب محمدا ان يدخل معه حصنه يصيبه ما اصابه فنقض كعب عهد رسول الله(ص) وبرئ منه .

ولما بلغ رسول الله(ص) ساءه ذلك كثيرا وارسل جماعة من الانصار منهم السعدان يعلمون له ما بلغه عن قريضة فوجدوهم على اخبث مابلغهم عنهم ونالوا من رسول الله(ص) وقالو لا عهد بيننا وبين محمد ولاعقد .

فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه فقال سعد بن معاذ دع مشاتمتهم فما بيننا وبينهم اربى من المشاتمة فلما رجعوا واخبروا رسول الله(ص) بما شاهدوه

منهم قال الله اكبر ابشروا ابشروا يا معشر المسلمين .

وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وظن المسلمون بالله الظنون وخافوا على نسائهم وذراريهم من قريضة ان يأتوهم من خلفهم والمشركون من بين يديهم وفر كثير من المنافقين والذين في قلوبهم مرض معتذرين ان بيوتهم خارج المدينة يخافون عليها من اليهود وهم الذين قال سبحانه فيهم (يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا)

وروى ابو جعفر الطبري عن عائشة قالت خرجت يوم الخندق اقفو اثر الناس فوالله إنني لأمشي اذ سمعت وئيد الارض خلفي تعني حس الارض فالتفتُّ فاذا انا بسعد بن معاذ فجلست الى الارض وكان من اعظم الناس واطولهم وهو يقول :

لَبِّث قليلا يلحق الهيجا حمل ما احسن الموت اذا حان الاجل

قالت فلما جاوزني قمت فاقتحمت حديقة فيها نفر من المسلمين فيهم عمر بن الخطاب .

فقال عمر انك لجريئة ما جاء بك ما يدريك لعله يكون تحيزا وبلاء فوالله ما زال يلومني حتى وددت ان الارض تنشق لي فادخل فيها .

وكأنه قال لها أما تخشين ان يُغلب المسلمون كيوم احد وتؤخذين سبيئة فيفتضح المسلمون بك ويهتك رسول الله (ص) اما ترين النساء والذراري في الآطام قد احرزوا خوف العدو وانت ذاهبة الى المعركة وامثال ذلك .

فلله ابوها ما أجرأها واربط جاشها واعظم من خروجها يوم الخندق خروجها يوم الجمل وكان هودجها يومئذ بمنزلة اللواء لاهل البصرة وعليه كانت تدور رحى الموت وتسقط حوله الايدي والرؤس وهي تحرض

الناس على القتال حتى قتل من المسلمين يومئذ سبعة عشر الفا .

ولما رأى رسول الله(ص) ما دهم المسلمين من العدو وكثرتهم وجزع اصحابه وخوفهم اراد ان يفرق كلمة المشركين فارسل الى عيينة بن حصن والحارث بن عوف وهما قائدا غطفان ان ينصرفا بقومهما على ان لهما ثلث تمر المدينة فاجابا الى ذلك فاستشار الأنصار فيما يفعله .

فقال سعد بن معاذ يا رسول الله(ص) اهذا عن امر الله فليس لنا معه رأي أم رأي رأيته فقال بل رأي رأيته اني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة فاردت ان اكسر عنكم شوكتهم .

فقال سعد بن معاذ يا رسول الله(ص) قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله ولا يطمعون ان يأكلوا منا تمرة واحدة الا قرى او بيعا افحين اكرمنا الله بالإسلام وهدانا له واعزنا بك نعطيهم اموالنا .

ما لنا بهذا حاجة والله لانعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال(ص) فأنت وذاك فاخذ سعد الصحيفة ومزقها وارسل الى غطفان بيننا وبينكم السيف .

ومما صنعه سبحانه لطفا بالمسلمين بعد ان نالهم من الجهد والبلاء ما نالهم ان رجلا من غطفان يسمى نعيم بن مسعود هداه الله للإسلام فجاء إلى النبي(ص) فقال يا رسول الله(ص) اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال (ص) انما انت منا رجل واحد فخذل عنا ما استطعت .

فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى قريضة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال لهم قد علمتم ودي اياكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم قال لهم انكم ظاهرتم قريشا وغطفان على محمد وليسوا كأمثالكم البلد بلدكم به اموالكم

وابناؤكم ونساؤكم لا تقدرون ان تحولوا عنه الى غيره وقريش وغطفان ابناؤهم ونساؤهم واموالهم بغيره ان رأوا نهزة او غنيمة اصابوها وان رأوا غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين محمد ولا طاقة لكم به ان خلا بكم .

فارى لكم ان لا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من ابنائهم واشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه .

فقالوا لقد اشرت برأي ونصح ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لأبي سفيان ومن معه من قريش قد عرفتم ودي اياكم ونصحي لكم وقد بلغني امر رايت حقا علي ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل .

قال اعلموا ان معشر يهود قد ندموا على نقض عهد محمد وارسلوا يعتذرون اليه وقالوا له هل يرضيك ان نأخذ من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم ونسلمهم اليك لتضرب اعناقهم ونكون معك على من بقي فاجابهم على ذلك فإن ارسلت يهود يلتمسون رهنا من اشرافكم فلا اري ان تدفعوا اليهم احدا .

ثم مضى الى غطفان وقال لهم كمقالته لقريش فلما كان ليلة السبت ارسلت قريش وغطفان لبني قريضة إنه قد هلك الخف والحافر فاعدّوا للقتال غدا فقالوا لهم ان غدا السبت ولا نعمل فيه عملا ولسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا حتى نناجز محمدا فإنا نخشى ان تخلوا بيننا وبينه وتنقلبوا الى بلادكم .

فلما رجعت الرسل الى قريش بذلك قالوا صدق نعيم ان الذي اخبرنا به حق فارسلوا اليهم والله لا نعطيكم رجلا واحدا فلما رجع الرسول

الى قريضة بذلك قالوا صدق نعيم بن مسعود بما اشار به .

ثم ارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم وخذّل الله بينهم ثم ان قريشا اعدوا لحرب النبي واقتحام الخندق عليه .

وقد كانوا قبل ذلك يترامون بالنبل والحجارة وكان اول من انتدب لاقتحام الخندق عمرو بن عبد ودالعامري وكان على خيل المشركين وهو يومئذ فارس الاحزاب .

خرج معلما ليرى مكانه ويعرف بلاؤه ومعه عكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب[1] قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم تعنق بهم .

ومروا على بني كنانة وقالوا تهيأوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه .

فلما رأوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب لتكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيلهم واكرهوها فاقتحمت بهم

(١) ابن مرداس بن كثير بن عمرو بن سفيان بن محارب بن فهر القرشي وغلط جماعة منهم صاحب السيرة الحلبية فظنه اخا عمر بن الخطاب لاتفاقهما في اسم الاب وليس لعمر أخ الا زيد قتل يوم اليمامة في حرب مسيلمة وكان اسلامه قبل اخيه عمر (رض) وما كفاه غلطه حتى روى ما لا صحة له قال ان ضرار بن الخطاب لما هرب تبعه اخوه عمر بن الخطاب وصار يشتد في أثره فكر ضرار راجعا وحمل على عمر بالرمح ليطعنه به ثم امسك وقال هذه نعمة مشكورة وهذا الحديث مفترى وليس فيه لعمر (رض) منقبة فما السبب وما الداعي لوضعه وانما وقع نظيره يوم احد حين فر المسلمون عن رسول الله (ص) ورأى ضرار بن الخطاب عمر متوجها نحو الجبل فقرعه بالرمح على رأسه وقال انها نعمة مشكورة يا ابن الخطاب .

وجالوا بها بالسبخة بين الخندق وسليع واضحواهم والمسلمون في صعيد واحد .

واني لأعجب غاية العجب من اقتحام هؤلاء الخمسة الخندق على المسلمين وهم ثلاثة آلاف مع انقطاعهم عن اصحابهم وعدم قدرة اصحابهم على إمدادهم .

فما ادري ما دعاهم الى ذلك أعتمادا منهم على شجاعتهم وشدة بأسهم وجرأتهم ام احتقارا منهم للمسلمين وتهاونا بهم لما رأوه من اعتصامهم بالخندق واحترازهم به مع ما اثروه بهم ونالوه منهم يوم احد .

واظن ان الداعي كلا الأمرين فلقد نال المسلمين من الخوف والوجل يوم الخندق ما لم ينلهم في موقف قط كما اخبر سبحانه بقوله (هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) ففي السيرة الحلبية(١) والارشاد والكامل والطبقات وغيرها ان عمرو بن عبدود نادى من يبارز فقام علي وقال انا له يا نبي الله فقال اجلس انه عمرو ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول اين جنتكم التي تزعمون ان من قتل منكم دخلها ثم انشد عمرو ابياتا منها :

ولقد بححت من الندا ... بجمعكم هل من مبارز(٢)

فقام علي (ع) فقال انا له يا رسول الله فقال اجلس انه عمرو ثم نادى الثالثة فقام علي وقال انا له يا رسول الله فقال انه عمرو فقال علي (ع) وان

---

(١) صفحة ٣٣٩ جزء ٢

(٢) ووقفت اذ جبن الشجا ... ع مواقف القرن المناجز
اني كذلك لم ازل ... متسرعا نحو الهزاهز
ان الشجاعة في الفتى ... والجود من خير الغرائز

كان عمرا .

فأذن له ثم اعطاه سيفه والبسه درعه وعممه بعمامته وقال اللهم اعنه عليه وفي لفظ اللهم هذا اخي وابن عمي فلا تذرني فردا وانت خير الوارثين وفي رواية انه(ص)رفع عمامته الى السماء وقال إلهي اخذت عبيدة مني يوم بدر وحمزة يوم احد وهذا علي اخي وابن عمي ربي لا تذرني فردا وانت خير الوارثين انتهى ما في السيرة .

وروى نحو ذلك المفيد(ره) عن الواقدي واكثر المؤرخين فانظر الى حرص رسول الله(ص) واشفاقه على امير المؤمنين وضنه به وهو ينتظر من اصحابه من ينتدب لعمرو وهم يعرفون ذلك منه ولكن طارت منهم الأفئدة وبلغت القلوب الحناجر وملك الرعب نفوسهم فلما رأى رسول الله(ص) ما حل باصحابه وطغيان عمرو ومن معه اذن لعلي عليه السلام فيا للخجل والحياء من تبكيت هذا المشرك وتوبيخه وتقريعه للمسلمين والزامهم البرهان والحجة على كذب ما يدعونه حيث يقول اين جنتكم التي ترعمون ان من قتل منكم دخلها .

بربك خبرني ما جواب هذا السؤال واي عذر لهم في عدم المسابقة الى النزال واقتحام المهالك والاهوال ازهدا في الجنة ونعيمها ام ضعف ايمان بما وعد الله سبحانه اذ يقول (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله .

ام تزلزل الاقدام وبلوغ القلوب الحناجر وما بال هذا الإمام العظيم والسيد الكريم لم يصب بذلك الزلزال ولم يحفل بتلك الاهوال ولم يفزعه ما افزع المسلمين ولم يرعه ما راعهم .

وما ذاك الا لأنه على بينة من ربه وبصيرة من امره ان قُتل سعد بالجنة وان قَتل فاز بالنصر والظفر وكلتاهما غاية الرغبة ومنتهى الامنية ولما برز اليه انشد :

لا تعجلن فقد اتا ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجى كل فائز
اني لأرجو ان اقيـ م عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبـ قى صيتها بعد الهزاهز

وكان عليه السلام شديد الحرص على اسلامه لما يعلمه من شدة بأسه فتقوى به كلمة الاسلام ويشد عضد الدولة فقال له يا عمرو اني سمعتك وانت معلق باستار الكعبة تقول واللات والعزى ما سألني احد خلالا ثلاثا الا وأجبته اليها او واحدة منها فقال نعم سل .

قال ان تشهد ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله قال نحّها عني قال اما انها خير لك لو اخذت بها قال غيرها .

قال ان ترجع بهذا الجيش عن رسول الله (ص) قال لا تتحدث نساء قريش بذلك وكيف اخذل قوما رأسوني عليهم .

هات غيرها قال ان تنزل عن فرسك وتقاتلني فضحك عمرو وقال ان هذه الخصلة ما كنت اظن ان احدا من العرب يرومني عليها ويروعني بها فارجع يا ابن اخي فإني اكره ان اقتل الرجل الكريم مثلك وقد كان ابوك لي نديما فما احب ان اقتلك .

فقال علي عليه السلام لكني والله أحب ان اقتلك ما دمت أبيا للحق فانزل اذا شئت فحمي عندها عمرو ونزل مغضبا وضرب وجه فرسه وحمل على علي .

فعن جابر بن عبد الله قال خرجت مع علي(ع) لأنظر مايكون منه ومن عمرو فلما نزل عمرو وضرب وجه فرسه وحمل على علي(ع) بسيفه ثارت بينهما قَترة[1] فلم ارهما فسمعت التكبير من تحتها فعلمت ان عليا قتل عمرا .

فانكشف اصحابه حتى طفرت خيولهم وتبادر اصحاب النبي(ص) حين سمعوا التكبير ينظرون ما صنع القوم فوجدوا نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي في جوف الخندق لم ينهض به فرسه فجعلوا يرمونه بالحجارة فقال لهم قتلة اجمل من هذه ينزل الي بعضكم اقاتله .

فنزل اليه علي(ع) فقتله وغلب المسلمون على جسده فسأل المشركون رسول الله(ص) بيعه وبيع جسد عمرو فقال لا حاجة لنا بهما ولابثمنهما وخلاهما لهم .

وفي السيرة الحلبية ثم حمل ضرار بن الخطاب وهبيرة بن ابي وهب على علي(ع) فأقبل علي عليهما فاما ضرار فلم يثبت وولى هاربا واما هبيرة فثبت ثم القى درعه وكانت في حقيبة خلفه وهرب وكأنه فعل ذلك ليخفف عن فرسه لئلا يصيبه ما اصاب نوفل .

قال جابر فما شبهت قتل علي عمرا الا بما قص الله تعالى من قصة داود وجالوت حيث يقول جل شأنه (فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت)

وروى الشيخ المفيد اعلى الله مقامه وصاحب السيرة الحلبية وغيره من اهل السير ان عليا(ع) لما قتل عمرا اقبل نحو رسول الله(ص) وقد تهلل وجهه فقال له عمر بن الخطاب هلا سلبته درعه فإنه ليس في العرب درع مثلها فقال عليه السلام اني استحييت ان اكشف سوأة ابن عمي

(١) القَترة بفتح التاء الغبار

وروي انه(ع) احتز رأس عمرو وجاء به والقاه بين يدي رسول الله(ص) فقام اليه ابو بكر وعمر وقبلا رأسه .

فيا للعجب كل العجب لهذه النفس العظيمة ما اكبرها وما ارفعها وما احراها بقول القائل :

ان الاسود اسود الغاب همها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

ولقد تفرد عليه السلام بهذه السجية واستأثر بها من بين سائر العرب ملوكها وسوقتها فلم يكن ليسلب احدا ممن قتله ولقد كان يعتمد بقتله الاعلام والقادة ولسلبهم القدر الرفيع والقيمة الجليلة والثمن الوافر .

وهذه ايام العرب ومغازي رسول الله(ص) وفتوح المسلمين لفارس والروم لم نعثر بها على من قتل قرنه وترك سلبه .

وما ظنك برسول الله(ص) وكيف كانت حاله من البهجة والسرور وقد رأى عليا(ع) مقبلا نحوه قد تهلل وجهه وسيفه يقطر من دم عمرو ونوفل بعد قلقه وخوفه عليه وبعد ما رأى من فشل اصحابه ونكوصهم وخشيته عليهم وقد انخلعت قلوبهم والقوا بايديهم القاء من لادفاع عنده ولامنعة لديه فلله هذا الإمام ما اعلى همته واجل نفسه واعظم قدرها واطوعها لخالقها قد جعلها مجنا للدين ودرعا للمسلمين :

شيمة من باع ولم يستقل ما اقبح البائع اذ يستقيل

قال سبحانه « إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا » الى قوله « فمن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » فامير المؤمنين وامام المسلمين وسيد الموحدين كيف يضن بنفسه ويبخل بها بعدان باعها لله سبحانه ولم يستقل وما اكثر من باعها واستقال ولم يبذلها

عند النزال وضن بها على الدين فخسرت صفقته وذلك هو الخسران المبين وما اجدره (ع) بقول القائل :

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى اجل من الدهر

وبالله اقسم قسما مبرورا لو لم ينتدب امير المؤمنين لعمرو ويقتله ونوفل ويهزم عكرمة وضرارا وهبيرة لغلب الشرك على الإسلام ومحا اثره وطمس معالمه وكان الدين والدولة كأمس الذاهب .

ولو تأملت ايها الأخ المنصف بحالة المسلمين يوم الاحزاب وماقصه الله سبحانه من امرهم وحالة المشركين وما انتجه فعل امير المؤمنين لم ترتب في صحة دعواي وصدق يميني قال سبحانه (اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا . واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا. وقالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا)

هذه كانت حالة المسلمين يومئذ وعددهم ثلاثة آلاف واقبل المشركون وعددهم عشرة آلاف واحاطوا بالمدينة كما قص سبحانه موقنين بالنصر والظفر لكثرتهم وكمال عدتهم وانتصارهم على المسلمين يوم احد وفرار المسلمين منهم يومئذ ولم يرتابوا في ان الفوز والعاقبة لهم .

واكد لهم ذلك ما رأوه من اعتصام المسلمين بخندقهم وعدم خروجهم لحربهم ولذلك اغتر هؤلاء الحمسة واقتحموا على المسلمين خندقهم منقطعين عن اصحابهم .

ولما رأى عمرو ان احدا من المسلمين لم يقم لدفعهم تحداهم للبراز

موبخا لهم قائلا اين جنتكم التي تزعمون ان من قتل منكم دخلها فلم يبرز اليه احد فانشد كما سمعت — ولقد بحت الخ —

ولا بعد في نكول المسلمين واحجامهم عن هؤلاء الخمسة فإن الرعب اذا ملك النفس خفق القلب واضطرب فيضعف عن بعث الجوارح واستعمالها .

وانما تعمل الجوارح بدافع القلب وبعثه لها وذلك حيث يكون ساكنا ثابتا ومع اضطرابه وخفقانه لا يعمل شيئاً ولذلك شواهد(١) .

فلو لم يفعل امير المؤمنين من بذل نفسه وبيعها لله ما فعله لحمل اولئك الخمسة على المسلمين ففرقوا جمعهم واثروا فيهم ورجعوا الى قومهم سالمين ظافرين .

ولو فعلوا ذلك لم يبق ريب في هجوم المشركين باجمعهم واقتحامهم الخندق على المسلمين وعندها يقتل رسول الله(ص) والمسلمون باجمعهم فإن جيشا لا يقوم لخمسة كيف يقوم لعشرة آلاف .

ويذهب الدين والدولة حينئذ ولما فعل امير المؤمنين(ع) ما فعله

---

(١) روى الطبري من حوادث السنة السادسة عشرة ان اهل فارس لما فروا من المدائن وتبعهم المسلمون يحوزونهم كيف شاءوا كان العربي يشير الى الفارسي فياتي اليه فيقتله ويشير الى الاثنين فياتيان فيامر احدهما بقتل صاحبه فيقتله وذكر ابن الاثير في احوال التتر حين دخلوا بلاد المسلمين وكيف استولى الرعب على المسلمين والخوف منهم .

قال رأى رجل من التتر في طريقه رجلا من المسلمين ففر المسلم منه فاشار اليه بالوقوف فوقف له فلما وصل اليه امره ان يضطجع فاضطجع فالتمس سكينا ليذبحه بها فلم يجد فاشار اليه ان لا يبرح من مكانه حتى يعود اليه ثم غاب ورجع ومعه السيف فوجده مضطجعا مكانه لم يتحول عنه فذبحه وانصرف وامثال ذلك كثير

بأولئك الخمسة وهم فرسان المشركين وقادتهم ذلت نفوسهم وطفئت جمرتهم ووهن عزمهم .

فلم يجسر احد بعد ذلك على اقتحام الخندق والدنو منه وقويت نفوس المسلمين بذلك وثارت فيهم الحمية واستنشقوا روح الأمن ووطنوا انفسهم على مقاومة العدو لو ارادهم تشبها بأمير المؤمنين واقتداء به وبهذا بطل استبعاد بعض النواصب كابن تيمية ورده ما روي عن رسول الله (ص) قتل علي لعمرو افضل من عبادة الثقلين .

والعجب ان صاحب السيرة الحلبية ردقول بن تيمية وقوى الحديث ورجح صحته جريا على غير عادته .

روى الشيخ الجليل في ارشاده باسناده عن ربيعة السعدي قال اتيت حذيفة بن اليمان فقلت له يا ابا عبد الله انا لنتحدث عن علي ومناقبه فيقول لنا اهل البصرة انكم تفرطون في علي فهل انت محدثي بحديث فيه فقال حذيفة يا ربيعة وما تسألني عن علي فوالذي نفسي بيده لو وضع اعمال اصحاب محمد في كفة الميزان منذ بعث الله محمدا الى يوم الناس هذا ووضع عمل علي(ع) في الكفة الاخرى لرجح عمل علي(ع) على جميع اعمالهم .

فقال ربيعة هذا الذي لا يقام له ولا يقعد[1] فقال حذيفة يا لكع وكيف لا تحمله واين كان ابو بكر وعمر وحذيفة وجميع اصحاب محمد (ص) يوم عمرو بن عبدود وقد دعا الى المبارزة فاحجم الناس كلهم ماخلا عليا(ع) فإنه برز اليه وقتله الله على يده .

والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم اعظم اجرا من عمل اصحاب محمد(ص) الى يوم القيامة .

(١) اي لا يصدقه احد ولا يحتمله

فتدبر شهادة هذا الصحابي الجليل والنقد الخبير كيف اعطى هذه الفضيلة حقها وقدرها قدرها وما ذاك الا لما شاهده وتحققه من حالة المسلمين وجزعهم وفشلهم ونكولهم عن عدوهم وان قتل علي لعمرو ونوفل وفرار من صحبهما هو سبب انتصار المسلمين ورجوع المشركين بالخيبة والخسر لم ينالوا خيرا ولهذا قال ما قال لربيعة وما بال حذيفة رضي الله عنه عرج على ذكر ابي بكر وعمر ولم يسبق من السائل ذكر لهما لعله ان ربيعة انما انكر ذلك لتفضيله عليا على ابي بكر وعمر فاعلمه حذيفة ان الفضل انما يكون بالاعمال والصبر على الاهوال والثبات في الزلزال وعلي (ع) هو المنفرد بذلك دون اصحاب النبي (ص) كافة .

ولقد اكبرت قريش قتل عمرو وأعظمته وافتخر لعلي به[1] عدوه

(١) قال حسان بن ثابت :

امسى الفتى عمرو بن عبد يبتغي بجنوب يثرب غارة لم تنظر
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة ولقد وجدت جيادنا لم تقصر
ولقد رأيت غداة بدر عصبة ضربوك ضربا غير ضرب الحسر
اصبحت لا تدعى ليوم عظيمة يا عمر او لجسيم امر منكر

ولما بلغ شعر حسان بني عامر اجابه منهم فتى كأنه كان مسلما كما يظهر فقال يرد عليه افتخاره بالانصار :

كذبتم وبيت الله لا تقتلوننا ولكن بسيف الهاشميين فافخروا
بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغى بكف علي نالتم ذاك فاقصروا
ولم تقتلوا عمرو بن عبد بأسكم ولكنه الكف الهزبر الغضنفر
علي الذي في الفخر طال بناؤه ولا تكثروا الدعوى علينا فتحقروا
ببدر خرجتم للبراز فردكم شيوخ قريش جهرة وتأخروا
فلما اتاهم حمزة وعبيدة وجاء علي بالهند يخطر
فقالوا نعم اكفاء صدق فاقبلوا اليهم سراعا اذ بغوا وتجبروا

وولیه في النظم والنثر .

فجال علي جولة هاشمية فدمرهم لما عتوا وتكبروا
فليس لكم فخر علينا بغيرنا وليس لكم فخر يعد ويذكر

وروى الشيخ المفيد (ره) عن المدائني قال لما نعي عمرو لاخته قالت من اجترأ عليه قالوا علي بن ابي طالب قالت لم يعد موته إلا على يد كف كريم لارقأت دمعتي إن هرقتها عليه قتل الأبطال وبارز الاقران و كانت منيته على يد كف كريم من قومه ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر ثم انشأت تقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنت ابكي عليه دائم الابد
لكن قاتل عمرو لا يعاب به من كان يدعى قديما بيضة البلد

وروي : (ابوه قد كان يدعى بيضة البلد) وقالت ايضا في ذكر اخيها وعلي(ع)

اسدان في ضيق المكر تصاولا وكلاهما كف كريم باسل
فتخالسا مهج النفوس كلاهما وسط المذار مخاتل ومقاتل
وكلاهما حضر القراع حفيظة لم يثنه عن ذاك شغل شاغل
فاذهب علي فما ظفرت بمثله قول سديد ليس فيه تحامل
والثار عندي ياعلي فليتني ادركته والعقل مني كامل
ذات قريش بعد مقتل فارس فالذل مهلكها وخزي شامل

ثم قالت والله لا ثارت قريش باخي ما حنت النيب وقال مسافع بن عبد مناف بن زهرة يرثي عمرا :

عمرو بن عبد كان اول فارس جزع المزار وكان فارس يليل

الى ان يقول :

فاذهب علي فما ظفرت بمثلها فخرا ولو لاقيت مثل المعصل

وقال هبيرة بن ابي وهب يعتذر من فراره من علي عن عمرو وهو احد الخمسة الذين اقتحموا الخندق :

لعمرك ما وليت ظهري محمدا واصحابه جبنا ولاخيفة القتل
ولكنني قلبت امري فلم اجد لسيفي غناء ان بقيت ولانبلي
وقفت فلما لم اجد لي مقدما صدرت كضرغام هزبر الى شبل

ولما راى ابو سفيان ووجوه قريش ما جرى على عمرو واصحابه احجموا عن اقتحام الخندق وراوا ان لا سبيل الى الوصول الى النبي (ص) والمسلمين وهم معتصمون بالخندق وطال عليهم الامر واحسوا من انفسهم بالضعف والفتور ونفد زادهم عزموا على الرجوع وسلط الله عليهم الريح فازعجتهم وقفلوا راجعين ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال .

روى الشيخ المفيد (ره) عن ابن مسعود انه كان يقرأ « وكفى الله المؤمنين القتال » بعلي « وكان الله قويا عزيزا » وقال رسول الله (ص) بعد قتل علي من قتل ورجوع قريش لم ينالوا خيرا الآن نغزوهم ولا يغزوننا

فما يقول الرأي العام في هذا المقام الذي قامه هذا الإمام وقد قعد عنه اصحاب رسول الله (ص) وكان هو السبب في رجوع الأحزاب بالخيبة بعد ان كاد اليأس ان يملك المسلمين وكادوا ان يوقنوا بالهلاك وظنوا بالله الظنون .

ونالهم من الله سبحانه التوبيخ والتقريع بقوله (وزلزلوا زلزالا

ثنا عطفه عن قرنه حين لم يجد عجالا وكان الحزم والرأي من فعلي

الى ان يقول :

كفتك عليا لن ترى مثل موقف وقفت على شلو المقدم كالفحل
فما ظفرت كفاك يوما بمثلها امنت بها ما عشت من زلة النعل

وقال هبيرة ايضا يرثي عمرا ويبكيه :

لقد علمت عليا لوي بن غالب لفارسها عمرو اذا ناب نائب
وفارسها عمرو ذا ما يسوقه علي وان الموت لا شك طالب
عشية يدعوه علي وانه لفارسها اذ حاد عنه الكتائب
لقد احرز العليا علي بقتله وللخير يوما لا محالة جالب

شديدا) ونجا من هذا التقريع من ربط جاشه وثبتت قدمه ومضى قدما كعادته لم تثنه الزعازع ولم يحفل بالقوارع يتهلل في وجه الخطب ويترنح في مشيته للحرب موقنا بالفوز والنجاح مبتهجا في بيعه بعظيم الارباح .

وحقيق بمن تولى كرسي الوزارة وتربع على منصتها وكان اليه النظر في امر الدولة وبيده لواؤها تخفق عليه عذباته وتحف به حماته وهو المشار اليه بولاية العهد ورعاية الأمة ان يقتحم الاهوال ويثبت في الزلزال ويقوى على احتمال العظائم ومكافحة النوازل .

بربك هل ترى لأحد من اعلام الصحابة ووجوه المسلمين مقام يقارب هذا المقام او يدانيه هيهات هيهات بعدت الغاية عمن رامها .

ولو ان هذه الفضيلة لبعض اعلام الصحابة لرأيت كيف كانت تزين بها الاساطير وتملأ منها الطوامير ولدونتها الصحاح بأساليب عجيبة وفرضت تلاوتها في المحافل والجماعات وفي ادبار الصلوات وحقيق بها ذلك فلقد تم بها بناء الدولة بعد ان آذنت بالبوار وشيدت اركانها بعد ان كادت ان تنهار .

ولذلك قال رسول الله (ص) قتل علي لعمرو يعدل عبادة الثقلين (١) وقال (ص) مبشرا بزوال دولة الشرك الآن نغزوهم ولا يغزوننا .

ولكن رب هذه الفضيلة امام المظلومين وسلوة المهضومين وقدوة المضطهدين فترى كثيرا من المحدثين والمؤرخين يذكرونها في عرض كلامهم غير مبتهجين لذكرها ولا مسرورين بنقلها .

وترى الكتب التي اعتمدها المسلمون من اهل السنة وعكفوا عليها وركنوا اليها وسموها الصحاح خلو من ذكر هذه الفضيلة .

(١) راجع السيرة الحلبية

هذا كتاب محمد بن اسمعيل البخاري و كتاب مسلم بن حجاج وهما اوثق ما يكون عندهم ذكرا فيهما غزوة الاحزاب ولم يأتيا على ذكر علي (ع) بشيء وكان اهم ما عنيا بذكره واتعبا نفسيهما فيه مما هو قليل الجدوى والفائدة ما ارتجز به رسول الله (ص) .

فرويا بطريق ان رسول الله (ص) قال اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والانصار ثم ذكرا بطريق آخر انه قال اللهم ان العيش عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة ثم ذكرا بطريق آخر اللهم انه لا خير الا خير الآخرة فبارك في الانصار والمهاجرة .

فانظر الى هذين الرجلين كيف عنيا بذكر هذا ورواياه بعدة طرق ولا يترتب على ذلك حكم شرعي ولا فضيلة فيها لرسول الله (ص) وكيف اغفلا ذكر امير المؤمنين وقتله عمراً ولا يمكن الاعتذار بأن ذلك لم يثبت عندهما .

فإن قتل علي لعمرو قد اجمع عليه كافة اهل السير ونقلة الاخبار وهو ضروري عند جميع المسلمين ولقد افتخر له بذلك شيعته ومحبوه فلم نر احدا من المبغضين له والمنحرفين عنه رد عليهم ذلك او انكره .

نعم انكر بعض الناصبين كالجاحظ وابن تيمية ان يكون عمرو من فرسان العرب وشجعانها المعروفين فلا يكون بقتله فخر لقاتله .

وقولهما مكابرة ومعاندة للوجدان فلا يلتفت اليه بعد ما تلي عليك من فعله ورثائه فما عذر البخاري ومسلم اذا في اغفالهما ذكر علي وقتله عمرا عند ذكر وقعة الاحزاب وعدم نشر هذه الفضيلة لهذا الإمام .

وهنا موضع الحيرة ومقام الاشكال فإن قمنا مقام المنتقد على البخاري ومسلم وغيرهما من أئمة اخواننا المسلمين من اهل السنة وابدينا رأينا في

البخاري ومسلم وكتابيهما قامت علينا منهم القيامة ووقعت السماء على الارض ودعوا بالويل والثبور ونعوا الينا الإسلام وقالوا هدمتم بنيانه وقوضتم اركانه .

وإن سكتنا خالفنا ما اخذه سبحانه من الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه فإنا لله وإنا اليه راجعون لهؤلاء العلماء المقتدى بهم والمعول عليهم المتبعة آثارهم والموثوقة اخبارهم وحسبنا الله ونعم الوكيل

وذكر البخاري في غزاة الاحزاب كرامة للزبير وهي ان رسول الله (ص) قال يوم الأحزاب من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير انا ثم قال من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير انا ثم قال من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير انا ثم قال (ص) ان لكل نبي حواري وحواري الزبير انتهى .

اقول ليته روى تمام الحديث وهل ذهب الزبير ام لا وكيف بتر الحديث كعادته في كتابه فتذهب الفائدة او جلها وكيف لم يذكر قتل علي عمرا وهو مجمع عليه بين المسلمين ثم ذكر هذه الفضيلة للزبير والمشهود على خلافها وهو ابن المرسل ليعلم خبر القوم هو حذيفة بن اليمان راجع صحيح مسلم والسيرة الحلبية وتاريخ الطبري وخلافها .

ففي الطبري باسناده عن محمد بن كعب القرضي قال قال فتى من اهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا ابا عبد الله رأيتم رسول الله (ص) وصحبتموه قال نعم يا ابن اخي قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد .

فقال الفتى والله لو ادركناه ما تركناه يمشي على الارض ولحملناه على اعناقنا فقال حذيفة والله يا ابن اخي لقد رأيتنا مع رسول الله (ص) بالخندق وصلى هوياً من الليل ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ويشرط له رسول الله (ص) انه يرجع ويدخله الله الجنة

فما قام رجل .

ثم صلى هويا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فما قام منا رجل ثم صلى هويا من الليل ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ويشرط له رسول الله(ص) الرجعة أسأل الله ان يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد .

اقول تالله الذي لا إله الا هو لو كان امير المؤمنين علي حاضرا لم يحتج رسول الله(ص) لتكرير النداء ولكان في امر رسول الله(ص) اسرع من الحديدة المحماة في الوبر ولقد كان يبادر لما هو اعظم من ذلك وارهب ولكنه كان مشغولا بحفظ الخندق وحمايته من ان يغتالهم المشركون

رجع الحديث الى سياقه قال حذيفة فلما لم يقم احد دعاني رسول الله (ص) فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدث شيئا قال فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قِدرا ولا نارا ولا بناء .

فقام ابو سفيان فقال يا معاشر قريش لينظر امرء جليسه قال حذيفة فاخذت بيد الذي الى جنبي فقلت من انت فقال أنا فلان بن فلان .

ثم قال ابو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريضة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذا الريح ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل الى ان قال فاتيت رسول الله(ص) فاخبرته خبر رحيل القوم انتهى .

فما عذر البخاري اذاً في عدم ذكر هذه الفضيلة لأمير المؤمنين في وقعة الاحزاب وذكره تلك للزبير وله امثال ذلك كثير ولولا خشية ان

يستاء كثير من اخواننا المسلمين من اهل السنة لنبهنا على كثير من امثال هذا وفيما ذكر كفاية للبيب . ثم تلي وقعة الاحزاب .

وقعة بني قريضة

وكانت هذه الوقعة في اليوم الثاني من منصرف قريش عن المدينة لما رجع رسول الله(ص) من وقعة الاحزاب امر ان ينادى ألامن كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في قريضة .

ثم دفع اللواء لعلي (ع) فتقدم به حتى ركزه في جنب الحصن فسمعهم ينالون من رسول الله(ص) فترك الراية في يدابي لبابة ورجع الى رسول الله(ص) فقال يا رسول الله(ص) لا عليك ان لا تدنو من هذه الاخابث فقال لعلك سمعت لي منهم اذى قال نعم قال لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً .

فلما دنا منهم نادى يا اخوان القردة هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته فقالوا يا ابا القاسم ما عهدناك فاحشا فاستحيا رسول الله (ص) ورجع القهقرى قليلا (١) .

وروى الشيخ المفيد (ره) أن عليا(ع) لما دنا من الحصن صاح صائح منهم قد جاءكم قاتل عمرو وقال آخر قد اقبل اليكم قاتل عمرو وارتجز راجزهم :

قتل علي عمرا صاد علي صقرا
فصم علي ظهرا ابرم علي امرا
هتك علي سترا

فقال علي(ع) الحمد لله الذي اظهر الاسلام وقمع الشرك .

واقام رسول الله(ص) محاصرا لهم خمسا وعشرين ليلة وقد سألوا رسول الله(ص) ان يقبل منهم ماقبله من بني النضير فابى رسول الله(ص)

(١) راجع السيرة الحلبية وخلافها

الا ان ينزلوا على حكمه وكان قصده(ص) استئصالهم فاجابوا الى ذلك.

ولما اجابت قريضة للنزول على حكمه وفتحوا الحصن قام الاوس يبكون الى رسول الله(ص) و كانوا حلفاء لقريضة في الجاهلية فقالوا حلفاؤنا يا رسول الله امنن عليهم كما منت على حلفاء الخزرج وهم بنو قينقاع كان قد حاصرهم رسول الله(ص) ونزلوا على حكمه فسأله بعض الخزرج العفو عنهم فوهبهم له فقال رسول الله (ص) اترضون بحكم سيدكم سعد ابن معاذ فإني قد فوضت الحكم اليه فقالوا رضينا بذلك .

فارسل رسول الله (ص) خلف سعد و كان تخلف عن هذه الغزوة لسهم اصابه يوم الاحزاب فلما طلع سعد اشار رسول الله (ص) الى كافة الانصار وقال قوموا الى سيدكم فقاموا اليه واخبروه بما فوض اليه من الحكم واقبلوا يسألونه العفو عنهم فلما اكثروا عليه قال لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم .

ثم قال لهم عليكم عهد الله وميثاقه ان الحكم ما حكمت فقالوا نعم قال وعلى من هاهنا مشيرا الى الناحية التي فيها رسول الله(ص) معرضا اجلالا واعظاما له فقال رسول الله(ص) نعم .

قال سعد فإني احكم فيهم بان تقتل الرجال وتسبى الذراري والنساء وتقسم الاموال فقال رسول الله(ص) لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة .

وامر النبي(ص) بانزال الرجال منهم وكانوا تسعمائة رجل فجيء بهم الى المدينة وقسم الاموال واسترق الذراري والنساء وخرج رسول الله (ص) الى موضع السوق اليوم فخندق فيه خنادق وامر امير المؤمنين بضرب اعناقهم فاخرجوا ارسالا .

فقالوا لكعب بن اسد وكان سيدهم ماترى يصنع بنا فقال في كل موطن لاتعقلون اما ترون الداعي لاينزع ومن ذهب منكم لايرجع هو والله القتل .

وقد كان اشار عليهم برأي فلم يعملوا به(١) وجيء بحيي بن اخطب(٢) وهو رأس الكفر وصاحب الأحزاب وان يديه لمجموعة الى عنقه فنظر اليه رسول الله(ص) وقال اي عدو الله الم يمكن الله منك قال بلى قد امكن الله مني .

اما اني ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم اقبل على الناس فقال انه لا بد من امر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم اقيم بين يدي امير المؤمنين (ع) وهو يقول قتلة شريفة بيد شريف فقال له امير المؤمنين ان خيار الناس يقتلون شرارهم وشرارهم يقتلون خيارهم فالويل لمن قتله الاخيار والسعادة لمن قتله الاشرار .

قال لا تسلبني حلتي قال(ع) هي اهون عليّ من ذلك فقال سترتني

---

(١) قال لهم يا معشر يهود لختاروا احد خلال ثلاث الاولى ان تؤمنوا بهذا وتصدقوه فلقد تبين لكم انه نبي وتأمنوا على دمائكم وابنائكم ونسائكم واموالكم قالوا لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل بـه غيره . قال فالثانية هلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ونخرج الى محمد مسلطين بالسيوف فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا ثقلا وان نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء .

فقالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم . قال فالثالثة هذه الليلة السبت فعسى ان يكون محمد واصحابه امنوا منا فيها فانزلوا لعلنا نصيب منهم غرة قالوا نفسد سبتنا قال ما بات منكم واحد منذ ولدته امه ليلة من الدهر حازما .

(٢) وحيي بن اخطب من بني النضير ولما دعا قريضة لنقض عهد رسول الله (ص) عاهد كعبا ان يدخل معه الحصن ويصيبه ما اصابه فلما رجعت قريش دخل مع كعب وامكن الله منه .

ستترك الله ومد عنقه فضربها علي (ع) ولم يسلبه من بينهم ولم يُقتل من نسائهم الا امرأة واحدة(١) .

ولم يكن في هذه الغزوة حرب على المسلمين ولا بلاء يذكر فتمتاز فيه الرجال ويعرف بـه اهل البلاء وحماة الحقيقة ومع ذلك ترى الميزة لأمير المؤمنين (ع) فيها والبيه الاشارة من رسول الله (ص) .

كيف اعطاه اللواء ووجهه امامه وصاحب اللواء انما هو امير الجيش او النائب عنه وكيف هتف به بنو قريضة وملئوا رعبا منه وقد كان قتله (ع) لعمرو قـد طار ذكره في الآفاق وتحدث به الركبان وكيف فوض رسول الله (ص) اليه قتل يهود لما يعلمه من شدته على الكافر وغلظته كما وصفه سبحانه بقوله (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فمن تأمل حاله علم ان هذه الصفة صفته لا تكاد تتجاوزه . تأمل حاله مع حيى ابن اخطب حين قوله موتة شريفة بيد شريف وكيف سأله ان لا يسلبه ثم دعا له وكل هذا يستدعي الرقة ويستجلب الشفقة والرأفة فترى حاله (ع) معه في مخاطبته له بالغلظة كأشد ما يكون مثل قوله خيـار الناس تقتل شرارها وقوله الويل لمن قتله الخيار ثم احتقاره لسلبه وهذه الصفة وهي

(١) روى الطبري باسناده عن عائشة قالت لم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة وانها لعندي تتحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله (ص) يقتل رجالهم بالسوق اذ هتف هاتف باسمها اين فلانة قالت انا والله قالت عائشة قلت ويلك ما لك قالت اقتل قلت ولم قالت حدث احدثته فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة تقول ما انسى عجبا منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت انها تقتل والحدث الذي احدثته هو انها القت رحى على خلاد بن سويد (ره) فقتلته اغراها زوجها بذلك لئلا تبقى بعده والله اعلم .

الشدة والغلظة والعزة على الكافر لازمة له وثبوتها ضروري بشهادة رسول الله (ص) له يوم خيبر انه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ووصف رسول الله (ص) له بذلك اشارة الى قوله سبحانه (يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) ومن كان شديد الحب لله سبحانه كان شديد البغض لأعدائه والكافر عدو لله ولرسوله وسيأتي لذلك زيادة توضيح ان شاء الله .

واعلم ان ما فعله رسول الله (ص) من قتل اليهود واستئصالهم هو روح الحكمة وعين الصواب والذي توجبه سياسة الدولة وخدمة الانسانية من غرس الصلاح وقطع جراثيم الفساد .

يعرف ذلك من درس سيرة رسول الله (ص) مع اليهود وسيرته معهم حق دراستها في الكتب المطولة التي عنوانها هذا الكتاب .

ومجملها ان رسول الله (ص) لما هاجر الى المدينة واجمعت كلمة الاوس والخزرج على الايمان به والقيام بنصره الا من شذ منهم كعبدالله بن ابي بن سلول الخزرجي ونفر قليل .

حسدته اليهود على ما آتاه الله من الفضل حين صرف وجوه الناس عنهم واظهر ضلالهم وفساد دينهم ولم يكونوا يرون من رسول الله (ص) واصحابه شيئا يكرهونه مع ما كان يبلغه عنهم من الوقوع فيه والتوهين لدولته والتكذيب لدعوته .

وكانوا قبل بعثته (ص) ينتظرون ايامه ويتباشرون بقرب ولادته والعيش بظل دولته[1] .

---

(١) كانت اليهود اذا وقع بينهم وبين الاوس والخزرج شر في الجاهلية توعدوهم ببعثة رسول الله (ص) وظهور دولته وانهم اول من يصدقه ويسعد به

ولما كانت وقعة بدر وظهرت دولة الاسلام على دولة الشرك تضاعف حسد اليهود لرسول الله(ص) واصحابه واظهروا ما اكنته صدورهم.

وراحوا يتوجعون لمن قتل ببدر من المشركين ويتفجعون عليهم وتوجه كعب بن الاشرف سيد بني النضير الى مكة يحرض قريشا على حرب رسول الله(ص) ويرثي قتلاهم ويخبرهم عن رسول الله(ص) بأنه غير صادق في دعوته ويهون عليهم امره ثم رجع عدو الله الى المدينة مفترا بما جبل عليه رسول الله (ص) من الصفح والرحمة وعظيم الخلق فاظهر من المداوة لرسول الله (ص) والتشبيب بنساء المسلمين مايشق حمله والصبر عليه هذا وهو الى جنب رسول الله(ص) وتحت رحمته وعالم بقدرته عليه فلم يهجه (ص) ولم يروعه .

وكان عدو الله قد واطأ قوما من اليهود على ان يعمل طعاما ويدعو اليه رسول الله(ص) فاذا جاء فتكوا به .

ولما علم رسول الله(ص) بذلك ارسل اليه محمد بن مسلمة في نفر من قومه من الاوس فقتلوه .

وكان يشبه كعبا في العداوة لرسول الله (ص) والتحريض عليه ابو رافع اليهودي وكان تاجر اهل الحجاز فقصده جماعة من الخزرج وقتلوه

وهذا هو الذي دعا سكان المدينة من الاوس والخزرج الى المسابقة الى رسول الله(ص) والقيام بنصرته وقد اعرض عنه كافة قبائل العرب .

* روى جملة من المؤرخين ان رسول الله(ص) لما عرض نفسه في موسم الحج بمكة على من حج من قبيلة الاوس والخزرج إئتمروا بينهم وقالوا هذا النبي الذي كانت تذكره اليهود وتوعدنا به هلم لاتباعه وسبقهم اليه فآمنوا به واتبعوه .

ولما رجعوا الى المدينة واخبروا قومهم بذلك تهافتوا على الاسلام وفشا ذلك في المدينة واقبل المسلمون من اهل مكة على المهاجرة اليها قبل رسول الله(ص).

مجاراة للأوس فقد كانوا يتبارون في طاعته (ص) .

فذلت عند ذلك اليهود واظهروا الانقياد والطاعة الا بنو قينقاع كانوا اكثر اليهود مالا وسلاحا واشدهم بأسا لم يخضعوا لرسول الله (ص) واظهروا التمرد والعصيان له وزادهم اغراء بذلك المنافق عبد الله بن ابي وكانوا حلفاءه .

فغزاهم رسول الله (ص) وحاصرهم فلما رأوا ان لا طاقة لهم بحربه سألوه الجلاء.(١) وان لهم نساءهم وذراريهم فاجابهم الى ذلك رأفة منه ورحمة فلم تمض عليهم سنة حتى هلكوا بالوباء .

ولما رأت بنو النضير وبنو قريضة ذلك حالفوا رسول الله (ص) وعقدوا معه صلحا على ان يكونوا تحت حمايته (ص) وان عليهم ان يساعدوه اذا احتاج اليهم بالمال والرجال .

ومضت على ذلك مدة وهم في امن من العدو ورغد من العيش حتى لزمت رسول الله (ص) ديات .

فمضى في نفر من اصحابه الى بني النضير يستعين بهم على اداء بعض تلك الديات فاجابوه بالسمع والطاعة .

وجلس رسول الله (ص) الى جدار ينتظر جمعهم للمال ولما رأوه (ص) في خف من اصحابه ائتمروا بينهم وقالوا لا تجدون فرصة عليه كهذه واجمعوا على الفتك به .

وصعد بعضهم الى السطح ليلقي عليه رحى فيقتله بها فعلم بذلك رسول الله (ص) فقام وتوجه الى المدينة ولم يعلم اصحابه بذلك فاقاموا ينتظرونه فلما ابطأ عليهم خبره وعلموا هم اليهود بذهابه الى المدينة تبعه اصحابه

(١) عن الحجاز

فاعلمهم بما هم به اليهود من الغدر .

وانما فعل ذلك(ص) ولم يعلم اصحابه بتوجهه للمدينة خشية ان يفطن اليهود لاطلاعه على مكرهم فيعلنون عليه الحرب حينئذ وليس معه من اصحابه من يقوم لحمايته وصد عدوه عنه .

ولما انجاه الله من كيدهم ارسل اليهم يخبرهم بالاطلاع على كيدهم ومكرهم ويأمرهم بالجلاء عن بلاده او الإيذان بالحرب فاختاروا الحرب كما عرفت فيما تقدم في غزوة بني النضير من نزولهم على حكمه(ص) ومنّه عليهم بأنفسهم ونسائهم وذراريهم وابعادهم .

فتوجهوا من فورهم الى قريش وبقية قبائل العرب يحرضونهم على حرب رسول الله(ص) ويهونون عليهم أمره .

فاجتمعت عندها كلمة العرب على حرب رسول الله(ص) وجاءوا بالأحزاب كما عرفت سابقا فيما اخبر به سبحانه من قصة الاحزاب .

واما بنو قريضة فاحتفظوا بعهدهم مع رسول الله(ص) حين رأوا العبرة وحين لم يروا منه(ص) الا الوفاء والصدق الى ان جاء الاحزاب .

ولما رأى بنو قريضة ما دهم المسلمين من الاحزاب وكثرتهم واحاطتهم بالمدينة وما نال المسلمين من الوهن والخوف .

اظهروا الشماتة ونقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله(ص) وظاهروا قريشا على حربه وخاف المسلمون عند ذلك خوفا شديدا على نسائهم وذراريهم من اليهود ان يدخلوا المدينة ويفتنموا اشتغال المسلمين بحرب الاحزاب .

ولما رد الله قريشا ومن ظاهرهم من العرب بالخيبة والخسر وكفى الله المؤمنين القتال بعلي(ع) .

لم تكن لرسول الله (ص) همة غير قتل قريظة واستئصالهم فإنهم اهل لذلك ففعل بهم ما سمعته .

فمن تدبر ما ذكرنا علم ان رسول الله (ص) كان مضطرا الى قتلهم حيث داواهم بالرفق فلم ينجع وداواهم بالجلاء والنفي فازداد شرهم ضرما وعقد معهم عهدا فنقضوه احوج ما كان اليه .

فلم يكن لهم داء غير الاعدام رحمة بالانسانية وحرصا على افاضة الخير والاصلاح على هذه البرية .

وبطل بذلك ما اورده بعض المبشرين من البرتستانيين على سيرة رسول الله (ص) ورحمته ورأفته وحبه للعفو .

ثم كانت بعدها سرايا وغزوات لم يكن بها بلاء يذكر ولم يحضرها رسول الله (ص) فلم نتعرض لذكرها اذ لم يتعلق غرضنا بها .

ثم كانت وقعة الحديبية في السنة السادسة من الهجرة . خرج رسول الله (ص) بالمهاجرين والانصار ومن لحق به من العرب لزيارة البيت .

فاحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس انه جاء زائرا لا غازيا فيأمنوا من حربه وكان لواؤه مع امير المؤمنين علي (ع) وكان عدة من خرج معه الف واربعمائة وقيل الفا وخمس مائة وخمسة وعشرين وقيل الفا وسبعمائة .

ولما كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال له يا رسول الله (ص) هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذي طوى يحلفون بالله لا تدخلها عليهم ابدا .

وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها الى كراع الغميم فقال رسول الله (ص) يا ويح قريش قد اطنهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني

وبين سائر العرب فإن هم اصابوني كان ذلك الذي ارادوا وان اظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة .

فما تظن قريش فوالله لا ازال اجاهدهم على هذا الدين حتى يظهره الله او تنفرد هذه السالفة(١) .

ثم سار (ص) فلما كان بالحديبية بركت به الناقة فقال الناس حل حل فلم تنبعث فقالوا خلأت(٢) القصوى فقال (ص) والله ماهو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل .

فوالذي نفسي بيده لا تسألني اليوم قريش خطة فيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فانبعثت به .

ثم قال للناس انزلوا فقالوا يا رسول الله (ص) ما بالوادي ماء فنزع سهما من كنانته وامر بعض اصحابه ان يغرزه في القليب .

فجاش ماؤها حتى ضربت الإبل حولها بعطن(٣) .

ثم ان رسول الله (ص) دعا بعمر بن الخطاب وامره ان يمضي الى مكة ويخبر اشراف قريش عن رسول الله (ص) وانه لم يرد حربا وإنما جاء معظما للبيت .

فقال عمر(٤) يا رسول الله (ص) اني اخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بني عدي احد يمنعني ولكني ادلك على رجل هو اعزبها مني عثمان بن عفان .

فدعا رسول الله (ص) عثمان وارسله ليبلغ قريشا عن رسول الله (ص)

---

(١) السالفة احد جانبي العنق (٢) اي حرنت

(٣) العطن مبرك الإبل واذا رويت الإبل بركت

(٤) ذكر ذلك الطبري وصاحب السيرة وغيرهما

واني لأعجب لعمر (رض) كيف لم يمض لما امره به رسول الله (ص) ويبلغ قريشا عن رسول الله (ص) ما جاء له فإنه اقدر على البيان من عثمان وكيف اعتذر بالخوف على نفسه وهل هو الا مجاهد ولو قتل لكان شهيدا.

وما ظنك بأمير المؤمنين علي (ع) لو ندبه لمثل ذلك اكان يعتذر بالخوف ولعمري لقد اجاب لما هو اعظم واخوف من ذلك .

ثم بلغ رسول الله (ص) ان قريشا قتلت عثمان فعندها دعا الناس للبيعة على ان لا يفر عنه احد وقيل دعاهم لان يبايعوه على الموت فبايعه على ذلك جميع من حضر معه الا الجد بن قيس اخو بني سلمة وهؤلاء هم اصحاب بيعة الشجرة وقد كان رسول الله (ص) جالسا تحتها عند البيعة له .

ولما اراد التوجه لمكة لحرب قريش اتاه ان الذي بلغه عن عثمان باطل فاقام بمكانه فارسلت قريش عروة بن مسعود الثقفي فجاء وكلم رسول الله (ص) يستعطفه على قريش وكلما كلمه مد يده على لحيته (ص)[1] .

وكان المغيرة بن شعبه قائما على رأس رسول الله (ص) بالسيف فكلما رفع عروة يده الى لحيته (ص) ضرب يده بنعل السيف وقال اخر يدك فرفع عروة رأسه اليه وقال من هذا الجاف فقيل ابن اخيك المغيرة وكان عليه المغفر .

فقال اي غُدَرُ[2] ما زلت اسعى في غسل سوءتك حتى الساعة[3]

(١) وكانت تلك عادة العرب فيمن يريدون استعطافه

(٢) غدر كفعل مبالغة في الغدر (٣) وهي ان المغيرة صحب قوما من ثقيف وفدوا على المقوقس فاجازهم دونه وكانوا تسعة نفر فلما كانوا ببعض الطريق وجلسوا للشرب امتنع هو من الشرب يوهمهم صداعا برأسه وجعل يسقيهم صرفا

ثم رجع عروة الى قريش فقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي ووالله ما رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه كما يعظم محمدا اصحابه والله ما يتنخم نخامة الا وقعت في كف احدهم فيدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلموا عنده حفظوا اصواتهم وما يحدون النظر اليه تعظيما له .

وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال الحليس وهو يومئذ سيد الاحابيش من بني كنانة دعوني آتيه فلما رآه رسول الله (ص) قال هذا من قوم يتألهون ويعظمون البدن فابعثوا الهدي في وجهه .

فلما رأى الحليس الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل اوباره من طول الحبس رجع الى قريش ولم يلق النبي (ص) اعظاما لما رأى وقال يا معشر قريش اني رأيت ما لا يحل صَدّ الهدي في قلائده فقالوا اجلس انما انت اعرابي لا علم لك .

فغضب عندها وقال والله ما على هذا عاهدناكم ان تصدوا عن البيت من جاءه معظما له والله لتخلن بين محمد وبين ما جاء له اولأنفرن بالاحابيش نفرة رجل واحدة .

فقالوا مه كف عنا ياحليس حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به من محمد

فلما سكروا قام وقتلهم جميعا واخذ ما معهم وتوجه نحو رسول الله (ص) معتصما به واظهر الاسلام واخبر النبي (ص) بما فعل ودفع خمس ما معه اليه (ص) فقال اما اسلامك فقبلناه واما الخمس فلا نقبله فانه غدر ولا نستحل الغدر او كما قال (ص) ولما بلغ ثقيف ما فعل المغيرة ارادوا ان يسعروا حربا بينهم ثم ان عروة اصلح الامر وسعى في دية المقتولين .

ثم ارسلوا سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله (ص) قال سهل الأمر .

فلما انتهى سهيل الى رسول الله (ص) تكلم فاطال الكلام وكان خطيباً مفوهاً وتراجعا القول ثم تم الصلح بينهما على انه يرجع (ص) هذه السنة لا يدخل مكة وله ان يدخلها عام قابل بسلاح الراكب ولا يقيم اكثر من ثلاث وعلى ترك الحرب عشر سنين او سبع سنين او ست سنين على اختلاف الرواية .

فساء المسلمين ذلك وكانوا موقنين بدخول مكة لرؤيا رسول الله (ص) لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين فلما كان الصلح يئس المسلمون من ذلك .

وكان اشدهم انكارا لما جرى عمر بن الخطاب فقد قال يومئذ لرسول الله (ص) الم تقل لنا لتدخلن المسجد الحرام فقال نعم افلت لكم في هذه السنة فقال لا قال تدخلونه ان شاء الله وقال له مرة ثانية الست برسول الله قال بلى قال السنا بالمسلمين قال بلى قال اليسوا بالمشركين قال بلى قال فلم نعطي الدنية من ديننا .

فقال انا عبد الله ورسوله لن اخالف امره ولن يطيعني (١) ثم لقي بعدها ابا بكر منكرا للصلح وقال له كمقالته لرسول الله (ص) حتى قال له ابو بكر ايها الرجل الزم غرزه حتى تموت فإني اشهد انه رسول الله .

فقال عمر وانا اشهد انه رسول الله وكأن ابا بكر خشي على عمر الشك في رسول الله لما شاهده من حاله واضطرابه فقال له هذا القول تثبيتا له ولما احس عمر منه ذلك قال وانا اشهد انه رسول الله (ص) .

ولما اراد امير المؤمنين ان يكتب صحيفة الصلح بينهم وبين قريش

(١) كما في صحيح مسلم صفحة ٨٨ جزء ٢

جاءه عمر واخذ بيده واقامه لئلا يكتب وكان يرد على رسول الله حتى قال له ابو عبيدة بن الجراح الا تسمع يا ابن الخطاب قول رسول الله (ص) اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال رسول الله (ص) يا عمر اني رضيت وتأبى .

وكانوا كلما طلبوا منه خطة اجابهم (ص) اليها حتى شرطوا عليه ان من جاءه منهم مسلما فعليه ان يرده اليهم ولا يمنعه منهم ومن جاء قريشا مرتدا عن الإسلام فليس عليهم رده ولهم منعه فانكر عمر ذلك وقال اتقبل منهم ذلك يا رسول الله.

فقال (ص) مه اما من ذهب اليهم مرتدا عن الإسلام فابعده الله ولا حاجة لنا به واما من جاءنا منهم يريد بذلك الله ورسوله[1] فسيجعل الله له بذلك فرجا .

وكان[2] عمر يقول ما زلت اصوم واتصدق واصلي واعتق مخافة كلامي الذي كنت اتكلم به يومئذ .

وروى الواقدي[3] قال قال عمر يومئذ يا رسول الله (ص) الم تكن حدثتنا انك ستدخل المسجد الحرام وتأخذ مفاتيح الكعبة وتعرف مع المعرفين وهدينا لم يصل الى البيت ولا نحن .

فقال رسول الله اقلت لكم في سفركم هذا فقال عمر لا قال اما انكم ستدخلونه وآخذ مفاتيح الكعبة واحلق رأسي ورؤسكم ببطن مكة واعرف مع المعرفين .

ثم اقبل على عمر وقال انسيتم يوم احد اذ تصعدون ولا تلون على

(١) يعني لا كإسلام المغيرة وامثاله (٢) راجع الطبري والسيرة
(٣) في شرح النهج صفحة ٣٩٠ مجلد ٣

احدوا الرسول يدعوكم في اخراكم انسيتم يوم الاحزاب اذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر انسيتم يوم كذا .

وجعل يذكرهم امورا فقال المسلمون صدق الله وصدق رسوله انت يا رسول الله اعلم بالله منا فلما دخل عام القضية وحلق رأسه قال هذا الذي كنت وعدتكم به فلما كان عام الفتح واخذ مفتاح الكعبة قال ادعوا لي عمر فجاء فقال هذا الذي كنت قلت لكم .

ولما تم الصلح بينه (ص) وبين قريش اقبل ابو جندل يرسف في قيوده وكان مسلما فلما رآه ابوه سهيل بن عمرو قام اليه وضرب وجهه وقال يا محمد هذا اول ما اقاضيك عليه ان ترده علي فقال (ص) لم نكتب بيننا عهدا بعد فقال سهيل قد لجّت[1] القضية بيني وبينك قال صدقت فاجره لي فقال ما انا بمجير ذلك لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل فقال مكرز وحويطب قد اجرناه لك لا تعذبه .

فصاح ابو جندل يا معشر المسلمين ارد الى المشركين ليفتنوني عن ديني فقال (ص) اصبر يا ابا جندل فان الله سيجعل لك فرجا ومخرجا وقد عاهدنا القوم فليس لنا ان نرجع .

فقال عمر فقمت امشي الى جنبه وادني اليه السيف لعله يأخذه فيقتل اباه واقول له انهم المشركون وان دماءهم لأحل من دم كلب ولكن الرجل ضن بأبيه . وفي رواية[2] ان ابا جندل قال لعمر لما لا تقتله انت فقال ان رسول الله (ص) لا يرضى بذلك فقال واني لأحق منك باطاعته .

وهنا موضع التأمل كيف يغري ابا جندل بأبيه وهو يعلم ان ذلك لا يوافق رضى النبي (ص) وان غرضه (ص) يومئذ كان الصلح وعقد الهدنة

«١» أي تمت «٢» راجع السيرة الحلبية

على كل حال وان المصلحة بذلك وبها تم لرسول الله (ص) ما اراد وظهر الإسلام وستعرف ذلك .

ولو قتل سهيل بن عمر يومئذ لفسد كل ما دبره رسول الله (ص) وكانت العاقبة على المسلمين وخيمة جدا ولكن الله غالب على امره .

ثم امر (ص) امير المؤمنين عليا (ع) ان يكتب كتاب الصلح فكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل لا نعرف الرحمن الرحيم اكتب باسمك اللهم فامر رسول الله (ص) امير المؤمنين بمحوها ففعل وكتب باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد رسول الله (ص) سهيل بن عمرو .

فقال سهيل لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك ولم اصدك عن البيت ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فقال (ص) لعلي امحها فقال لا استطيع ان امحو اسمك من الرسالة فقال (ص) ضع اصبعي عليها فمحاها بيده ثم قال لعلي (ع) ان لك مثلها تعطاها وانت مضطهد[1] .

وهذا القول من اعلام نبوته (ص) وهو اشارة لما كان يوم رفع المصاحف بصفين[2] فتأمل حال امير المؤمنين في هذه الغزوة فلقد كان

«١» راجع السيرة الحلبية «٢» روى المؤرخون ومنهم الطبري وابن الاثير وصاحب السيرة انه لما تم الصلح بين علي (ع) ومعاوية كتب الكاتب هذا ما تقاضى عليه علي امير المؤمنين ومعاوية فقال عمرو بن العاص اكتب اسمه واسم ابيه فإنا لانقر له بالامرة وارسل معاوية ان لايكتب امير المؤمنين وامتنع اصحاب امير المؤمنين من محوها فقال «ع» امحوها .

ثم قال الله اكبر سنة بسنة ومثل بمثل والله اني لكاتب بين يدي رسول الله «ص» يوم الحديبية اذ قالوا لست رسول الله «ص» ولا نشهد لك به ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فكتبه فقال عمرو بن العاص سبحان الله ومثل هذا نشبه بالكفار ونحن مؤمنون .

اللواء بيده وانما يحمل اللواء نائب الرئيس والقائم مقامه وافضل العسكر كما عرفت غير مرة .

وكيف اختير من بين الأصحاب لكتابة الكتاب وانتخب مندوبا عن النبي (ص) لإمضاء الصلح ولما اعتمر رسول الله (ص) من قابل ومكث ثلاثا جاءت قريش لأمير المؤمنين (ع) وقالوا له قل لصاحبك فليخرج فقد مضى الأجل وتمت الثلاثة ايام فأخبر النبي بذلك فامر (ص) بالرحيل (١) .

واعجب لحالته مع رسول الله (ص) لم يشر عليه برأي ولم يعترض في امر وما ذاك الا لاطلاعه على ما اطلع عليه (ص) من المصلحة وان النجاح بمسالمة قريش واعطائهم ما طلبوا دفعا لشرهم وذلك واضح لدى التأمل .

لأن رسول الله (ص) لم يتهيأ له بث الدعوة ونشر الدين بالحجج والبراهين وبث الدعاة والمبشرين واستمالة العرب لجهته وقريش ناصبة له الحرب وموٴلبة عليه العرب ومستميلة لهم بمالها (٢) وجاهها .

فقال علي (ع) يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين وليا وللمسلمين عدوا وهل تشبه إلا امك التي اوضعت بك فقام فقال لا يجمع بيني وبينك مجلس ابدا بعد اليوم فقال «ع» واني لأرجو ان يطهر الله عز وجل مجلسي منك ومن اشباهك انتهى .

(١) راجع الطبري والسيرة

(٢) روى ابو الفرج ان الأعشى توجه وافدا الى رسول الله (ص) ومدحه بقصيدة منها .

فآليت لا ارثي لها من كلالة ... ولا من حفاً حتى تزور محمدا

نبي يرى ما لا ترون وذكره ... اغار لعمري في البلاد وانجدا

متى ماتناخي عند باب ابن هاشم ... تراحي وتلقي من فواضله ندا

كان ابو سفيان يقول احب الناس الينا من ساعدنا على عداوة محمد هذا مع علمه (ص) بأن اصحابه لايقومون لابادة قريش واخضاعهم لما رآه منهم يوم احد وفرارهم عنه فلولا امير المؤمنين وما عمله من المبايعة لرسول الله (ص) على الموت هو والسبعة الذين ثبتوا معه لإنقاذه واصعاده الجبل لكان ما كان .

ولما رآه منهم يوم الأحزاب من الخوف والزلزال وبلوغ القلوب منهم الحناجر ولولا ما فعله امير المؤمنين (ع) من قتل عمرو وسد الخندق في وجوههم ودحضهم عنه لكان ما كان .

والى ذلك يشير (ص) في تأنيبه لعمر وللمسلمين فيما تقدم من رواية الواقدي ولو حارب (ص) يوم الحديبية لكانت الغلبة لقريش بمقتضى

فبلغ خبره قريشا فرصدوه على طريقه وقالوا هذا صناجة العرب مامدح احداقط الا رفع من قدره .

فلما ورد عليهم قالوا له اين اردت يابا بصير قال اردت صاحبكم هذا لأسلم قالوا انه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رفق ولك موافق .

قال وما هن قال ابو سفيان بن حرب الزنا قال لقد تركني الزنا وما تركته ثم ماذا قال القمار قال لعلي ان لقيته ان اصيب منه عوضا من القمار ثم ماذا قالوا الرباقال مادنت ولا ادنت ثم ماذا قالوا الخمر

قال اوه ارجع الى صبابة قد بقيت لي في المهراس فاشربها فقال له ابو سفيان هل لك في خير مما هممت به قال وما هو قال نحن وهو الآن في هدنة

فتأخذ مئة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هذه وتنظر ما يصير اليه امرنا فإن ظهرنا عليه كنت قد اخذت خلفا وان ظهر علينا اتيته فقال ما اكره ذلك فقال ابو سفيان يامعشر قريش هذا الأعشى والله لئن اتى محمدا وتبعه ليضرمن عليكم نيران الحرب بشعره فاجمعوا له مئة من الإبل ففعلوا فاخذها وانطلق فلما كان ببعض الطرق رمى به بعيره فقتله

ظاهر الحال لكثرتهم واستمانتهم في سبيل الذب عن اوطانهم وحرمهم ولمساعدتهم لثقيف خوفا على اوطانهم وذراريهم ايضا .

هذا وهم في بلادهم واقواتهم موفرة وتساعدهم النساء والعبيد والاولاد وكل ذلك زيادة في القوة ولربما اجتمع على المسلمين وهم الف واربع مئة مقدار ما اجتمع عليهم يوم الأحزاب عشرة آلاف مقاتل وكيف يقوم المسلمون لهذا العدد الكثير مع بعدهم عن وطنهم وانقطاع المدد عنهم .

واني لاعجب لعمر بن الخطاب كيف اصر على القتال ورآه صوابا على ان اظهار الدين بحقن الدماء اقرب الى الغرض الذي بعث (ص) له فانه بعث رحمة للعالمين وكل ذلك يعرفه امير المؤمنين كما يعرفه رسول الله (ص)

وقوله (ع) لا أستطيع محو اسمك من الرسالة كان تفظيعا للأمر واعظاما له قبالة قريش والذي يدلك على ان عليا كان يعلم من المصلحة في ترك القتال ما يعلمه رسول الله (ص) انه لم ينكر شيئا مما انكره غيره ولو راى مصلحة في الحرب لكان اولى من غيره في طلبها وليس سواء عالم وجهول واعطاؤها كل شرط شرطته وان كان فيه توهين لدولته (ص) بظاهر الأمر ولكنه في الحقيقة تثبيت وتمكين .

فلقد امن الناس بعد صلح الحديبية وحصل التفاهم بينهم وتفرغ (ص) لبث الدعاة المرشدين وتهافتت العرب دخولا في الدين واسلم اكثر قريش فكان امر رسول الله (ص) يعلو ويقوى وأمر قريش يضعف .

وكان اعظم فتح على المسلمين وفيه انزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا كما في صحيح مسلم والبخاري وهو قول اكثر المفسرين وكان الامر كما قال لأبي جندل سيجعل الله لك ولامثالك فرجا فلقد فرج الله عنه

وعن المؤمنين المحبوسين بمكة فرجا عاجلا وابطلت قريش ما شرطوه من ارجاع من جاء منهم مسلما بفعل ابي بصير والقصة مشهورة(١) .

وبهذا وامثاله من التدبر بعواقب الامور والمعرفة بمآل الأزمنة

(١) روى الطبري عن ابن اسحاق قال كان ممن قدم على رسول الله (ص) مسلما بعد صلح الحديبية ابو بصير فكتب فيه الاخنس بن شريق الى رسول الله (ص) وبعثا بالكتاب مع رجل من بني عامر ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله (ص) بالكتاب .

فقال رسول الله (ص) يا ابا بصير انا قد اعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا قال فانطلق معهما حتى اذا كان بذي الحليفة جلس الى جدار وجلس معه صاحباه فقال ابو بصير اصارم سيفك هذا يا اخا بني عامر قال نعم قال أأنظر إليه .

قال ان شئت فاستله ابو بصير ثم علاه به حتى قتله .

وخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله (ص) فلما رآه (ص) طالعا قال ان هذا الرجل قد راى فزعا فلما انتهى اليه قال ويلك ما شأنك قال قتل صاحبكم صاحبي

ثم طلع ابو بصير متوشحا بالسيف حتى وقف على رسول الله (ص) فقال يا رسول الله وفت ذمتك ورددتني اليهم ثم انجاني الله منهم فقال (ص) ويل امه مسعر حرب لو كان معه رجال .

فعرف ابو بصير انه سيرده اليهم فخرج حتى نزل بذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش الى الشام وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله (ص) لابي بصير ويل امه مسعر حرب لو كان له رجال فخرجوا الى ابي بصير ومعهم ابو جندل ابن سهيل بن عمرو حتى اجتمع اليه ما يقرب من سبعين رجلا فضيقوا على قريش وقطعوا طريقها فما يسمعون بعير لقريش إلا اعترضوا لهم وقتلوهم واخذوا اموالهم فارسلت قريش لرسول الله (ص) يناشدونه بالله والرحم لما أرسل اليهم وردهم .

وان كل من اتاه منهم فهو آمن وليس لهم ان يطالبوا به ولرسول الله (ص) ان يمنعه منهم فارسل اليهم فقدموا عليه وكان المسلمون من اهل مكة بعدها يهاجرون ظاهرين لا يعرض لهم احد .

والدهور تثبت النبوات وتوطد اركان السلطان وتشاد قواعد الدولة واقبل المسلمون يفدون من مكة آمنين فقال (ص) لمن انكر عليه قبوله ما شرطه سهيل بن عمرو كيف رأيتم قالوا نشهد انك رسول الله .

وذكر الشيخ الجليل ثقة الاسلام المفيد ان النبي (ص) نزل في سفره هذا بالجحفة فلم يجد بها ماء فبعث سعد بن مالك بالروايا حتى اذا كان غير بعيد رجع بالروايا وقال يارسول الله (ص) ما استطيع ان امضي ولقد وقفت قدماي رعبا من القوم فقال (ص) اجلس .

ثم بعث رجلا آخر فخرج بالروايا حتى اذا كان بالمكان الذي انتهى اليه سعد رجع فقال له رسول الله (ص) لم رجعت فقال يارسول الله والذي بعثك بالحق نبيا ما استطعت ان امضي رعبا .

فدعا رسول الله (ص) امير المؤمنين عليا فارسله بالروايا وخرج السقاة وهم لا يشكون في رجوعه لما رأوا من رجوع من تقدمه (ع) فمضى (ع) حتى ورد الحرار واستقى ثم اقبل بها الى النبي (ص) ولها زجل .

فلما وصل كبر النبي (ص) ودعا له بخير فسبحان من خصه بهذه القوة وميزه بتلك القدرة ما كلف بامر إلا أداه ولا اسند اليه شيء إلا امضاه ولعمري ان من ملأ حب الله ورسوله قلبه وملك نفسه هان عليه في مرضاتهما كل صعب وسهل عليه كل خطب واستعذب النوائب واستلان ظهر المصاعب وقرب البعيد وهون الشديد (وكل من ذاق عرف) فمقاماته سامية واعماله مدهشات وافعاله خوارق للعادات فالويل لمن غمصه فضله وصغر قدره وقرنه بمن لا يساوي كعبه . ثم تلا هذه الغزوة .

غزوة خيبر

وكانت في اواخر المحرم من السنة السابعة من الهجرة وكانت الوطن القومي ليهود الحجاز لجأ اليها من اجلاه رسول الله (ص) ومن فرمنهم وهي مدينة عظيمة ذات حصون كثيرة وكانت اكثر الحجاز نخلا وفيها عشرة آلاف[١] مقاتل وملكهم مرحب[٢] وحلفاؤهم غطفان .

وكانوا قد عزموا على نصرتهم وهم اربعة آلاف مقاتل لما بلغهم توجه النبي (ص) نحوهم واراد (ص) استمالة غطفان فأبوا عليه ثم ان الله سبحانه صرفهم كما ستعرف . وبينها وبين يثرب ثمانية برد .

ولما دنا رسول الله (ص) منها وقف ووقف الناس ثم رفع يديه نحو السماء وقال اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن اسألك من خير هذه القرية وخير ما فيها واعوذ بك من شرها وشر ما فيها . وكان حصاره لخيبر بضعا وعشرين ليلة[٣] .

وكان الفتح فيها الامير المؤمنين (ع) كعادته في حروبه ومغازيه . فتح حصونها وفل جيشها وقتل ملكها وحماتها وحباه رسول الله (ص) بتلك المدحة التي طال ذكرها وعلا قدرها واتفق الولي والعدو على نقلها

وهانا اذكرها من عدة طرق ففي البخاري[٤] باسناده عن سهل ابن سعد (رض) ان رسول الله (ص) قال يوم خيبر لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله .

قال فبات الناس يدوكون[٥] ليلتهم ايهم يعطاها فلما اصبح الناس

---

(١) كما في الطبقات والسيرة (٢) صحيح مسلم (٣) ارشاد المفيد
(٤) صفحة ٣٥ جزء ٣٠ (٥) الدوك الجدال والخصام

غدوا على رسول الله (ص) وكلهم يرجو ان يعطاها فقال اين علي بن ابي طالب فقيل هو يا رسول انه يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي بـه فبصق رسول الله (ص) في عينيه ودعاله فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع فاعطاه الراية .

فقـال علي يارسول الله (ص) أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال (ص) انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بمـا يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم انتهـى .

وفي صحيح مسلم[1] باسناده عن سلمة بن الأكوع في حديث طويل الى ان قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول :

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروب اقبلت تلهب

قال وبرز له عمي عامر فقال :

قد علمت خيبر اني عامـر شاكي السلاح بطـل مغامر

قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عمي عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه .

قال سلمة فخرجت فاذا نفر من اصحاب النبي (ص) يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه قال فاتيت النبي (ص) وانا ابكي فقلت يارسول الله (ص) بطل عمل عامل قال رسول الله (ص) من قال ذلك قلت ناس من اصحابك قال كذب من قال ذلك بل له اجره مرتين .

ثم ارسلني الى علي وهو ارمـد فقال لأعطين الراية رجلا يحب الله

(١) صفحة ١٠٢ جزء ٢

ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فأتيت عليا فجئت بـه اقوده وهو ارمد حتى اتيت به رسول الله (ص) فبصق في عينيه فبرئ واعطاه الراية .

وخرج مرحب فقال .

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروب اقبلت تلهب

فقال علي :

انا الذي سمتني امي حيدره كليث غابات كريه المنظره
اوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب رأس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه انتهى .

وروى مسلم[1] ايضا باسناده عـن ابي هريرة ان رسول الله(ص) قال يوم خيبر لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه قال عمر بن الخطاب ما احببت الإمرة الا يومئذ .

قال فتساورت لها رجاء ان ادعى لهـا قال فدعـا رسول الله(ص) علي بن ابي طالب فأعطاه اياها وقال امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك قال فسار علي شيئا ثم وقف ولم يلتفت .

فصرخ يا رسول الله (ص) عـلى ماذا اقاتل الناس قال قاتلهم حتى يشهدوا ان لا إله الا الله وان محمـدا رسول الله(ص) فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله .

وروى مسلم[2] ايضا باسناده عن سعد بن ابي وقاص قال امر معاوية ابن ابي سفيان سعدا فقال ما منعك ان تسب ابا تراب فقال اما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله(ص) فلن اسبه . لأن تكون لي واحدة منهن

(١) صفحة ٣٢٤ جزء ٢ (٢) صفحة ٣٢٣ جزء ٢

احب إلي من حمر النعم .

سمعت رسول الله (ص) يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه فقال له علي يا رسول الله (ص) خلفتني مع النساء والصبيان فقال له رسول الله (ص) اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبوة بعدي

وسمعته يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتطاولنا لها فقال ادعوا لي عليا فأتي به ارمد فبصق في عينيه ودفع اليه الراية ففتح الله عليه .

ولما نزلت هذا الآية (قل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم) دعا رسول الله (ص) عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء اهلي انتهى .

وروى[1] ابو جعفر الطبري باسناده عن بريدة قال لما كان حين نزل رسول الله (ص) بحصن اهل خيبر اعطى رسول الله (ص) اللواء عمر بن الخطاب ونهض من نهض معه من الناس فلقوا اهل خيبر فانكشف عمر واصحابه فرجعوا الى رسول الله (ص) يجبنه اصحابه ويجبنهم فقال رسول الله (ص) لأعطين اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله .

فلما كان من الغد تطاول لها ابو بكر وعمر فدعا عليا (ع) وهو ارمد فتفل في عينيه واعطاه اللواء ونهض معه من الناس من نهض قال فلقي اهل خيبر فاذا مرحب يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
اطعن احيانا وحينا اضرب اذا الليوث اقبلت تلهب

فاختلف هو وعلي ضربتين فضربه علي على هامته حتى عض السيف باضراسه وسمع اهل العسكر صوت ضربته فما تتام آخر الناس مع علي

(١) جزء ٣ صفحة ٩٣

(ع) حتى فتح الله له ولهم انتهى .

وروى الطبري[١] ايضا بطريق آخر عن بريدة قال كان رسول الله (ص) ربما اخذتـه الشقيقة[٢] فيلبث اليوم واليومين لا يخرج فلما نزل (ص) خيبر اخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس وان ابا بكر اخذ راية رسول الله(ص) ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو اشد من القتال الأول ثم رجع .

فاخبر بذلك رسول الله(ص) فقال اما والله لأعطينها غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة قال وليس[٣] ثمة علي(ع) فتطاولت لها قريش ورجا كل واحد منهم ان يكون صاحب ذلك .

فاصبح فجاء علي(ع) على بعير له حتى اناخ قريبا من خباء رسول الله (ص) وهو ارمد وقد عصب عينيه بشقـة برد قطري فقال له رسول الله (ص) ما لك قال رمدت فقال رسول الله(ص) ادن مني فدنا منه فتفل في عينيه فما رجعها حتى مضى لسبيله .

ثم اعطاه الراية فنهض بها وعليه حلة أرجوان حمراء قد اخرج خملها فاتى مدينة خيبر وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر معصفر يمان وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

فقال علي(ع) :

انا الذي سمتني أمي حيدره اكيلكم بالسيف كيل السندره[٤]

ليث بغابات شديد قسوره

---

(١) صفحة ٩٣ جزء ٣ (٢) وجع يأخذ نصف الرأس والوجه

(٣) لا يخفى ان قول الراوي وليس ثمة علي اشارة الى انـه لو كان هناك لم يطمع بها فبخ بخ (٤) السندره لمرأة كانت تبيع القمح وتوفي الكيل ق

فاختلفا ضربتين فبدره علي فضربه فقدّ الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع سيفه في الاضراس واخذ المدينة انتهى .

وروى صاحب السيرة والطبري باسناده عن ابي رافع قال خرجنا مع علي (ع) حين بعثه رسول الله (ص) برايته فلما دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علي (ع) بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم القاه من يده حين فرغ .

فلقد رأيتني في نفر سبعة انا ثامنهم نجهد على ان نقلب ذلك الباب فما نقلبه انتهى .

وروى ثقة الإسلام الشيخ المفيد (ره) ان حسان بن ثابت استأذن رسول الله (ص) في مدح علي (ع) ذلك اليوم فاذن له فانشد :

وكان علي ارمد العين يبتغي دواء فلما لم يحس مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة فبورك مرقيا وبورك راقيا
وقال سأعطي الراية اليوم صارما كميا محبا للرسول مواليا
يحب إلهي والإله يحبه به يفتح الله الحصون الاواليا[1]
فاضفى بها دون البرية كلها عليا وسماه الوزير المواخيا

انتهى .

هذه نبذة مما ذكره ارباب السيرة والمغازي والحديث في غزوة خيبر آثرنا الاختصار خشية الملل فمن تأمل بعين البصيرة ومشى وراء الحقيقة ورعى الانصاف وجانب الانحراف تجلت له عظمة هذا الإمام وجلالته وآثاره في الدولة ونفعه في الدين ومنزلته عند الله ورسوله وانه المدخر

(١) الاوالي جمع آلي وهو المتنع

للشدائد وكشف الكروب واخماد لهب الحروب والذب عن حوزة الدين وحماية المسلمين .

وقد كان تخلفه عن خيبر للرمد الذي اصابه ولم يكن يبصر معه شيئا منتظرا زواله واللحاق بالمسلمين فلما طال عليه ذلك قال انا اتخلف عن رسول الله(ص) فخرج وهو ارمد(١) ولحق برسول الله(ص) فلله نفس هذا الإمام ما اقواها على القيام بامر الله واسرعها في السعي الى مرضاته . وكان حضوره لطفا من الله سبحانه بالمسلمين ولولاه لما فتحت خيبر ولرجع المسلمون بالخيبة غير ظافرين فإنهم واقعوا اليهود وهزموا غير مرة وفي كل ذلك يتذمر رسول الله(ص) وكانت يهود عشرة آلاف مقاتل معروفين بالبأس واقواتهم موفورة وهم يدافعون عن اوطانهم وذراريهم ونال المسلمين من الجهد والجوع ما اضعفهم عن القتال(٢) .

وذبحوا الحمر الأهلية وأكلوها لشدة جوعهم حتى نهاهم(ص) عن ذلك وامرهم باراقة الطعام وكسر الآنية كما روي وقد كانت قريش تعلق آمالها على خيبر بغلبتهم رسول الله(ص) وجعلوا الرهن مائة بعير على ان يهود خيبر تغلب رسول الله(ص) لما يعرفونه من بأسهم وكثرتهم . ومكث(ص) محاصرا لها بضعا وعشرين ليلة وكانت غطفان حلفاء

(١) صحيح مسلم صفحة ٣٢٥ جزء ٢ والبخاري جزء ٣ صفحة ٣٥

(٢) روى الطبري جزء ٣ صفحة ٩٢ ان بني سهم من اسلم أتوا رسول الله (ص) وقالوا يا رسول الله والله لقد جهدنا وما بأيدينا شيء فلم يجدوا عند رسول الله (ص) شيئا فقال(ص) اللهم انك عرفت حالهم وان ليس بهم قوة وان ليس بيدي شيء اعطيهم اياه فافتح عليهم اعظم حصونها اكثرها طعاما وودكا ففتح الله عليهم .

لخيبر و كانوا اربعة آلاف مقاتل وقد توجهوا لنصرتهم وقائدهم عيينة بن حصن ولما علم رسول الله(ص) بتوجههم ارسل اليهم ليردهم واعطاهم نصف ثمار خيبر فابوا[1] ان يرجعوا فلما كانوا في بعض الطريق سمعوا حسا وظنوا ان المسلمين اغاروا على اهاليهم فرجعوا واقاموا في اوطانهم اياما انجازا لما يريده الله سبحانه ثم بدا لهم ان ينضروا يهود خيبر فجاءوا فوجدوا رسول الله(ص) قد فتحها وطلبوا منه ان يعطيهم ما وعدهم به فأبى(ص)وأعطاهم شيئاً يسيرا .

ولو لم يأت امير المؤمنين(ع) ويتولى فتح خيبر وقتل ملكها بنفسه لطال حصارها على المسلمين وتأتيهم غطفان حينئذ من خلفهم واليهود من بين ايديهم فيقعون بين نارين .

وما ظنك بالمسلمين وبهم مابهم من الجهد والجوع والبعد عن اوطانهم ايقومون لاطفاء تينك النارين كلا بل يصيبهم اعظم مما اصابهم يوم احد وينفضون عن رسول الله (ص) ويسلمونه للعدو وليس ثم امير المؤمنين لينقذه فيقتل(ص) ويذهب الدين والدولة .

فلطفا منه سبحانه انجازاً لوعده[2] الهم امير المؤمنين(ع) على شدة رمده حضور خيبر ليقتل ملكها مرحبا وبقتله ذلت اليهود وفتحت جميع حصونها .

تأمل قول رسول الله(ص) قبالة اصحابه تعريضا بهم وتوبيخا لهم لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يرجع

(١) راجع الطبري والسيرة

(٢) اذ يقول هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

حتى يفتح الله على يديه وكيف اخفى ذلك الموصوف بهذه الصفة الجليلة والممدوح بتلك المدحة العالية ولم يبينه لهم حتى تركهم يدوكون ليلتهم لا يدرون ايهم يعطاها تشويقا لهم الى معرفة ذلك الممدوح واعظاما له لتذهب فيه الاوهام كل مذهب ثم تتجلى بعدها الحقيقة فيكون اوقع في النفس واوقر في الصدر .

وقد اشتملت هذه المدحة منه (ص) على كرامات كثيرة لأمير المؤمنين (ع) .

منها انه (ص) وصفه بمحبة الله ورسوله وليست هي اظهر اوصاف الفاتح .

ليدل اصحابه على انه (ع) هو المعني بقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) .

فمعنى الآية والله العالم ان الله سبحانه اختار من بين خلقه قوما جعلهم سيف نقمته وسوط عذابه يهدد بهم المرتدين وينتقم بهم من الجاحدين وان هذه هي صفتهم وهي محبة الله ورسوله .

فيكون معنى قوله (ص) اني اعطي الراية لسيف نقمة الله وسوط عذابه وهذا لا يرجع حتى يأخذها عنوة وان عليا هو المعني بالآية والمخصوص بهذه الصفة دون سائر المسلمين وهذا ظاهر لمن تأمل بعين الانصاف وجانب الانحراف .

ومنها افهام اصحابه واعلامهم منزلة امير المؤمنين عند الله وعند رسوله وهي انه احبهم الى الله ورسوله وانه ليس فيهم من له مثل منزلته ولو كان فيهم مثله لكان (ص) بمدحه واعطائه الراية محابيا وعن العدل

حائدا حيث تمنوها وتطاولوا لها وتهالكوا عليها ولم يعطوها وهو منزه عن ذلك بقوله سبحانه (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وهذا غني عن البيان غير محتاج الى البرهان .

ومنها اعلامه(ص) ان عليا اشجع الناس قلبا واقواهم نفسا وافضلهم رأيا واعرفهم بالسياسة وتعبئة الجنود وغشيانه الحروب وتثبيت القلوب واستمالة النفوس وانه مؤيد من الله سبحانه .

ولو لم تكن في علي(ع) هذه الصفات لما جاز لرسول الله(ص) القول على سبيل الجزم والقطع بأنه لا يرجع حتى يأخذها عنوة وهو سيد الانبياء واحكم الحكماء وافضل العقلاء .

فلو كان في شجاعة علي(ع) قصور لجاز ان يهن فيهن العسكر بوهنه فلا يكون فتح ولو كان في رأيه قصور لجاز ان يقدم حيث الاحجام ويحجم حيث الاقدام فلا يكون فتح ولو كان في سياسته الجنود واستمالته القلوب وتثبيته النفوس ضعف لجاز ان يسلمه العسكر ولا يثبت بثباته فيقتل ولا يكون فتح ولو لم يكن مؤيدا من الله سبحانه لجاز ان يفر عنه العسكر بأجمعه كما فر بالأمس وقبل الأمس فيقتل ولا يكون فتح .

فلولا انه(ص) يعلم ان هذه الصفات مجموعة فيه لما قال هذه المقالة فما يقول الرأي العام في هذا الإمام وهذه صفاته وهذا عمله للأمة وأثره في الدولة وتلك منزلته من الله ورسوله ايليق به ان يتولى امر هذه الأمة بعد نبيها ويقوم برعايتها ام يجدر بهذه الأمة ان تنحيه عن شأنها وتمنعه قيادها وهو السبب في حياتها والعامل القوي في فوزها ونجاحها .

فاليك ايها الأخ المؤمن اشكو حيرتي وقلقي وتقلبي على فراشي اذا أويت الى مضجعي ارقتني الهواجس واسهرتني الفكرة في امر هذه الأمة اراها تؤمن بالله ورسوله وتصدق قوله وتقدس فعله ثم تسمعه يثني على هذا الإمام اعظم الثناء ويطريه افضل اطراء بقوله هو احب الناس الى الله وإلى رسوله فلا يقع هذا المدح من هذه الأمة موقعا ولا تعيره مسمعا ولا ترتب عليه أثرا .

اتتهم نبيها وأرأف الناس بها الم تشاهد افعال هـذا الإمام واعماله مصدقة مدائح نبيها واقواله .

وكيف لبس عليهم شياطين هذه الامة وغواتها امرهم فاصبحوا في امير المؤمنين (ع) فئتين فئة نصبت له العداوة وسعرت عليه نيران الحرب تضرب وجهه بالسيف وفئة ادعت حبه ومودته ولكنها تحب اعداءه ومحاربيه وترى الرشد في موالاتهم ولا تنكر حربهم له وحملهم الناس على سبه والبراءة منه وقتلهم من ابى ذلك بل يقيمون القيامة ويشددون النكير على من ابغض أولئك وانكر فعلهم وبرء الى الله من اعمالهم .

تحب عدوي ثم تزعم انني صديقك ان الرأي عنك لعازب

ويعجبني ما تمثل به بعض السادة[1] الفاطميين .

لقد رابني من عامر أن عامرا بعين الرضا نو الي من قلانيا

فهب ايها الأخ ان أولئك الشياطين نازعهم الملك والسلطان واراد ان يحول بينهم وبين ما يشتهون ويحملهم على الحق فاعلنوا عليه الحرب وابدوا له الشنآن وتبعهم حثالة من الناس وضعوا لهم الأحاديث ولفقوا لهم الكرامات طلبا لما في ايديهم من حطام الدنيا .

(١) هو السيد الجليل العلامة ابن عقيل في العتب الجميل

فما بال مسلمو هذا الزمان وهم صحيحو الوجدان متبعو البرهان قد استضاءوا بنور العلم وتقشعت عنهم غياهب الجهل ونبذوا نير التقليد يقتفون أثر أولئك الشياطين والكاذبين وهم افضل منهم رأيا واعلم منهم علما .

فهلم يامعاشر المسلمين الى التدبر والإنصاف الى البحث والتنقيد الى نبذ التقليد والسير وراء البرهان والدليل. يقول سبحانه (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) هدانا الله وإياكم الى الحق وسلك بنا سبيل الرشد وعرفنا أولياءه واعداءه فإن ذلك بيده وهو ولي التوفيق

ثم كانت بعد خيبر عمرة القضاء .

وكانت قضاء عن العمرة التي صد بها رسول الله(ص)واصحابه يوم الحديبية ففي البخاري(١) فلما دخل مكة في عمرة القضاء ومضى الاجل اتوا عليا وقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج النبي(ص) فتبعته بنت حمزة تنادي يا عم يا عم فتناولها علي(ع) فأخذ بيدها وقال لفاطمة عليها السلام دونك ابنة عمك فحملتها .

فاختصم فيها علي وزيد وجعفر قال علي انا اخذتها وهي ابنة عمي وقال جعفر ابنة عمي وخالتها تحتي وقال زيد ابنة اخي(٢) .

فقضى بها(ص) لخالتها وقال الخالة بمنزلة الأم وقال لعلي انت مني وانا منك وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي وقال لزيد انت اخونا ومولانا وقال علي الا تتزوج بنت حمزة قال(ص) انها بنت اخي من الرضاعة انتهى لفظ البخاري .

(١) صفحة ٣٩ جزء ٣ (٢) يعني ان رسول الله«ص» لما آخى بين المهاجرين آخى بين زيد وحمزة وهذا رد على من قال ان البخاري لم يذكر حديث المؤاخاة

فتأمل ايها الأخ المسلم الجاهل قدر علي عليه السلام وعظمته ومنزلته من رسول الله(ص) عند قريش وكيف قصدته بالخطاب من بين اصحابه وسألته ان يكلم رسول الله (ص) في الخروج .

وما ذاك الا لما تعلمه من اتخاذه(ص) وزيرا له واختصاصه به وتميزه له عن كافة اصحابه جريا على ما اعتاده الناس من التوسل الى الملك والتذرع اليه في طلب الحوائج بوزيره واقرب الناس منه واحبهم اليه .

وتدبر قول رسول الله(ص) له انت مني وانا منك ترها غاية المدح ومنتهى الثناء فإنها عبارة عن قوله انت نفسي وليت شعري ماذا يقول المادح لهذا الإمام وبماذا ينعته واصفه ومقرضه وهل ثمة مدحة اعلى من انه نفس رسول الله(ص) .

بربك لو سمعت ملكا بمحضر خاصته واصحابه يقول لواحد منهم انت نفسي أيخالجك الريب في ان هذا المخاطب هو خير اصحابه وافضلهم واحبهم اليه وانه ولي عهده ووارث سلطانه من بعده .

وتأمل تفاوت ما بين مدحته لعلي ومدحته لزيد بقوله انت اخونا ومولانا فإن معناه والله العالم انك لا حق لك ولا تصلح ان تكون خصما لعلي وجعفر فإنهما سيداك بقرينة قوله (ص) ومولانا .

ولو لم يرد ذلك(ص) لقال ومولاي قياسا على ما تقدم في الحديث حيث ذكر الضمير بلفظ المفرد فأين عائشة عن هذا الحديث فقد كانت تثني على زيد غاية الثناء وتبالغ في حب رسول الله(ص) لهحتى قالت كان احب الناس الى رسول الله(ص) ولو بقي حيا بعد رسول الله(ص) لأوصى اليه بالخلافة[1] .

«١» ذكر ذلك الثقة عند السنة محمد بن سعد في الطبقات في احوال زيد بن حارثة

وكانت تقول ذلك غضا من فضل علي (ع) وانحرافا عنه وكانت تتظلم منه حيث اشار على رسول الله(ص) بطلاقها حين قذفت كما رواه البخاري من حديث الافك[١] وماكانت تستطيع ان تذكر عليا(ع)بخير.

روى البخاري[٢] باسناده عن عائشة قالت لما ثقل رسول الله(ص) واشتد به وجعه استأذن ازواجه ان يمرض في بيتي فأذن له فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه في الارض بين العباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر قال عبيد«٣» الله فاخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة فقال لي عبد الله بن عباس هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة قال قلت لاقال ابن عباس هو علي بن ابي طالب انتهى لفظ البخاري .

ولعمري لئن اشار علي(ع) على رسول الله (ص) بطلاقها فإنما اشار بالرأي، وبما توجبه المصلحة ولولا ما روي من تبرئة الله سبحانه لها لكان في طلاقها الرأي الصواب ولا بد منه ولا محيد عنه فتنقطع بذلك السنة المنافقين ويصان مقام سيد المرسلين فإن كان هذا ذنبه عليه السلام الى عائشة فلا حول ولا قوة إلا بالله ولقد قال عليه السلام من بعض كلامه لم يبق لي الحق صديقا . ثم تلا ذلك .

فتح مكة

وكان لأمير المؤمنين علي(ع) الميزة فيها على كافة الصحابة في الرأي، والجلالة وحسن التدبير«٤» .

«١» صفحة ٢٧ جزء ٣ «٢» صفحة ٧٣ جزء ٣

«٣» هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وهو راوي الحديث

«٤» منها ما اشار به على ابي سفيان بن حرب بان يجير بين الناس ليقطع شره ويرد كيده ليتم لرسول الله (ص) ما اراده

كانت غزوة الفتح في السنة الثامنة من الهجرة والذي اهاجها اعتداء بني بكر بن عبد مناة بن كنانة وهم حلفاء قريش على خزاعة وهم حلفاء رسول الله(ص) واعانت قريش بني بكر سرا على خزاعة .

وكان ذلك منهم نقضا لعهد رسول الله(ص) الذي أبرم بينهما يوم الحديبية فقد كان من جملة شروط الصلح يومئذ ان من شاء ان يدخل في حلف رسول الله دخل ومن شاء ان يدخل حلف قريش دخل .

فقالت خزاعة«١» نحن في حلف رسول الله(ص) وقالت بنو بكر نحن في حلف قريش وكان (ص) يود ان تنقض قريش الصلح ليتهيأ له فتح مكة ويظهر دين الله في الارض فلما فعلت قريش وحلفاؤها بنو بكر ما فعلوا بخزاعة .

خرج عمر بن سالم الخزاعي في تلك الليلة التي اصيبوا فيها حتى قدم على رسول الله (ص) وهو في المسجد فقام بين يديه(ص) منشدا ابياتا منها:

لاهم اني ناشد محمدا حلف أبينا وابيه الأتلدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ركعا وسجدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا فانصر رسول الله نصراً عتدا

فقام (ص) يجر رداءه وهو يقول لانصرني الله ان لم انصر خزاعة.

ومنها تفتيشه المرأة الحاملة لكتاب حاطب في اخبار اهل مكة بغزو رسول الله «ص» لهم وكيف استخرج الكتاب منها بعد اليأس

ومنها اخذه الراية من سعد بن عباده وعدم امتناعه من اعطائها له وهو سيد الانصار ومنها انه صاحب اللواء كما في الطبقات وغيرها ومنها حرصه على الانتقام ممن اباح رسول الله «ص» دمه وعدم اعتداده بجوار اخته ام هاني ومنها ارتقاؤه على منكبه «ص» ورمي الاصنام الى غير ذلك

(١) وكانت خزاعة في الجاهلية حلفاء عبد المطلب

ثم ان قريشا ندمت على ما فعلت وخشيت ان يغزوها وقد كان قوي امر رسول الله (ص) وظهر وفشا الاسلام في قريش فأتمروا بينهم واجمعوا ان يرسلوا ابا سفيان ليجدد العهد ويزيد في المدة قبل ان يبلغ رسول الله (ص) الخبر مكرا منهم واحتيالا .

فلقي ابو سفيان رسول خزاعة في الطريق فسأله هل اتيت يثرب فانكر عليه ذلك فجاء ابو سفيان الى مبرك ناقة الخزاعي وفت بعرها فرأى فيه النوى فعلم انه اتى يثرب فإن اهلها كانوا يعلفون ابلهم النوى فسقط في يده .

ولما ورد يثرب جاء رسول الله (ص) فقال له (ص) ما جاء بك فقال جئت لأجدد العهد فقال (ص) هل كان من حدث فقال لا فقال (ص) نحن على عهدنا ولم يجبه الى ما سأل فاتى ابا بكر وطلب اليه ليكلم رسول الله (ص) فقال ما انا بفاعل ثم أتى عمر فاغلظ له .

ثم جاء امير المؤمنين (ع) فقال يا ابا الحسن انت أمس القوم بي رحما كلم رسول الله (ص) في تجديد العهد فقال ويحك يا ابا سفيان والله لقد عزم رسول الله (ص) على امر ما نستطيع ان نكلمه فيه فقال اشر علي فإني ارى الأمور قد اشتدت علي .

فقال عليه السلام ارى لك ان تقوم في المسجد وتجير بين الناس فإنك سيد بني كنانة فقال اوترى ذلك يغني شيئا فقال لا ولا ارى لك غير ذلك ولا ترجع خائبا .

فقام ووقف في المسجد ثم نادى قد اجرت بين الناس فقال (ص) انت تقول ذلك يا ابا سفيان ولما وصل مكة قالوا له ما فعلت فاخبرهم بما اشار به امير المؤمنين وقال وجدته الين الجماعة فقالوا هل اجاز ذلك رسول الله (ص) قال لا قالوا ما زاد على ان لعب بك علي بن ابي طالب .

فقال والله ماوجدت لي غير ذلك. فانظر اليه (ع) ما اعلى رأيه واذكى فطنته كيف ارشد ابا سفيان الى هذا الرأي وحمله على العمل به بقوله انك سيد بني كنانة ولا ترجع خائبا مع تحريه قول الحق حين سأله اترى ذلك يغني شيئا قال لا .

وإنما اشار عليه بذلك لئلا يرجع خائبا بعد ان لقي ما لقي من الغلظة عليه والفشل فلا يأمن كيده واعداد الجيش وتحزيب العرب فيفوت ما دبره (ص) من مفاجأة قريش ومباغتتهم لقهرهم والاستعلاء عليهم واخذ مكة عنوة وبغير قتال وذلك ظاهر عند من احب وانصف .

ولما رجع ابو سفيان ولم يعلم بما عزم عليه رسول الله (ص) من غزوهم امر (ص) بالإهبة والاستعداد للحرب وحشد الجنود ولم يعلم الناس قصده فقائل انه يريد قريشا وقائل انه يريد ثقيفا وقائل انه يريد هوازن وعميت الحقيقة على الناس .

فلما تهيأ له ما اراد من العدة والقوة اطلع خاصة اصحابه على قصده ثم قال اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى تبغتها في بلادها .

ثم ان حاطب بن ابي بلتعه كتب لأهل مكة يخبرهم بما عزم عليه من حربهم واعطى الكتاب مولاة لبعض بني عبد المطلب وجعل لها جعلا على ان تبلغه قريشا فجعلته في رأسها ثم لفت عليه قرونها وخرجت به .

فاخبر (ص) من الله سبحانه بفعل حاطب فوجه امير المؤمنين عليا والزبير «١» بن العوام وقال ادركا إمرأة وجه معها حاطب كتابا لاهل مكة فخرجا فادركاها بالحليفة ففتشا رحلها فلم يجدا شيئا .

فقال علي (ع) والله ما كذب رسول الله (ص) ولا كذبنا ولتخرجن

«١» راجع الطبري

الي هذا الكتاب والا كشفنك .

فلما رأت الجد منه قالت اعرض عني فاعرض عنها فاخرجت الكتاب من عقاصها فدفعته اليه فجاء به فانظر الى هذا الإيمان وكيف استخرج الكتاب بعد اليأس منه .

وفي البخاري[1] فأتيا به رسول الله(ص) فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعه الى أناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض امر رسول الله (ص) فقال رسول الله(ص) يا حاطب ما هذا .

فقال يا رسول الله (ص) لا تعجل علي اني كنت امرءاً ملصقا في قريش يقول كنت حليفا ولم اكن من انفسها وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون اهليهم واموالهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم افعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام .

فقال رسول الله (ص) اما انه قد صدقكم فقال عمر يا رسول الله (ص) دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

فانزل الله السورة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) الى قوله(فقد ضل سواء السبيل انتهى .

فشهدت هذه الآية لحاطب بالإيمان كما شهد له رسول الله بذلك حيث قال اما انه قد صدقكم حين قال لم افعلها ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر .

«١» صفحة ٤١ جزء ٣

والعجب لهذا الرجل العظيم عمر بن الخطاب كيف يسمي حاطبا منافقا ويطلب من النبي (ص) ان يضرب رقبته بعد تصديق رسول الله (ص) له وشهادته له بالإيمان وكيف كفر المؤمن واعتراه الغضب ولم ير رسول الله (ص) غضب لذلك .

واني استبعد صدور هذا من عمر (رض) ولكن رواه البخاري وهو عند المسلمين من اهل السنة موثوق الرواية لا يرتابون في صحة ما يرويه مع ان الأمر بخلاف ذلك فإن هذه الرواية على فرض صحتها توثر قدحا عظيما في جلالة عمر فليتأمل .

ثم سار (ص) متوجها الى مكة ومعه عشرة آلاف مقاتل وبلغ قريشا توجهه ولم تعلم الوجه الذي يريده ولقيه العباس بن عبد المطلب بالطريق مهاجرا بأهله الى المدينة وكذلك ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان من اشد قريش عداوة لرسول الله (ص) .

فلما اراد الدخول على رسول الله (ص) حجبه ولم يأذن له فقال والله لئن لم يأذن لي لآخذن بيد ابني هذا ومعه بني له فلنذهبن في الارض ونموت عطشا وجوعا[1] .

واستشار امير المؤمنين فيما يفعل فقال إئته من قبل وجهه وقل له كما قال اخوة يوسف له (تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين) فإنه (ص) لا يرضى ان يكون احد احسن قولا منه ففعل فقال (ص) لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين .

فانظر الى هذا الذكاء العظيم في تلقينه هذه المعذرة التي ليس لها جواب الا العفو والمغفرة .

---

[1] ذكر ذلك صاحب السيرة صفحة ٧٧ جز ٣

فسبحان من خصه بهذا من بين سائر المسلمين . ثم ان العباس ارسل أهله الى المدينة ورجع مع النبي (ص) ولما قرب [ص] من مكة امر الناس بإيقاد النار وان يوقد كل رجل نارا فأوقدوا عشرة آلاف نار .

و كان ذلك بمر الظهران فقال العباس لما رأى ذلك يا صباح قريش والله لئن بغتها رسول الله [ص] في بلادها فدخل مكة عنوة انه لهلاك قريش فجلس على بغلة رسول الله [ص] البيضاء وخرج الى الاراك يقول لعلي ارى حطابا او صاحب لبن او داخلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله [ص] فيأتونه فيستأمنونه .

فخرجت فوالله اني لأطوف في الاراك التمس ما خرجت له اذ سمعت صوت ابي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وقد خرجوا يتحسسون الخبر عن رسول الله [ص] فسمعت ابا سفيان وهو يقول والله ما رأيت كاليوم قط نيرانا .

فقال بديل هذه والله نيران خزاعة حشتها الحرب فقال ابو سفيان خزاعة اذل من ذلك فعرفت صوته فقلت يا ابا حنظلة فقال ابو الفضل فقلت نعم قال لبيك فداك ابي وامي فما وراءك فقلت هذا رسول الله [ص] وراني قد دلف اليكم بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين .

قال فما تأمرني فقلت تركب عجز هذه البغلة فأستأمن لك رسول الله [ص] فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فردفني فخرجت به اركض فكلما مررنا بنار قالوا عم رسول الله [ص] على بغلة رسول الله [ص] .

حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب فرآنا فقال ابو سفيان عدو الله ثم قام يشتد الى رسول الله [ص] واركضت البغلة حتى سبقت عمر فنادى عمر يا رسول الله هذا ابو سفيان قد امكن الله منه دعني اضرب عنقه فقلت

يا رسول الله اني قد أجرته ثم جلست الى رسول الله [ص] .

فقال [ص] اذهب به فقد أمناه حتى تغدو به علي بالغداة فلما اصبح غدا به على رسول الله [ص] فلما رآه قال ويحك يا ابا سفيان اما آن لك ان تشهد ان لا إله الا الله .

فقال بأبي وأمي ما احلمك واكرمك لقد ظننت ان لو كان مع الله إله لأغنى عنا فقال له اما آن لك ان تشهد اني رسول الله فقال بأبي وامي ما احلمك واكرمك .

اما هذه ففي النفس منها شيء فقال العباس ثكلتك امك تشهد قبل ان تضرب والله عنقك فتشهد الشهادتين فقال [ص] للعباس امض به واحبسه عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى تمر عليه جنود الله .

فقلت يا رسول الله إن ابا سفيان يحب الفخر فاجعل له شيئاً يكون في قومه فقال (ص) من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن ومن القى سلاحه فهو آمن .

فخرج به العباس ووقف به في مضيق الوادي فجعلت تمر به العساكر فقال ياعباس اصبح ملك ابن اخيك عظيما فقال مهمه انها النبوة قال صدقت ثم مرت به الانصار وهم اعظم الناس كتيبة واكثرهم خيلا وسلاحا لا يرى منهم الا الحدق وقائدهم سعد بن عبادة .

فمر بأبي سفيان وهز الراية في وجهه وقال :

اليوم يوم الملحمه اليوم تسبى الحرمه

اليوم يذل الله قريشا . ثم مر رسول الله (ص) بكتيبته وعليها العظمة والهيبة والجلالة والسكينة فقال العباس وابو سفيان يا رسول الله (ص) ان سعدا يقول اليوم يذل الله قريشا ولا نأمن ان يكون له في قريش صولة .

فقال (ص) اليوم يعز الله قريشا ثم قال يا علي ادرك سعدا وخذ الراية منه وكن انت الذي تدخل بها مكة[١] فاخذ الرايـة منه ولم يمتنع سعد من دفعها له .

ولا يخفى ما في ذلك من الجلالة والعظمة والمنزلة لأمير المؤمنين في نفوس المسلمين وانه نفس رسول الله (ص) اعلم سددك الله وهداك ان اليوم الذي أمر فيه رسول الله (ص) عليا (ع) بأخذ الراية من سعد هو يوم العلاء والرفعة ويوم الفخر والمباهاة ويوم الفوز والظفر بفتح عاصمة العرب ودار عزهم ومدينة ملوكهم وأمرائهم .

فكيف يتخلى في هـذا اليوم سيد الأنصار وصاحب رايتهم عن الراية وهي عنوان عزه ومعنى فخره وعليها تدور الرياسة وبها تكون الزعامة والموت اهون عليه من ذلك .

وكيف يكلفه رسول الله (ص) بذلك وهو تكليف بغير المقدور واني لعلى يقين بأن ضرب عنقه احب اليه من اخذ الراية منه ودفعها لغيره وهو لا يرى احدا من اصحاب رسول الله (ص) اعز منه ولا اجل قدرا وفي اخذ الراية منه ليس وضعا من قدره فقط بل وضع من قدر الانصار جميعا فإنه سيدهم وصاحب رايتهم وهم فرسان المسلمين وحمـاة الدين .

فما الحيلة اذاً وقد قال سعد ما قال مع حقده بل حقد كل مسلم على قريش ويُخشى ان يكون له في قريش صولة وهو مناف لغرضه (ص) من استحيائها والابقاء عليها والاحسان اليها كعادته (ص) .

فرأى (ص) بذلك العقل الذي بعثه الله به ليكمل العقول وينظم العالم ان يعطي راية سعد لمن هو بمنزلة نفسه والوارث لسلطانه من بعده

(١) روى ذلك الطبري وصاحب السيرة والمفيد (ره)

فلا يكون في ذلك على سعد منقصة ولا وهن في عز ولا حط من كرامة بل في ذلك اعزاز لسعد واجلال لشأنه ودلالة على ان ليس في اصحابه (ص) من يفضل سعدا او يماثله اذ لو كان ثمة من يماثله او يعلو عليه لدفع له (ص) الراية .

فلهذا امر (ص) عليا بأخذ الراية منه فإنه بمنزلة اخذ رسول الله (ص) لها ولذلك طابت نفس سعد بدفعها له .

ولو رامها احد غيره لزلزلت الارض زلزالها

فما يقول الرأي العام في هذا الإمام وهذه منزلته من رسول الله (ص) ومحله من نفوس المسلمين ورتبته في الشرف والفضل فما ادري كيف دارت رحى الأيام وما الذي دها حماة الإسلام فلم يسلموا له زمامه ولم يحفظوا مقامه .

ولما رجع ابو سفيان بن حرب الى مكة جعل يخبر قريشا عن رسول الله (ص) وما شاهده من الجيش فقالوا ويحك وما الحيلة قال من دخل داري فهو آمن فقالوا قبحك الله[1] وما تغني عنا دارك قال ومن القى سلاحه واغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن فقامت اليه زوجته هند بنت عتبة ام معاوية واخذت بلحيته ونادت يا آل غالب اقتلوا الخبيث الدنس الذي لا خير فيه قبح من طليعة قوم .

فقال ويحك اسكتي وادخلي بيتك ثم قال ويحكم لا تغرنكم هذه من انفسكم فقد جاءكم ما لا قبل لكم به وكان رسول الله (ص) قد استثنى من قريش جماعة امر اصحابه بقتلهم ولو كانوا معلقين باستار الكعبة .

منهم عبد الله بن ابي سرح وهند بنت عتبة وعبد الله بن خطل

(١) راجع السيرة

وقيناه وعكرمة بن ابي جهل والحارث بن هشام وزهير بن أمية وهبار بن الاسود ووحشي .

فاما عبد الله بن ابي سرح فلجأ الى عثمان[١] بن عفان فغيبه عثمان حتى هدأ الناس واطمأنوا فأتى به الى رسول الله(ص) فاعرض عنه فصار عثمان يقول يا رسول الله(ص) آمنه والنبي(ص) يعرض عنه ثم قال نعم فبسط يده فبايعه .

فلما خرج عثمان وعبد الله قال (ص) لمن حوله اعرضت عنه مرارا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه وقال(ص) لعباد بن بشر وكان نذر إن رأى عبد الله قتله اني انتظرتك ان تفي بنذرك فقال يا رسول كنت انتظر ان تشير إلي بطرفك فقال(ص) لا ينبغي لنبي ان تكون له خائنة الاعين.

واما الحارث بن هشام وزهير بن أمية فاستجارا بأم هاني اخت امير المؤمنين فعلم بذلك امير المؤمنين(ع) فجاء مقنعا بالحديد ونادى اخرجوا من آويتم قال فجعلوا يذرقون والله كما يذرق الحبارى خوفا منه فخرجت اليه ام هاني وهي لا تعرفه فقالت ياعبدالله انا ام هاني ابنة عم رسول الله(ص) واخت علي بن ابي طالب انصرف عن داري .

فقال(ع) لا حتى تخرجوا من آويتم فقالت والله لأشكونك الى رسول الله(ص) واغلقت الباب دونه وحالت بينه وبينهما فرفع المغفر عن رأسه فعرفته فقالت فديتك قد حلفت لأشكونك الى رسول الله(ص) فقال اذهبي فابري قسمك فهو(ص) بأعلى الوادي فجاءت رسول الله(ص) فاخبرته الخبر فقال قد اجرنا من اجرت وقد شكر الله لعلي سعيه .

فانظر الى بعد ما بين حالتي عثمان وعلي هذا يحامي عن ابن ابي سرح

(١) راجع الطبري والسيرة

لأنه اخوه من الرضاعة مع علمه بشدة حنق رسول الله(ص)عليه وتألمه منه وهذا يمتنع ان يجيز جوار اخته بعد ان لجأوا الى بيتها واستجاروا بها وبيت اخته بيته ولا يخفى ما في ذلك من الشرف والعز لها فعمد الى هدم عز اخته ارضاءً لله ورسوله فلله هو ما اشده واخشنه في ذات الله ولو امكنته منهما لأوردهما حياض الموت كما وصفه سبحانه (اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) .

ولما دخل رسول الله(ص) مكة لم تكن له همة سوى تطهير البيت من تلك الارجاس الا وهي الاصنام وتلك غايته التي كان يسعى اليها مع وزيره وولي عهده .

ففي السيرة الحلبية والارشاد قال لعلي اصعد على منكبي واهدم الاصنام فقال يا رسول الله (ص) بل اصعد انت فإني اكرمك ان اعلوك فقال انك لا تستطيع حمل ثقل النبوة فاصعد انت فجلس النبي (ص) وصعد علي على منكبه ثم نهض به قال علي لو شئت حين نهض بي ان انال الثريا لفعلت ثم جعلت القي الاصنام حتى لم يبق الا صنم خزاعة فعالجته حتى استمكنت منه فقذفته فتكسر ورسول الله (ص) يتلو جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا .

هذه هي الغاية التي جريا اليها وتوازرا عليها وتجرعا في سبيلها ألم الكرب ومرارة الحرب فسبحان من وفقهما لبلوغها والفوز بنيلها .

ثم دعا(ص) قريشا وقد ملأوا المسجد الحرام فقام(ص) بباب الكعبة آخذا بعضادتي الباب فقال لا إله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال(ص) بعد كلام يا معشر قريش بئس العشيرة كنتم لنبيكم كذبتموني وانا الصادق الأمين وطردتموني

وآواني الناس .

فما ترون اني فاعل بكم فقالوا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم وقد كان الله مكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا .

فيا بنفسي [١] ذلك النبي الكريم ما أرأفه واكرمه وارحمه واحلمه كما وصفه سبحانه بقوله (وانك لعلى خلق عظيم) هذه مكارمه وايادیه في قومه ومننه على امته وليت شعري كيف اخلفوه في عترته واهل بيته .

ثم ان رسول الله (ص) بعد فتح مكة بعث السرايا تدعو الى الله ولم يأمرهم بقتال وكان من جملة من بعثه خالد بن الوليد ومعه قبائل من العرب

فنزل خالد بجنده على بني جذيمة واوقع بهم تلك الوقعة المشومة التي اقامت رسول الله (ص) واقعدته واكتأب لها وجزع وكان يرفع يديه الى السماء ويقول اللهم اني أبرء اليك مما فعل خالد .

روى الطبري [٢] وغيره واللفظ له قال بعث رسول الله (ص) حين افتتح مكة خالد بن الوليد داعيا ولم يبعثه مقاتلا ومعه قبائل من العرب سليم ومدلج وقبائل من غيرهم فلما نزلوا على الغميصاء وهي ماء من مياه بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة وعليها جماعتهم .

وكانت بنو جذيمة قد اصابوا في الجاهلية عوف بن عبد عوف ابا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة المخزومان وكانا اقبلا تاجرين من اليمن حتى اذا نزلا بهم قتلوهما واخذوا اموالهما فلما كان الاسلام وبعث رسول الله (ص) خالد بن الوليد سار حتى نزل ذلك الماء فلما رآه القوم اخذوا السلاح .

فقال لهم خالد ضعوا السلاح فان الناس قد اسلموا فقال رجل منهم

«١» راجع الطبري «٢» صفحة ١٢٣ جزء ٣ ورواها ايضا البخاري صفحة ٤٩ جزء ٣

يقال له جحدم ويلكم يا بني جذيمة انه خالد والله ما بعد وضع السلاح الا الأسار ثم ما بعد الأسار الا ضرب الأعناق والله لا اضع سلاحي ابدا .

قال فاخذه رجال من قومه فقالوا يا جحدم اتريد ان تسفك دماءنا ان الناس قد اسلموا ووضعت الحرب وامن الناس فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ووضع القوم السلاح لقول خالد .

فلما وضعوه امر خالد بهم عند ذلك فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم فلما انتهى الخبر الى رسول الله(ص) رفع يديه الى السماء ثم قال اللهم اني ابرء اليك مما صنع خالد بن الوليد .

ثم دعا علي بن ابي طالب فقال يا علي اخرج الى هؤلاء القوم فانظر في امرهم واجعل امر الجاهلية تحت قدميك فخرج حتى جاءهم ومعه مال قد بعثه به رسول الله(ص) فودى لهم الدماء وما اصيب من الاموال حتى انه ليدي ميلغة[1] الكلب .

حتى اذا لم يبق من دم ولا مال الا واداه بقيت معه بقية من المال فقال لهم علي(ع) حين فرغ منهم هل بقي لكم دم اومال لم يؤد اليكم قالوا لا .

قال فإني اعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطا لرسول الله(ص) مما لا يعلم ولا تعلمون ففعل ثم رجع الى رسول الله (ص) فاخبره الخبر فقال اصبت واحسنت .

ثم قام رسول الله (ص) فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه حتى انه ليرى بياض ما تحت منكبيه وهو يقول اللهم اني ابرء اليك مما صنع

(١) الميلغة الإناء الذي يشرب منه الكلب

خالد بن الوليد ثلاث مرات انتهى .

وقد روى ذلك اكثر المؤرخين وروى الطبري وصاحب السيرة الحلبية ايضا قالا وقع كلام بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف في ذلك فقال عبد الرحمن لخالد عملت بامر الجاهلية في الاسلام فقال خالد انما ثأرت بأبيك فقال كذبت قد قتلت قاتل ابي ولكنك انما ثأرت بعمك الفاكه ابن المغيرة فبلغ ذلك رسول الله (ص) فقال مهلا يا خالد دع عنك اصحابي فوالله لو كان لك احد ذهبا ثم انفقته في سبيل الله ما ادركت غدوة رجل من اصحابي ولا روحته .

افبعد اسلام هؤلاء القوم وتأمين خالد لهم وتسليمهم له وانقيادهم للعسكر يكتفون ويقتلون عملا بحكم الجاهلية بل لم يكن لهذا العمل نظير في الجاهلية فإنه عمل بالغدر وهو اخفر لذمة رسول الله (ص) .

فقد قام بخطبته يوم الفتح على رؤس الناس قائلا الا كل دم اومال او مأثرة في الجاهلية فهو تحت قدمي فيا لها من فعلة ما اشنعها ولقلب رسول الله (ص) ما اوجعها وما ظنك به (ص) وهو الرؤف الرحيم بأمته عند بلوغه هذه الحادثة .

فانظر الى بعد ما بين الرجلين وتفاوت ما بين الفعلين هذا يخفر ذمة رسول الله (ص) ويعمل بأمر الجاهلية وهذا يحتاط لرسول الله (ص) بعد قولهم لم يبق لنا قبل رسول الله (ص) شيء فيعطيهم زيادة عمالهم فلله هو من إمام ما احوطه على رسول الله (ص) واقومه بسد الخلة وستر الزلة وقد كان (ص) اعلم به حين بعثه .

وانظر الى بهجة رسول الله (ص) وسروره حين اخبره عما فعله وقوله اصبت واحسنت ثم قيامه بعد ذلك متبرء الى الله من فعل خالد رافعا يديه

حتى روي بياض إبطيه فانها غاية ما يمكن من رفع اليد وهي غاية الانكار والالتجاء الى الله والانقطاع اليه كما لا يخفى ولعمري ان من كانت له رتبة الوزارة وولاية العهد لجدير بمثل هذه الاعمال .

ولو كان ثمة من اصحابه(ص) من يقوم بمثل هذه الاعمال لكلفه بها ومن تأمل حال رسول الله(ص) مع امير المؤمنين يراه لا يكلفه الا بما يعجز عنه غيره وان الامر الذي يقوم به سواه ويصلح له لا يكلفه به وماذاك الا تمييزا له واظهارا لمقدرته وحفظا لمقامه وجلالته واعلام المسلمين بعظمته ثم كانت :

وقعة حنين

وسببها ان رسول الله(ص) لما عزم على غزو قريش وفتح مكة ولم يعلم الناس الوجه الذي يريده واوهمهم انه يريد هوازن وثقيف وبلغهم ذلك فتجمعوا له وجعلوا امرهم الى مالك بن عوف النصري .

وهو يومئذ سيدهم فلما فتحت مكة وانقادت قريش لرسول الله (ص) علمت هوازن وثقيف ان رسول الله(ص) لا بد ان يغزوهم فعزموا على حربه وامر مالك ان تساق مع الناس اموالها وذراريها .

وتوجهوا نحو حنين فلما كانوا باوطاس واجتمع الناس اليه وفيهم دريد بن الصمة وكان سيد بني جشم[١] ورئيسهم وهو يومئذ شيخ فاني .

وكان يحمل في شجار[٢] لكبر سنه وانما حملوه معهم تيمنا برأيه فلما انزلوه قال بأي واد انتم قالوا باوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس[٣] ولا سهل دهس[٤] ..

(١) بطل من هوازن (٢) الشجار عيدان الهودج مكشوفة
(٣) خشنة ذات احجار «٤» ترابه كثير

ما لي اسمع رغاء البعير ونهاق الحمير ويعار الشاة وبكاء الصغير قالوا ان مالكا قد ساق مع الناس ابناءهم ونساءهم واموالهم قال ابن مالك فدعا له فقال يامالك انك اصبحت رئيس القوم وهذا يوم لهما بعده فلم سقت مع الناس اموالهم وذراريهم .

قال اردت ان اجعل خلف كل رجل ماله واهله ليقاتل عنهم .. فانقض به[١] ثم قال راعي ضان والله ويلك وهل يرد وجه المنهزم شيء انها ان كانت لك لم ينفعك الا فارس على فرسه او راجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت في اهلك ومالك .

ثم قال .. ما فعات كعب وكلاب قالوا لم يشهدها منهم احد قال غاب الجد والحد لو كان يوم ملأ ورفعه لم يغب عنه هذان الحيان ولوددت انكم فعلتم ما فعلوا .

ثم قال يا مالك انك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن الى نحور الخيل شيئا ارفعهم الى ممتنع بلادهم وعليا قومهم ثم القى الصباء[٢] على متون الخيل فإن كانت لك لحق بك من ورائك وان كانت عليك كنت احرزت اهلك ومالك .

فقال مالك اما انك قد خرفت وذهب علمك ثم قال لتطيعنني يامعشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري وكره ان يكون لدريد فيها ذكر او رأي .

فقال دريد هذا يوم لم اشهده ولم اغب عنه ثم قال :

يا ليتني فيها جذع[٣] اخب فيها واضع

«١» اي صوت له كما تزجر الدابة

«٢» تقال لمن تبع رسول الله « ص » عند العرب «٣» الجذع الحدث

ولما بلغ رسول الله (ص) ما اجمعت عليه هوازن وثقيف بعث اليهم عبد الله بن ابي حدرد الاسلمي يعلم له خبرهم فانطلق اليهم ودخل فيهم واقام معهم حتى سمع وعلم ما قد اجمعوا له من حرب رسول الله (ص) .

ثم أتى رسول الله (ص) واخبره الخبر فكذبه عمر فقال ابن ابي حدرد ان تكذبني فطال ما كذبت بالحق يا عمر فشكا عمر ذلك الى النبي (ص) فقال له قد كنت ضالا فهداك الله يا عمر «١» .

ثم توجه (ص) الى حنين ومعه الفان من اهل مكة مع عشرة آلاف من اصحابه الذين فتح بهم مكة واللواء مع امير المؤمنين علي (ع) وكان اعظم جيش في العرب حتى قال بعض اكابر الصحابة لن نغلب اليوم من قلة .

ولما وصل رسول الله (ص) الى حنين وكانوا قد كمنوا له كمينا وذلك في غلس الصبح فلم يشعر المسلمون الا وقد ثار العدو في وجوههم ففر في الناس المؤلفة قلوبهم من اهل مكة وتبعهم بقية المسلمين لا يلوون على شيء .

ولم يبق مع رسول الله (ص) الا ثلاثة علي (ع) يضرب بالسيف بين يدي رسول الله (ص) والعباس آخذ بلجام بغلته (ص) وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب آخذ بركابه قيل وابن مسعود الى جانبه الأيسر (٢) وقيل ثبت معه (ص) تسعة من بني هاشم وهو الذي اعتمده الشيخ المفيد في الارشاد وهم علي والعباس وابنه الفضل وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعتبة ومعتب ابنا ابي لهب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب وعاشرهم ايمن بن ام ايمن وفر باقي الجيش كما قص سبحانه (ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم

(١) روى ذلك الطبري صفحة ١٢٦ جز ٣٠ وصاحب السيرة الحلبية (٢) راجع السيرة

تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) وهم الذين ثبتوا معه (ص)

روى البخاري في صحيحه[١] باسناده عن ابي قتادة قال لما كان يوم حنين نظرت الى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله فاسرعت الى الذي يختله فرفع يده ليضربني واضرب يده فقطعتها ثم اخذني فضمني ضما شديدا حتى تخوفت ثم ترك فتحلل ودفعته ثم قتلته وانهزم المسلمون وانهزمت معهم فاذا عمر ابن الخطاب في الناس فقلت ما شأن الناس فقال امر الله ثم تراجع الناس الى رسول الله (ص) انتهى .

وروى الطبري[٢] باسناده عن عبد الله بن ابي بكر ان رسول الله (ص) التفت فرأى ام سليم بنت ملحان فقال ام سليم قالت نعم بابي انت وامي اقتل هؤلاء الذين يفرون عنك كما يقتل هؤلاء الذين يقاتلونك فقال (ص) او يكفي الله يا ام سليم انتهى . .

وروى الثقة الجليل ابو الحسن علي بن ابراهيم بن هاشم القمي قال لما فر الناس عن رسول الله (ص) يوم حنين نظر العباس فلم ير عليا (ع) فقال شوهة«٣» بوهة أفي مثل هذا اليوم يفر ابن ابي طالب ويرغب بنفسه عن نفس رسول الله (ص) فقال ابنه الفضل نقص هذا في ابن اخيك يا اباه اما تراه في الرعيل الاول فقال ارنيه يا بني قال اما ترى ذلك الرهج قال اراه قال هناك علي قال ما هذه البرقة قال لمعان سيفه قال العباس فداه عمه بر بن بر .

«١» صفحة ٤٦ جزء ٣ «٢» صفحة ١٢٩ جزء ٣

«٣» كلمات لمن «قاموس»

وروى[١] ابو جعفر الطبري باسناده عن عبد الرحمن بن جابر عن ابيه قال لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد من اودية تهامة اجوف حطوط انما ننحدر فيه انحدارا قال وفي عماية الصبح وكان القوم قدسبقوا الى الوادي فكمنوا لنا في شعابه واحنائه ومضايقه قد اجمعوا وتهيأوا واعدوا فوالله ما راعنا ونحن منحطون الا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد .

وانهزم الناس اجمعون فانشمروا لا يلوي احد على احد وانحاز رسول الله(ص) ذات اليمين ثم قال اين ايها الناس هلم الي انا رسول الله (ص) انا محمد بن عبد الله فلاشيء احتملت الابل بعضها بعضا الا انه قد بقي مع رسول الله(ص) نفر من المهاجرين والانصار واهل بيته .

الى ان قال ورجل[٢] من هوازن على جمل له احمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل امام الناس وهوازن خلفه اذا ادرك طعن برمحه واذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينا ذلك الرجل يصنع ما يصنع اذ صمد له علي بن ابي طالب فيأتيه من خلفه فيضرب عرقوبي الجمل فبراهما فوقع على عجزه وابتدر الرجل فقتله انتهى .

وروى ذلك المفيد في الارشاد وصاحب السيرة ايضا ولم يحضرني من كتب التاريخ غير ما ذكرت .

ولما رأى(ص) ان نداءه لا يبلغ عامة الناس قال يا عباس اصرخ

«١» صفحة ١٢٨ وصفحة ١٢٩ جزء ٣

«٢» يكنى ابا جرول وكان يقول :

انا ابو جرول لابراح حتى نبيح القوم او نباح

يا معشر الانصار يا اصحاب السَّمُره[١] فناديت فاسمعت آخرهم[٢] وكان عظيم الصوت فاجابوا لبيك لبيك قال فيذهب الرجل منهم يثني بعيره فلا يقدر لكثرة من فر من الاعراب فيلقي بنفسه عنه ويدعه ثم يؤم الصوت نحو رسول الله(ص) .

حتى اذا اجتمع اليه منهم مائة رجل استقبل بهم امير المؤمنين العدو وتنادوا يالالانصار ثم كانت الدعوة اخيرا ياللخزرج وكانوا صبُرا عند الحرب فلما نظر (ص) الى حسن جلادهم قال الآن حمي الوطيس[٣] ثم نزل عن بغلته وقال

انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب

فمارئي في الناس اشد منه. ثم تناول كفا من تراب ورماه في وجوههم وقال حم لاينصرون فكانت الهزيمة وما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مكتفين[٤] قال عبادة الغافقي في ذلك شعرا[٥] وقال العباس[٦]

---

(١) وهي الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان

(٢) كان يسمع صوته من ثمانية أميال كان يقف على سلع وينادي غلمانه آخر الليل وهم بالغابة فيسمعهم وبين سلع والغابة ثمانية اميال راجع السيرة والميل مسيرة نصف ساعة «٣» الوطيس التنور وكنى بها عن اشتعال الحرب ولم تسمع من غيره قبل ذلك وهي من جوامع الكلم «٤» راجع السيرة والارشاد والطبري

«٥» لم يواس النبي غير بني ها شم عند السيوف يوم حنين
هرب الناس غير تسعة رهط فهم يهتفون بالناس اين
ثم قاموا مع النبي على المو ت فآبوا زينا لنا غير شين
وثوى ايمن الامين من القو م شهيدا فاعتاض قرة عين

«٦» نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا
وقولي اذا ما الفضل شد بسيفه على القوم اخرى يا بنيَّ ليرجعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما ناله في الله لا يتوجع

وهو ايمن بن ام ايمن «ره»

في ذلك ايضا كما ذكره الشيخ المفيد (ره) هذا مجمل ما روي في غزوة حنين .

فتأمل في هذه الوقعة وما لحق المسلمين فيها من الفشل والوهن لإعجابهم بكثرتهم واتكالهم على قوتهم وتدبر ما ونجهم به سبحانه بقوله واذكروا يوم حنين وما لحقكم فيه من الفشل والخور (اذ اعجبتكم كثرتكم) و كنتم اثني عشر الفا كاملي اللامة فوثقتم بها واعتمدتم عليها وركنتم اليها من دون الله سبحانه وما النصر الا من عنده (فلن تغني عنكم من الله شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت) .

وهذا منتهى الخوف وغاية الرعب فلم تصبروا على هذه الحالة ولم تستميتوا في سبيل الدفاع عن صاحب الدين والدولة واسلمتموه لحفاة الاعراب وطغام هوازن وثقيف .

هذا وقد رأيتم ما وعدكم حقا وضرب الإسلام بجرانه[1] وظهر بقوة سلطانه ونشرت اعلامه ونفذت احكامه وقد ذقتم طعم الملك وحلاوة العز ولذة الظفر والفوز بفتحكم مكة واخضاعكم قريشا والجائها للنزول على حكمكم .

فأين ما بايعتم به الله سبحانه وما اعطيتموه من العهد والميثاق يوم بيعة الرضوان لرسوله على ان لا تفروا عنه ومن فر فهو في النار ومن قتل فهو شهيد فما وفيتم ببيعكم الذي بايعتم به سبحانه .

اذ يقول (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقا) انقضتم العهد ام استقلتم البيع (ثم وليتم مدبرين) .

«١» الجران مقدم العنق من مذبحه الى منحره

غير متحرفين لقتال ولا متحيزين الى فئة (ومن يفعل ذلك فقد باء بغضب من الله) .

ولا عجب من قول ام سليم لرسول الله (ص) بأبي انت وامي اقتل من فر عنك كما تقتل من يقاتلك فإنها رأت ان من يفر عن رسول الله (ص) ويسلمه للمنية وهو قادر على انقاذه والذب عنه هو ومن يقاتله سواء.

ولعمري انها لمن اكبر الذنوب الموبقات واعظم الخطايا المهلكات ولم يكن ثمة قتال يدعو الى الفرار ولكنها محنة منه واختبار ولذلك عجب ابو قتادة كما تقدم في صحيح البخاري حين رأى عمر بن الخطاب في من فر من الناس فقال ما بال الناس اي ما دهاهم فقال عمر امر الله اي محنة منه سبحانه وابتلاء .

ثم انزل الله سبحانه سكينته وهي تثبيت القلب وتسكينه وإيداعه الجرأة والبسالة كي يستخف بالخطوب ويقوى على احتمال المكروه .

وانما انزلها (على رسوله (ص) وعلى المؤمنين) وهم الثلاثة او العشرة الذين مر ذكرهم حين رأى صبرهم وثباتهم وعلم استماتتهم في سبيله والحماية لدينه كما وعد سبحانه اذ يقول (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم)

فإذا تدبرت حالة المسلمين وما قرعهم فيه وعاتبهم به الله سبحانه وكيف باهى الله سبحانه بأمير المؤمنين ذلك العسكر المجر والجحفل الحاشد باعلام الصحابة واكابر المهاجرين والانصار وصناديدهم ومن اليهم الإيماء والاشارة .

ظهرت لك عظمته ومكانته من الله ورسوله ومبلغه من الدفاع عن الدين والدولة ومقدار صبره وثباته في وجه الخطوب حيث تزلزل الاقدام وتطير النفوس وتطيش الالباب وتفر الجحافل وترعزع الرواسي .

وبأمثال هذه المقامات تمتاز الرجال ويظهر فضلهـا ويعرف قدرها وتتبين الحقيقة من التدليس والخليقة [١] من التمويه وبها تسمو عظماء الرجال وكبار النفوس الى اعلى الدرجات وتتحلى باشرف الصفات .

فما ظنك بتلك الصدمة التي اجفلت اثني عشر الف مقاتل فيهم من ذوي البأس والشجاعة واعلام العرب وصناديدها والمشهورين بالبسالة .

كالزبير وطلحة وسعد بن ابي وقاص وخالد بن الوليد وابي دجانـة وسهل بن حنيف وسعدبن عباده والحارث بن الصمة وابي ايوب وامثالهم

فاطارت افئدتهم وشردت بهـم في كل واد كيف قام في وجههـا وانتصب لصدها واقدم على ردها بصدر اوسع من الفضاء وقلب امضى من القضاء .

وحقيق بقلب انزلت عليه سكينة الله وافرغت فيه وملئ إيمانا ويقينا ان لايحفل بالنوازل ولا تريعه الجحافل فطوبى له فلقد فاز من بين اصحاب رسول الله (ص) باجرها واستولى على فضلها وطار بفخرها .

اقول هذا غير مزدر لتلك الفئة الطيبة الزكية والعصبـة الهاشمية الذين ثبتوا مـع رسول الله (ص) واستماتوا [٢] دونه فلقد كان لهم المقام المحمود والفضل المشهود .

ولكن هيهات عـن بلوغ شأو امير المؤمنين واللحاق به فوالله

---

(١) الخليقة هي الطبيعة

(١) وهم تسعة العباس عن يمينه وابنه الفضل عن يساره وابو سفيان بن الحارث ممسك بعنان البغلة ونوفل بن الحارث وربيعة بن الحارث وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب وعتبة ومعتب ابنا ابي لهب وايمن بن ام ايمن محيطون بـه هؤلاء التسعة وامير المؤمنين (ع) امامهم يضرب بسيفه مدافعا عنهم كما في الارشاد .

الذي، لا إله غيره ما ثبت أولئك الا بثباته ولا ركنوا الا الى دفاعه ومحاماته علما منهم بكفايته لحمايتهم والذب عنهم .

فإن كل من ألم بالتاريخ وقرأ السير علم ان أولئك الهاشميين لم يكن لهم قبل ذلك موقف مشهور ولا مقام مذكور ولا دون لهم التاريخ قتل احد .

لكنهم لما رأوا سيدهم وافضلهم بعد نبيهم قد باع نفسه لله وجادبها دون رسول الله (ص) وابصروا عظيم جلاده وشدة فتكه وكيف تحجم عنه الرجال وتتحاماه الابطال سكنت نفوسهم واطمأنت قلوبهم وثبتت اقدامهم فاقتدوا بفعله وجروا على نهجه فلهم فضل الاقتداء وشرف الإتباع .

فلله هو من إمام ما اعظم نفعه في الدولة والدين واكبر منته على المسلمين بربك دع التكلف وخبرني منصفا لوفر امير المؤمنين (ع) من بين أولئك التسعة مع ما يعلمونه من بأسه وشجاعته أكان يثبت منهم احد كلاً والله .

وحينئذ تكون الطامة الكبرى والقارعة العظمى بقتل رسول الله (ص) ويذهب الدين والدولة وفي ذلك هلاك الامم بعد نجاتها وانقراضها بعد حياتها فثبات امير المؤمنين ومحاماته عن رسول الله (ص) الى ان ثابت اليه تلك الفئة التي لم تتجاوز مائة مقاتل هو السبب في حياة رسول الله (ص) وبقاء الدين والدولة ونجاة الخلق من الهلكة .

واعجب له حين رأى ان حد المشركين وشوكتهم عند ابي جرول وهو عميدهم وصاحب رايتهم وانهم يقفون اثره ويقدمون باقدامه عمد اليه كما ذكر وضرب عرقوبي بعيره فبراهما ثم قتله فكان بقتله فل حدهم

وحلّ عقدهم وكسر شوكتهم .

فما يقول الرأي العام في هذا الإمام وهذا عمله وكدحه وسعيه لأمته ونفعه في الدين والدولة ايليق به ان يتولى سياسة الأمة بعد نبيها اويجوز لهذه الأمة ان تقدم عليه غيره وان تعرض عنه بوجهها وان تنصر عدوه وتخيف وليه .

واعجب للشيخين في صحيحيهما كيف لم يذكرا لأمير المؤمنين (ع) من ذلك الموقف العظيم والنصر الباهر شيئا وقد نطق بذلك الذكر الحكيم ولو كان لأحد من اعلام الصحابة ثمة مقام او منقبة لرأيت العجب العجاب بكثرة الروايات وصحة الاسانيد وتعداد الطرق .

فليت شعري ما الحيلة في هذين الشيخين[1] وامثالهما وطريقتهم ان من روى فضيلة او ذكر منقبة لعلي (ع) رمي بالضعف واتهم بالرفض فلا يقبل قوله ولا تدون روايته مهما بلغ من العلم والفضل والورع .

بربك خبرني هل سمعت او بلغك ان احدا من اعداء امير المؤمنين ومبغضيه رماه بشيء من الجبن او الفرار في موقف من المواقف ولقد كان اعداؤه يجزلون العطاء ويوفرون الاموال ويعظمون الجوائز لمن يروي له مثلبة او يختلق له عيبا وكم رموه بالاباطيل ورووا فيه المناكير فلم نر منهم من ألم بشجاعته او غمز في ثباته ومحاماته .

اذا فما بال الشيخين[2] عند ذكرهما لوقعتي احد وحنين لم يذكراه في من ثبت مع رسول الله (ص) وقد نزل القرآن بفرار المسلمين في هاتين الوقعتين وكأنهما ضنا بهذه الفضيلة الجليلة ان يتحلى بها علي (ع) ويتخلى منها اعلام الصحابة واكابر المهاجرين .

(١) وهما البخاري ومسلم (٢) هما مسلم والبخاري

وإلا فما عذرهما ألم يعلما ثباته وصبره يومئذ كلا والله فإن هذا ضروري عند كافة المسلمين عالمهم وجاهلهم وان الشجاعة والبأس انتهيا اليه ووقفا عنده .

واعجب من ذلك ان البخاري روى في صحيحه ان رسول الله(ص) ثبت وكان معه ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب آخذا برأس البغلة وهذا من اطرف الاحاديث وكأن ابا سفيان هو المقصود بالمؤمنين حيث يقول سبحانه فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وكان ابو سفيان هذا من اعدى الخلق لرسول الله(ص) وكان نظير ابي لهب في إيذائه وقصده بالمكروه ولما جاء الى رسول الله(ص) يوم الفتح طرده ولم يقبله حتى اشار عليه امير المؤمنين وعمل بما اشار به فقبله(ص) وحسن اسلامه كما تقدم وكان مابين اسلامه وبين وقعة حنين لايزيد على عشرين يوما

فما يقال لمن اغفل ذكر امير المؤمنين وتناسى موقفه يومئذ وذكر موقف ابي سفيان بن الحارث ومن الذي يستطيع ان يعيب البخاري بهذا وامثاله وهو عند اخواننا المسلمين من ابناء السنة من اوثق المحدثين وافضل الراوين يقفون عند كتابته وروايته فصبر جميل .

وايم الحق ما تأملت في هذه الآية الكريمة الا وجدتها مسوقة لمدح امير المؤمنين ومباهاة ذلك العسكر به المعجب بكثرته المدلي بعديده وعدته وكل من تأمل عرف ذلك .

ولما انهزم المشركون توجه منهم جماعة نحو الطائف وفيهم مالك بن عوف وتوجه جماعة منهم نحو نخلة وفيهم دريد بن الصمة وتبعت خيل رسول الله(ص) من توجه نحو نخلة فادرك رجل من المسلمين دريدا فأخذ بخطام جمله وهو يظنه امرأة .

وذلك انه كان في شجار لـه فأناخ بـه واذا هو شيخ كبير و كان الرجل لايعرف دريدا فقال له ماذا تريد بي قال اقتلك قال ومن انت قال انا ربيعة بن رفيع السلمي ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئا فقال بئسما سلحتك امـك .

خذ سيفي في مؤخر الرحل في الشجار ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فإني كذلك كنت اقتل الرجال ثم اذا اتيت امك فاخبرها انك قتلت دريدا فرب يوم والله قد منعت نساءك قال ربيعة لما ضربته فوقع تكشف الثوب عنه فاذا عجانه وبطون فخذيه مثل القرطاس من ركوب الخيل اعراء .

فلما رجع ربيعة الى امه اخبرها بقتله فقالت والله لقـد اعتق امهات اك ثلاث .

ثم حاز رسول الله (ص) غنائم هوازن وذراريها فكانت تفوق الاحصاء لكثرتها ولم يقسمها (ص) بين العسكر منتظرا رجوع اربابها واسلامهم ليردها عليهم فلما ابطأوا عنه قسمها على الجيش وذلك بعد رجوعه من غزو الطائف وفضل في العطاء المؤلفة قلوبهم عـلى المهاجرين والانصار وهم مسلمة الفتح من اهل مكة ومن تبعه من الاعراب .

اعطا عيينة بن حصن والاقرع بن حابس وعكرمـة بن ابي جهل وضرار بن الخطاب وصفوان بن أمية والحارث بن هشام كل واحد مائة من الابل واعطى ابا سفيان بن حرب مائة فقال ابو سفيان ويزيد بن ابي سفيان فاعطاه مائة فقال ومعاوية بن ابي سفيان فاعطاه مائة .

واعطى النضر بن الحارث وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى وحكيم بن حزام والعلاء بن حارثـة مائة مائة فقيل يا رسول الله (ص)

اعطيت عيينة بن حصن والاقرع بن حابس مائة مائة وتركت جعيل ابن سراقه .

فقال (ص) والله لجعيل بن سراقة خير من طلاع الارض كلهم مثل عيينة والاقرع ولكني تألفتهما ليسلما ووكلت جعيلا الى اسلامه. وانما فعل (ص) ذلك تأييدا للدين وتثبيتا للدولة وتقوية للسلطان فإن هؤلاء المؤلفة لم يكن ليصدق جدهم ومحاماتهم الا بالعطاء الوافر لضعف ايمانهم بما وعد سبحانه من الأجر والجزاء .

واما المسلمون من المهاجرين والانصار فمحاماتهم وجدهم في الذب عن حوزة الدين محقق لثبات ايمانهم وقوة يقينهم وكان الذي فضل به (ص) المؤلفة قلوبهم انما هو من الخمس الذي خصه الله به .

وبلغ رسول الله (ص) عتب الانصار عليه في ذلك فجمعهم ولم يخلط بهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم ومعه علي (ع) ولا ثالث لهما شأن الملك والوزير .

ثم قال بعد حمد الله والثناء عليه بما هو اهله يا معاشر الانصار ألم تكونوا اعداء فألف الله بين قلوبكم بي فقالوا نعم المنة لله ولرسوله ثم قال ألم تكونوا على شفا حفرة من النار فانقذكم الله بي فقالوا نعم المنة لله ولرسوله ثم قال ألم تكونوا فقراء فأغناكم الله بي فقالوا نعم المنة لله ولرسوله ثم سكت (ص).

ثم قال الا تجيبوني فقالوا قد اجبناك بأن المنة لله ولرسوله فقال اما والله لو شئتم لقلتم الم تكن طريدا فآويناك الم تكن خائفا فآمناك الم تكن مكذبا فصدقناك الم تكن مستضعفا فنصرناك ..

اوجدتم في انفسكم يا معشر الانصار في لعاعة[1] من الدنيا تألفت بها قوما

[1] الشيء الحسيس واليسير

ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم افلا ترضون ان يرجع الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله(ص) الى رحالكم .

فوا الذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرءً من الانصار ولو سلك الناس شعبا وسلكت الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار قال فبكى الانصار حتى اخضلت لحاهم .

وقالوا رضينا برسول الله قسما يا رسول الله هذه اموالنا بين يديك فخذ منها ماشئت واعطها لمن شئت .

اجل هذه هي السياسة النبوية هذه هي الاخلاق القدسية هذه هي الرعاية الإلهية بأمثال هذا الاسلوب والبيان تستنزل العصم وتذلل صعاب النفوس وتلين قاسيات الطباع وتقاد جامحات القلوب والله اعلم حيث يجعل رسالته .

وممن سخط لقلة العطاء العباس بن مرداس وانشد ابياتا من الشعر [1] فلما بلغ رسول الله(ص) ذلك دعا بـه ثم قال لأمير المؤمنين يا علـي خذه واقطع لسانه .

قال العباس بن مرداس فوالله لهذه الكلمة كانت اشد علي من يوم خثعم حين اتونا في ديارنا فاخذ بيدي ولو استطيع الفرار لفررت منه ولو اعلم أن احدا يمنعني منه لاستجرت به فقلت يا علي انك لقاطع لساني فقال اني لمضٍ فيك ما امرت به وما زال بي حتى ادخلني الحظائر .

«١» منها

أتجعل نهبي ونهب العبيد[1] بين عيينة والاقرع
وما كنت دون امرء منهما ومن تضع اليوم لم يرفع

(١) اسم فرسه

فقال اعتد ما بين اربع الى مائة فقلت بأبي ما اكرمكم واعلمكم فقال (ع) ان رسول الله (ص) اعطاك اربعا وجعلك مع المهاجرين فإن شئت فخذ مائة وكن مع اهل المائة فقلت اشر علي فقال (ع) آمرك ان تأخذ ما اعطاك رسول الله (ص) فقال قد فعلت .

ولما رجعت هوازن الى رسول الله (ص) مذعنة بالطاعة ومقرة بالإسلام وقد كان فرق في الناس اموالهم وذراريهم قالوا يا رسول الله (ص) امنن علينا منّ الله عليك .

ثم قام رجل من بني سعد وهم الذين ارضعوا رسول الله (ص) فقال يا رسول الله (ص) ان في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك ولو اننا ارضعنا للحارث بن شمر او للنعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل ما نزلت به رجونا عطفه وعائدته .

فقال (ص) ان خير الحديث اصدقه قد كنت استأنيت بالفيء رجوعكم فابطأتم علي وانكم لترون من معي فأيما احب اليكم اموالكم ام ذراريكم [1] فقالوا ذرارينا فقال اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فإذا صليت بالناس فاسألوني ذلك .

فلما صلى قاموا وتكلموا بما امرهم به (ص) فقال (ص) اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله (ص) وقالت الانصار كذلك وقال عيينة بن حصن اما انا وبنو فزارة فلا فقال (ص) اما من تمسك بحقه من هذا السبي فله بكل انسان ست فرائض من اول شيء نصيبه فرد الناس كل ما بأيديهم من السبي .

الا عيينة بن حصن كانت في يده عجوز فلم يردها بست فرائض

[1] روى ذلك البخاري

وطمع بعظيم خطرها فلم يعطها شيئاً واستمسك بها فقال له زهير ابو صرد خذ عنك فوالله ما فوها ببارد ولا ثديها بناهد ولا بطنها بوالد ولا زوجها بواجد فردها حينئذ بست فرائض .

وروى الطبري باسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سئل فقيل له هل حضرت رسول الله(ص) حين كلمه التميمي يوم حنين قال نعم اقبل رجل من تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف على رسول الله(ص) وهو يعطي الناس فقال يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم .

فقال اجل فكيف رأيت قال لم ارك عدلت فغضب رسول الله(ص) ثم قال ويحك اذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله(ص) الا نقتله فقال لادعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يوجد شيء ثم في الفوق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم انتهى .

وذو الخويصرة هذا هو احد قادة الخوارج قتل بالنهروان مع من قتلهم علي(ع) وهذا الخبر منه (ص) من اعلام نبوته وهؤلاء الخوارج هم كفرة باجماع كافة المسلمين وقد تواترت الاخبار عن النبي(ص) بكفرهم وحض المسلمين على قتلهم والثناء على من قتلهم[1] .

«١» في مسند احمد بن حنبل وهو احد الأئمة الاربعة عن مسروق ابن الاكوع قال دخلت على عائشة فقالت يا مسروق انت من ولدي ومن احبهم الي فهل لك علم بالمخدج .

فقلت نعم قتله علي بن ابي طالب على نهر يقال لأعلاه تامر ولأسفله النهروان بين الخنافيق وطرفاء فقالت ابغني على ذلك بينة فاتيتها برجال شهدوا لها بذلك فقلت لها اقسمت عليك بصاحب القبر هل سمعت من رسول الله «ص» فيهم شيئا .

فقالت نعم سمعته يقول هم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة

وكان تقسيم غنيمة حنين بعد ان رجع (ص) من غزوة الطائف فقد كان حاصرها نصف شهر فلما طال المقام على المسلمين ورأى منهم الضجر استشار اصحابه في الرجوع فقال له نوفل بن معاوية الدؤلي يا رسول الله (ص) ثعلب في جحر إن اقمت عليه اخذته وان تركته لم يضرك فانصرف راجعا الى المدينة وجاءته بعدها وفود ثقيف مذعنة بالطاعة ومقرة بالإسلام .

ولما رأى (ص) دخول العرب في الإسلام وخضوعهم لسلطانه ولم يبق له منازع عزم على غزو الروم فأمر الناس بالتهيؤ والإعداد وحض اهل الغنى على النفقة والحملان وحشد في تلك الغزوة جيشا عظيما وكان يسمى جيش العسرة والغزوة غزوة تبوك وكان عدد الجيش ثلاثين الفا معهم عشرة آلاف فرس واستخلف امير المؤمنين (ع) على المدينة خشية عليها وقد تقدم شرح ذلك مفصلا فراجع ولم يلق (ص) في تلك الغزوة حربا .

أتاه يحنة بن رؤبة صاحب ايلة فصالحه على اداء الجزية وكتب له (ص) بذلك كتابا وانصرف راجعا وكانت في السنة التاسعة من الهجرة .

وبعدها وضعت الحرب اوزارها وضرب الإسلام بجرانه وخضع لسلطان رسول الله (ص) عامة العرب واطاعه منهم اهل الوبر والمدر ما خلا اليمن وكانوا اهل عز ومنعة .

فرأى (ص) حبا بأمته وحرصا على نجاتها واستحيائها ان يعلن عليهم حربا وان يقتادهم بالإرشاد والنصائح فعل البر الشفيق .

واقربهم من الله وسيلة انتهى .

و كان مسروق منحرفا عن علي «ع» فتاب الى الله ورجع الى ولاية علي «ع» لهذا الحديث ويا ليت من روى له ذلك الحديث تاب ورجع ايضا وكم من حامل علم الى من هو اعلم منه .

فارسل خالد بن الوليد الى اليمن ومعه عدة حسنة من الجيش ونهاه عن الحرب والقتال خشية ان يفعل كفعلته بالأمس[1] فمضى خالد بجيشه واقام باليمن ستة اشهر فلم يستجب له احد .

ولما ابطأ على رسول الله (ص) خبرهم وعلم عدم استجابتهم لخالد اهمه ذلك ورأى ان في اعلان الحرب عليهم جرا للويل على المسلمين واضعافا للعرب والقاء الضغن بينهم وكسرا لشوكتهم وتقليلا لعددهم قبالة بقية الأمم .

فرأى ان يرسل امير المؤمنين عليا (ع) في هذه المهمة مكان خالد لما يعلمه من كفايته وعلو رأيه وحسن سيرته وتدبيره وتدبره للعواقب واحتياطه في الدماء .

روى ابو جعفر الطبري في تاريخه باسناده عن البراء بن عازب قال بعث رسول الله (ص) خالد بن الوليد الى اهل اليمن يدعوهم الى الإسلام فكنت فيمن سار معه فاقام عليهم ستة اشهر لا يجيبونه الى شيء .

فبعث النبي (ص) علي بن ابي طالب وامره[2] ان يقفل خالدا ومن معه فإن اراد احد ممن كان مع خالد ان يعقب معه تركه .

قال البراء فكنت فيمن عقب معه فلما انتهينا الى اوائل اليمن بلغ القوم الخبر فجمعوا له فصلى بنا علي (ع) الفجر فلما فرغ صفنا صفا واحدا ثم تقدم بين ايدينا فحمد الله واثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله (ص) فاسلمت همدان كلها في يوم واحد وكتب بذلك الى رسول الله (ص)

(١) مع بني جذيمة وقد تقدمت بعد فتح مكة فراجع

(٢) وانما امره بذلك لما يعلمه من انحراف خالد وبعض من معه عن علي عليه السلام وحسدهم له ولذلك قال (ص) فإن اراد احد ان يعقب معه تركه قاتل الله الحسد

فلما قرأ كتابه خر ساجدا ثم جلس فقال السلام على همدان السلام على همدان ثم تتابع اهل اليمن على الإسلام انتهى . وروى البخاري[1] هذا الحديث عن البراء قال بعثنا رسول الله (ص) مع خالد بن الوليد الى اليمن قال ثم بعث عليا بعد ذلك مكانه فقال مر اصحاب خالد من شاء منهم ان يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقل فكنت فيمن عقب معه انتهى

فانظر الى فرق ما بين الحق والباطل واعجب اترى بربك ان هذا هو الحديث الذي حدث به البراء اذا فما الفائدة من هذا الحديث وما الغرض من هذا الإخبار .

اليس بعد هذا لغوا من القول ينزه عنه مثل هذا الصحابي الجليل والعالم الكبير مع شدة ولائه لأمير المؤمنين(ع) وولوعه بنشر فضائله ومناقبه وما ابلد هذا السامع كيف قنع منه بهذا ولم يسأله لم استدعى رسول الله(ص) خالدا من ذلك الوجه وارسل عليا مكانه .

وما الذي جاء به علي من الاعمال فإن هذا هو الذي يهم السامع الوقوف عليه وتتعلق به نفسه وتالله ما صيغ هذا الكلام الا لبيان عمل خالد وعمل علي(ع) كما رواه الطبري ولا بلادة في السامع وانما فيه بغض وانحراف منعه عن إتمام الحديث اذ تمامه مناف لغرضه .

وما اشبه هذا الراوي باشعب الطماع وقد سئل ما الذي ترويه عن رسول الله (ص) فقال حديث وثلثا حديث فقيل كيف ذاك حدثنا .

فقال حدثني فلان عن رسول الله(ص) انه قال لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو اهدي إلي ذراع لقبلت وقال (ص) احب من دنياكم ثلاثا النساء والطيب وسكت عن الثالثة وهي وقرة عيني الصلوة فقيل له

(١) صفحة ٥٠ جزء ٣

فاين الثلاث فقال لم أرو الا اثنتين ولا حاجة بي الى الثالثة .

هذا البخاري وهذه احاديثه ورواياتـه فيما يتعلق بفضل علي امير المؤمنين (ع) فحسبنا الله ونعم الوكيل .

فانظر الى هذا العمل الجسيم وما عقبه مـن الخير العظيم وكيف عاد على هذه الامة بالنفع الكثير والفوائد الجمة بان جمع كلمتهـا واطفأ ثائرتها وحقن دماءها فقد كان اهل اليمن اعز العرب جانبا واشدهم شكيمة واقواهم منعـة واكثرهم عددا فلو وقعت الحرب بينهم وبين المسلمين لكانت طاحنة ولم تنجل الا عن قتل عشرات الألوف .

فتأمل حال علي (ع) وحسن اسلوبه في الدعوة الى الاسلام كيف اظهر لهم اولا الشدة واراهم القوة بصف اصحابه صفا واحدا يدلهم بذلك على ثباتهم واستماتتهم في سبيل الدعوة .

فإن الصف الواحد كثيرا ما يلحقه الخلل لعدم وجود مـن يحمي ظهورهم واذا زال منه احد ظهر خلله وبان النقص فيه ولا يفعـل ذلك الا المستميتون الذين لا يحدثون انفسهم بالزوال والفرار منه كما وصفهم سبحانه (كأنهم بنيان مرصوص) ويكون ذلك ادعى لقبول النصيحة وسماع الموعظة ثم حمد الله سبحانه والثناء عليه .

ولا تسل عن بديع حمده وبليغ ثنائه وقدرته عـلى اظهار نعم الله وآلائه فقسما بذاته الزكية ومقامه من الحضرة الإلهيـة ومنزلته عند سيد البرية لكأني به وقد سحر الالباب وسبى العقول وملك النفوس بما اظهره من صفات خالقه وتمجيد باريه وما اوقفهم عليه من مننه وايادیه .

فلما رأى انه قد اثار الالباب وفرغ الاسماع تلا عليهم كتاب رسول الله (ص) وما تضمنه من النصائح وافرغ فيه من الحكم والمواعظ فلم

يكن عندهم الا السمع والطاعة .

فاسلمت همدان كما سمعت في يوم واحد وبمثل هـذه الاعمال تمتاز الرجال ويعظم قدرها ويعلو شأنها وانمـا قدر المرء بقدر عمله كما قال (ع) قيمة كل امرء مـا يحسنه وبذلك ظهر الفرق بينه وبين خالد بن الوليد اذ أقام فيهم ستة اشهر ولم يستجب له احد وهو عليه السلام حملهم على الاستجابة بيوم واحد ولما رأى اهل اليمن اسلام همدان وهي اعزهم جانبا واشدهم منعة اسلموا جميعا .

وانظر الى حال رسول الله (ص) حين بلغـه الخبر كيف خر ساجدا شكرا لله على صرف هذا البلاء الذي كان يخافه والشدة التي كان يتوقعها .

فلله هذا الإمام ما اشد كدحه لأمته واحرصه على نفعها وما اعرفه بكشف الكروب واقواه على اخماد لهب الحروب تارة ببأسه وشجاعته وطورا برأيه وبلاغته فإن نفعت الحجة والبرهان والاعمل الصارم والسنان

ولعمري انما بامثال هذه الرجال ترقى الشعوب وتسعد الامم وتعقد التيجان ويحاز السلطان وتحيا النفوس وتنعش الآمال وهـم ربيع الايام وزهرة الزمان وقلب العالم وروح البشر وينبوع السعادة .

فالويل لمن وقف في وجههم وصدهم عن قصدهم وسلك غير نهجهم فإنما هو جان على الانسانية وعامل لقتل نفس البشرية فلا تغفر زلته ولا تقال عثرته .

فما يقول الرأي العام في هذه السياسة ومقدار نفعها في هذه الأمة وكم احيت انفسا وحقنت دمـا والفت شعوبا . ثم تتابعت وفود العرب على رسول الله (ص) مذعنة مطيعة . ومنهم .

وفد نجران

قدم على رسول الله (ص) منهم ستون راكبا وقيل ثلاثون عليهم الحبر واردية الحرير والديباج مختمين بخواتيم الذهب وفيهم السيد والعاقب وعبد المسيح وهم ملوك نجران وابو حارثة وهو اسقفهم وعلامتهم وعن رأيه يصدرون .

فدعاهم (ص) الى الاسلام فابوا وسألوه عن المسيح وقوله فيه فقال عبد مخلوق لله وكلمته القاها الى مريم فقالوا هل تعرف له أبا فقال انه جاء من غير أب فقالوا كيف قلت انه عبد مخلوق ولم نر مخلوقا جاء من غير فحل .

وكانت محاجتهم لرسول الله (ص) في المسيح (ع) فانزل الله سبحانه قوله (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين . فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فتلاها (ص) عليهم ودعاهم الى المباهلة واخبرهم عن الله سبحانه انها القول الفصل بينهم وإن الله منزل العذاب بالمبطل فاستمهلوه الى الغد .

ثم ائتمروا بينهم فقال اسقفهم وهو ابو حارثة ان جاءكم غدا باصحابه فباهلوه فإنما جاء مباهيا وان جاءكم بخاصته من ولده واهل بيته فلا تباهلوه فإنه واثق من نفسه .

فلما كان الغد اقبل النبي (ص) آخذا بيده علي (ع) والحسن والحسين (ع) بين يديه وفاطمة (ع) خلفه فلما رأوهم قال لهم الاسقف اني لأرى وجوها لو سألوا الله ان يزيل لهم جبلا لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا

ولا يبقى على وجه الارض نصراني فقالوا لا نباهلك كذا في السيرة[١] وصالحهم رسول الله (ص) على الفي حلة في كل سنة .

وروى مسلم في صحيحه[٢] باسناده عن سعد بن ابي وقاص قال امر معاوية بن ابي سفيان سعدا فقال ما منعك ان تسب ابا تراب فقال اما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله(ص) فان اسبه لأن تكون لي واحدة منهن احب الي من حمر النعم .

سمعت رسول الله(ص) يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه فقال له علي يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال له رسول الله (ص) اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسي الا انه لانبوة بعدي .

وسمعته يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتطاولنا لها فقال ادعو الي عليا فاتي به ارمد فبصق في عينيه ودفع الراية اليه ففتح الله عليه .

ولما نزلت هذه الآية (قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم) دعا رسول الله(ص) عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء اهلي انتهى .

وروى ذلك كافة المفسرين ولا حاجة بنا الى تعداد طرق الرواية فإن حديث المباهلة مما اشتهر عند اهل القبلة فلا يرتاب فيه احد من المسلمين وانما القصد الاشارة الى ما اشتمل عليه من الفضل وتضمنه من الكرامة

وقد دلت الآية بصريح الدلالة على ان المراد بقوله وانفسنا نفسه ونفس علي لأنه دعي للمباهلة ضرورة ولم يدخل في الأبناء والنساء فتعين دخوله في الانفس بحكم الضرورة وجعلت النفسان نفسا واحدة لتقاربهما في الصفات وتشابههما في الاخلاق واتحادهما في المزايا .

(١) صفحة ٢١٢ جزء ٣ (٢) صفحة ٣٢٤ جزء ٢

فمن نظر بعين الانصاف وجانب طريق العناد تجلت له هذه الاكرومة الزاهرة والفضيلة الباهرة والغاية البعيدة التي لا يلحقها لاحق ولا يطمع في ادراكها طامع .

بربك ارشدني الى مدحة تؤدي حق هذا الرجل الذي نزله الله سبحانه منزلة نفس سيد النبيين وافضل الخلائق اجمعين واي عبارة تليق به من الإطراء وتعرب عما تضمنته هذه المنزلة من الفضل والثناء .

وان من اعجب الاعاجيب ان يمر اهل الفطنة والذكاء ومن يدعون المحبة له والولاء بهذه الآية الكريمة ولا تدهش البابهم ولا تطير نفوسهم ولا يميلون طربا ولا يترنحون عجبا .

هذه هي الأكرومة التي تنعش قلوب المؤمنين وتركع امامها نفوس الصديقين وتعيها آذان الحكماء وترمقها ابصار الأولياء وانها لمنتهى منازل الفضل وقصارى غاياته .

فما بالكم يا معاشر المسلمين وما الذي دهاكم تؤمنون بالله وتصدقون برسول الله (ص) وتهتدون بهديه ثم ترغبون عن نفسه وهي اكرم الأنفس واعزها على الله :

ماهكذا تورد يا سعد الإبل اوردها سعد وسعد مشتمل

ايكون هذا الأسقف النصراني اعرف منكم بأولياء الله واهل محبته كيف قال حين رآهم اني لأرى وجوها لو سألوا الله ان يزيل لهم جبلا لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا .

منابت العشب لا تخفى على الراعي .

وما الذي نقموه من هذا الإمام وقد تليت عليكم سيرته وسياسته ونشأته ومواقفه وبيعه نفسه لله في سبيل احياء الدين والدولة فإنا لله وإنا

اليه راجعون .

وايم الله لا يكاد ينقضي عجبي واستغرابي حين اراكم تسمعون هذه الآية التي جعلت نفس علي ونفس رسول الله(ص) واحدة فلا تحفلون بها ولا ترتاحون لها .

ثم تسمعون قوله سبحانه (اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا) فتصغون اليها الاسماع وتفرغون القلوب وترنحون الاعطاف ولعمري ان ابا بكر (رض) جدير بكل تبجيل واعظام ولكن لا مزية له في هذه الآية ولافخر فاذا فخرتم فافخروا له بما امتاز به عن غيره وعلا فيه على من سواه والا فعملكم هذا عدول عن الانصاف وميل الى الانحراف .

اتقدمون صاحب الرجل على نفسه اليس هذا عين المكابرة والعناد فلو كان لفظ الصاحب مختصا بابي بكر لا يصدق على غيره ولا يتجاوزه الى سواه لما كان لكم ان تساووا بينه وبين من نزل منزلة نفسه(ص) .

فكيف وهذا الاسم يطلق حقيقة على كل من رأى رسول الله (ص) وسمع حديثه وقد بلغ عدد الصحابة ما يزيد على مائة الف انسان[1] فأي فخر فيه بعد هذا .

نعم الفخر الظاهر والفضل الباهر لمن اختصه الله سبحانه وزوجته وابنيه للمباهلة من بين كافة اصحاب رسول الله(ص) وذوي رحمه وجعله نفس نبيه وهي اعز الانفس واكرمها فهل بلغكم ان احدا نال هذه المنزلة وقيل له ان نفسه نفس رسول الله(ص) غير علي امير المؤمنين(ع) فمن شاء ان يفخر فليفخر

(١) ففي الاصابة صفحة ١ جزء ١ عن علي بن ابي خزعة الرازي قال توفي النبي (ص) رآه وسمع منه زيادة على مائة الف انسان انتهى .

بمثل هذا .

وانكم لتكلفوننا في تفضيل علي(ع) على كافة الصحابة بتوضيح الواضحات واقامة الدليل على البديهيات .

بربك لو ان احد ملوك زمانك ممن وجبت طاعته في عنقك وعقدت محبته في قلبك قال لرجل من جنده المختصين به انت صاحبي .

ثم قال لكافة جنده والمختصين به كلكم اصحابي .

ثم قال لرجل آخر منهم انت نفسي ولم يقلها لغيره كيف تجدك مع الرجل الاول الذي سماه الملك صاحبا .

اترى له بهذا الوصف فضلا على غيره من الجند كلا وكيف تجدك مع الرجل الآخر الذي جعله الملك نفسه .

الا تراه بهذا الوصف خير الجند وافضلهم واحبهم الى الملك اجل فلو ان رجلا من اتباع ذلك الملك ومحبيه اقبل على الرجل الاول بوجهه وادعى له الفضل على كافة الجند والأتباع وانه احبهم الى الملك واحقهم بمقامه .

محتجا له بهذا الوصف الذي وصفه الملك به وهو الصاحب واعرض عن الرجل الآخر ولم ير له بوصفه كثير فضل ولا كبير فخر ورأى ان الفضل الكثير والفخر العظيم للرجل الاول الذي سماه الملك صاحبا .

ولو قام رجل آخر من اتباع ذلك الملك ومحبيه فعارض هذا الرجل في دعواه ونقض عليه كل مدعاه فاقبل على الرجل الآخر بوجهه وفضله على كافة الجند والاتباع وادعى انه احبهم الى الملك وأحقهم بمقامه محتجا له بوصفه الذي وصفه الملك به وهو انه نفسه .

ولم ير للرجل الاول بوصفه كثير فضل ولا كبير فخر .

بدعوى ان لفظ الصاحب يوصف به اكثر من مائة الف انسان فلا فضل فيه لواحد على الآخر فما يقال لهذين الخصمين ومن السالك منهما جادة الصواب .

والحكم في ذلك الى الرأي العام . هذا مثل الشيعة والسنة من المسلمين والله الذي لا إله غيره لو لم يكن لعلي وزوجته وابنيه سوى هذا الموقف الذي انتخبوا فيه للمباهلة من بين كافة الخلق وانتجبوا دون البرية لكفاهم فضلا على كافة الأمة وستتلو عليك من فضلهم إن شاء الله ما به شفاء ومقنع .

وقد تكررت هذه المدحة من رسول الله (ص) لعلي بانه نفسه .

روى الطبري (١) باسناده عن السدي قال لما نزلت هذه الآيات الى راس الاربعين يعني من سورة براءة بعث بهن رسول الله (ص) مع ابي بكر وامره على الحج فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة اتبعه بعلي فاخذها منه .

فرجع ابو بكر الى النبي (ص) فقال يارسول الله بابي انت وامي انزل في شأني شيء قال لا ولكن لا يبلغ عني غيري او رجل مني انتهى .

وهذه الكلمة منه (ص) من جوامع الكلم فتدبرها وعما تر معناها ان هذه الآيات المنزلة من الله سبحانه على رسوله تهديد للمشركين وزجر لهم لا يليق بتبليغها ولا يقوم بحملها الا رسوله الذي اصطفاه لتبليغ رسالته واختاره لهذه الوظيفة من بين كافة بريته وبذلك ساد الخلق وفضل عليهم فإذا منع مانع من تبليغها بنفسه فعليه ان يختار

(١) صفحة ١٥٤ جزء ٣٠

لتبليغها عنه خير اصحابه وافضلهم عند الله واكرمهم عليه فإن من كان بهذه الصفة هو الذي يمثل شخص النبي ويقوم مقامه ويكون بمنزلة نفسه الشريفة ودل هذا القول منه (ص) على ان كون علي من رسول الله (ص) ونفسه نفسه امر محقق ثابت لا ريب فيه عند ابي بكر ولهذا لم يحتج (ص) لذكره وذلك ظاهر عند العارف بطريق الاستدلال وترتيب الاشكال وقد عمد بعض النواصب الى الحط من هذه الكرامة فزعم انه (ص) انما اراد بأنه نفسه ومنه هو القرب في النسب دون الفضيلة مدعيا ان من عادة العرب اذا اراد احدهم ان ينبذ عهدا نبذه بنفسه او ارسل به اقرب الناس اليه وهذه الدعوى ظاهرة الفساد اذ لو كان الامر كما ذكر لما خفي عليه (ص) فانه سيد العرب ولم يخف على ابي بكر فقد كان عالما بانساب العرب وايامها وهب خفي عليهما يخفى ذلك على كافة الصحابة وليت شعري من الذي نبهه (ص) على ذلك حتى ارسل عليا خلف ابي بكر واخذ الآيات منه وكان عليه ان يرسل العباس فإنه اليق لهذا الامر لسنه وقرابته القريبة اذ العم اقرب من ابن العم ولماذا اضطرب ابوبكر ورجع وخشي ان يكون نزل فيه شيء اذا كان هذا التبليغ لا فخر فيه ولا فضل الا وانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

وروى الإمام احمد في مسنده في صفحة ٢٢٥ عن ابي هريرة قال كان رسول الله (ص) بعث بعثين وبعث على احدهما عليا وعلى الآخر خالد بن الوليد وقال اذا التقيتم فعلي على الناس إمام واذا افترقتم فكل على جنده فلقينا بني زبيد فاقتتلنا وظفرنا عليهم وسبيناهم .

فاصطفى علي من السبي واحدة لنفسه فبعثني خالد الى النبي (ص)

حتى اخبره ذلك فلما اخبرته قلت يارسول الله (ص) بلغت ما ارسلت به فقال لا تقعوا في علي فإنه مني وانا منه كذا في الينابيع .

وروى الطبرى [1] باسناده عن ابي رافع قال لما قتل علي اصحاب الالوية (اي يوم احد) ابصر رسول الله (ص) جماعة من مشركي قريش فقال لعلي احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جمعهم وقتل عمر بن عبد الله الجمحي قال ثم ابصر رسول الله (ص) جماعة من مشركي قريش فقال لعلي احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جماعتهم وقتل شيبة بن مالك احد بني عامر بن لوي .

فقال جبريل يارسول الله (ص) ان هذه المواساة فقال رسول الله (ص) انه مني وانا منه فقال جبرائيل وانا منكما انتهى وروى البخاري [2] قال اختصم علي وحمزة وزيد بن حارثة الى رسول الله (ص) في ابنة حمزه فقضى بها رسول الله (ص) لجعفر لمكان خالتها .

وقال لعلي انت مني وانا منك وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلقي وقال لزيد انت اخونا ومولانا انتهى .

والاخبار في ذلك متواترة وفي هذه اللمحة منها كفاية واذا تجلى لك ايها الاخ المسلم مما ذكرناه ان نفس علي هي نفس رسول الله (ص) لم تطب نفسك ولم يجر أجنانك على ان تقدم احدا او تفضله على نفس رسول الله (ص) وتعجبت عجبي واستغربت استغرابي كيف عدل المسلمون عن نفس رسول الله (ص) ونحوها عن مقامه وقد اهله الله له .

(١) صفحه ١٦ جزء ٣

(٢) صفحة ٣٩ جزء ٣

حجة الوداع

كانت في السنة العاشرة من الهجرة وفيها آذن رسول الله (ص) بالناس اذنا عاما وجمعت من المسلمين ما يزيد على مائة الف[1] انسان .

وكان فيها لأمير المؤمنين علي(ع) من الشرف الظاهر والفخر الباهر والمنزلة العالية والاختصاص برسول الله(ص) والمماثلة له مالم تكن لاحد من اصحابه .

اشبهه في حجة واشركه في هدية دون كافة اصحابه واقربائه ونسائه اعلاءً لقدره واعلانا لشأنه .

وتوطئة وتمهيدا لما يريد ان يفعله يوم الغدير من نصبه علما لأمته ومفزعا لهم من بعده .

وهذه سنة الأنبياء وسيرة الملوك في من يخلفونه إماما من بعدهم ووليا لعهدهم فينبهون على تقدمه على من سواه وامتيازه عن من عداه لئلا يطمع احد في منازعته او يأنف من متابعته او يتخلف عن مبايعته .

وإنما يفعلون ذلك اداء لما يجب عليهم من النصح لأمتهم والقيام برعايتها والحرص على جمع كلمتها وبقاء عزها ودوام سلطانها وبذلك يأمنون من شغب الطامعين وكيد الحاسدين .

فإن بهما يكون هلاك الدولة وبوار السلطان والوجدان اقوى برهان ولما رأى رسول الله(ص) ان عليا هو اقدر عامل واقوى مساعد قام معاضدا له على بناء هذه الدولة وانشائها وان ليس ثمة احد من اصحابه يقوى على لم شعثها بعده ويقوم بتشييد اركانها وحفظ قانونها وصد هجمات العدو عنها سواه .

---

(١) ذكر ذلك صاحب الاصابة وغيره .

بعد ان بلاه واختبره من لدن كان غلاما فكان يراه في كل احواله مبرزا وعلى اصحابه في كل افعاله متقدما .

فرأى (ص) لطفا بامته وحرصا عليها كما وصفه سبحانه[1] ان يدل الناس على علي (ع) ويحثهم على اتباعه والانقياد له ويشير لهم اليه بتقديمه على كافة اصحابه وخاصة اهل بيته بالقول والفعل .

فاختاره تارة أخاله من بين كافة اصحابه وسائر اهل بيته واثنى عليه تارة اخرى بقوله هو مني وانا منه وانه احب الخلق الى الله ورسوله وانه منه بمنزلة هارون من موسى وانه خليفته ووزيره وانه لا يؤدي عن الله الا هو او علي وان نفسه نفس رسول الله (ص) وامثال ذلك كثير .

ولما كان هذا القول والفعل حجة ومقنعا لمن لازمه وجاوره من اصحابه دون من نأت داره من المسلمين فإنهم لم يكونوا يعلمون من فضل امير المؤمنين ما يعلمه أولئك .

فأذن ذلك الإذن العام في حجة الوداع ليعلّم الناس مناسكهم ويعرفهم إمامهم وقد جمعت هذه الحجة من الناس بشرا كثيرا يزيدون على مائة الف انسان .

وقد انفرد هو (ص) بحجته تلك وامتاز عن الناس كافة فإنه (ص) لما احرم من ذي الحليفة اشعر هديه وقلده ولم يأمر احدا من اصحابه ونسائه واهل بيته ان يعمل مثل عمله حتى وصل مكة فأمر الناس ان يحلوا من احرامهم ويجعلوها عمرة .

وبقي هو على احرامه لمكان الهدي الذي اشعره وقلده وكان علي (ع) في اليمن ارسله رسول الله (ص) ليقبض الجزية من نصارى نجران

(١) لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم

ويوافيه بمكة .

ولما قدم علي (ع) مكة سأله رسول الله (ص) عن اهلاله فقال (ع) قلت اللهم اهلالا كإهلال نبيك فقال له امض على احرامك واشركه في في هديه ليماثله في حجه .

وقد كان كثير من الناس ممن ضمهم ذلك الموسم لا يعرفون عليا بشخصه ولا يعلمون كثيرا من فضله .

ففعل ذلك (ص) ليدل الناس عليه ويشير لهم اليه وفي ذلك مالا يخفى من جلالة القدر وقرب المنزلة وعلو المقام .

مع ما فيه من إلفات الأنظار والالجاء الى السؤال عن هذا الرجل الذي اشبه رسول الله (ص) في حجه وشاركه في هديه دون كافة اصحابه واهل بيته .

وهذا ابلغ شيء في بيان فضله واجلى نص على جلالة قدره وتقدمه على غيره فلا يكاد يبقى احد حينئذ من اهل ذلك الموسم الا ويسأل عنه ويعرف فضله ويعظم في نفسه ويصغر عنده كل ما سواه .

حتى اذا اقامه (ص) بعد ذلك في مقام الإمامة ونص عليه بالخلافة تلقته النفوس بالرضى واذعنت له بالقبول .

هكذا يفعل الحكماء وهو سيدهم هذه خلاصة الواقعة ومجملها والسر الذي دعاه (ص) لسوق الهدي كي ينفرد بحجه .

وبوقوفك على جملة من اخبار حجة الوداع تعرف حقيقة ما ذكرنا وها انا اذكرها على تشويشها وتناقض اخبارها وتعارض رواياتها فترى الصحابي الواحد يروى عنه الحكم ونقيضه والكيفية وضدها .

وما رأيت واقعة لرسول الله (ص) تعارضت فيها الاخبار كهذه

واليك نبذة من اخبارها المتعارضة. روى مسلم في صحيحه[١] عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله(ص)عام حجة الوداع فاهللنا بالعمرة ثم قال رسول الله(ص) من كان معه الهدي فليهل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا انتهى .

وروى[٢] عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله(ص)عام حجة الوداع فمنا من اهل بعمرة ومنا من اهل بحج حتى قدمنا مكة فقال رسول الله (ص) من احرم بعمرة ولم يهد فليحلل ومن احرم بعمرة واهدى فلايحل حتى ينحر هديه ومن اهل بحج فليتم حجه انتهى .

وروى[٣] عن عائشة قالت خرجنا مع النبي ولانرى الا الحج حتى اذا كنا بسرف[٤] حضت الخ انتهى .

وروى[٥] عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله(ص) فقال من اراد منكم ان يهل بحج وعمرة فليفعل ومن اراد ان يهل بحج فليهلل ومن اراد ان يهل بعمرة فليهل قالت عائشة فأهل رسول الله (ص)بحج وأهل ناس بالعمرة والحج وأهل ناس بعمرة وكنت فيمن أهل بالعمرة انتهى .

وروى[٦]عن عائشة(رض) قالت لبينا بالحج حتى اذا كنا بسرف حضت فدخل علي رسول الله(ص) الخ انتهى .

وروى[٧] عن عائشة(رض) ان رسول الله(ص) افرد الحج انتهى .

وروى[٨] عن عروة عن عائشة زوج النبي(ص) اخبرته عن رسول الله(ص) في تمتعه بالحج الى العمرة وتمتع الناس معه انتهى .

---

(١) صفحة ٤٥٩ جزء ١ (٢) صفحة ٤٥٩ جزء ١ (٣) صفحة ٤٦١ جزء ١
(٤) مكان دون مكة باربعة اميال (٥) صفحة ٤٦٠ جزء ١ (٦) صفحة ٤٦٢ جزء ١ (٧) صفحة ٤٦٢ جزء ١ (٨) صفحة ٤٧٥ جزء ١

وروى[١] عن عائشة (رض) قالت خرجنا مع رسول الله(ص) في حجة الوداع موافين لهلال ذي الحجة قالت فقال رسول الله(ص) من اراد منكم ان يهل بعمرة فليهلل فاولا اني اهديت لا هللت بعمرة قالت فكان من القوم من اهل بعمرة ومنهم من أهل بالحج الخ انتهى .

وروى[٢] عن عائشة(رض) قالت خرجنا مع رسول الله (ص) نلبي لا نذكر حجا ولا عمرة انتهى .

وروى[٣] عن عائشة(رض) قالت خرجنا مع رسول الله(ص) ولا نرى الا انه الحج فلما قدمنا مكة تطوفنا بالبيت فأمر رسول الله(ص) من لم يكن ساق الهدي ان يحل قالت فحل من لم يكن ساق الهدي ونساؤه لم يسقن الهدي فاحللن الخ انتهى .

وروى البخاري، نظير ذلك ومن راجع اخبار حجة الوداع يرى العجب العجاب وسيرد عليك من الأخبار المتناقضة اكثر .

وفي استقصائها يطول الكلام ونخرج بذلك عن موضوع الكتاب وما نشأ هذا الاضطراب والاختلاف الا من كثرة التحريف وزيادة الكذب والوضع .

ولا ارى امرا يدعو لذلك غير اخفاء فضل علي(ع) وستر هذه الكرامة التي خصه الله ورسوله بها وميزه فيها عن كافة الأهل والأصحاب والا فقد كان العمل الذي عمله(ص) عند اهلاله واهلال الناس معه برأى من كل احد غير مستور ولا متكتم فيه .

وبعيد جدا ان يفعل رجل عظيم القدر فعلا ذا شان برأى اناس كثير ويقع الاختلاف في نقله لغير غرض فإن السهو والغفلة والنسيان قلما تعرض

(١) صفحة ٤٦٠ جزء ١ (٢) صفحة ٤٦٤ جزء ١ (٣) صفحة ٤٦٣ جزء ١

للأمور المحسوسة بالمشاهدة والعيان .

والأخبار في هذا الباب انواع . نوع دل على ان عموم الناس حلوا من احرامهم اذ لم يسوقوا الهدي غير رسول الله (ص) ونوع دل على ان في الناس من ساق الهدي غير رسول الله (ص) وبقي على احرامه لكن لم يبين فيها اسماء السائقين . ونوع بين فيها اسماء السائقين .

أما الأخبار الدالة على ان عموم الناس احلوا من احرامهم غير رسول الله (ص) وانه لم يكن الهدي مع احد غيره فهي كثيرة جدا نقتصر على ذكر مقدار الحاجة منها من طريق البخاري ومسلم .

روى البخاري[١] باسناده عن انس قال صلى رسول الله (ص) ونحن معه بالمدينة الظهر اربعا والعصر بذي الحليفة[٢] ركعتين ثم بات بها حتى اصبح ثم ركب حتى استوت به على البيداء (اى راحلته) حمد الله وسبح وكبر ثم أهل بحج وعمرة واهـل الناس بهما فلما قدمنا امر الناس فحلوا حتى كان يوم التروية أهلوا بالحج انتهى .

وهو كما ترى صريح بأن عموم الناس حلوا . وروى[٣] ايضا باسناده عن ابن عباس قال كانوا يرون ان العمرة في اشهر الحج من افجر الفجور في الارض ويجعلون المحرم صفر ويقولون اذا برأ الدبر وعفا الأثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر . قدم النبي (ص) صبيحة رابعة (اي من ذي الحجة) مهلين بالحج فامرهم ان يجعلوها عمرة فتعاظم ذلك عندهم فقالوا يا رسول الله (ص) اي الحل فقال حل كله[٤] انتهى .

وهذا الخبر يلوح عليه نور الحقيقة وضياء الصدق وهو كما ترى

(١) صفحة ١٨٧ جزء ١ (٢) تبعد عن المدينة ثلاثة اميال وهي ميقات اهل المدينة
(٣) صفحة ١٩٠ جزء ١ (٤) اي احل لكم كل شيء حرم .

صريح بأن الأمر لعامة الصحابة وفيه معارضة لرواية أنس انهم اهلوا بحج وعمرة وروى [١] ايضا باسناده عن جابر قال قدمنا مع رسول الله (ص) ونحن نقول لبيك بالحج فامرنا رسول الله (ص) فجعلناها عمرة اه .

وهذا ايضا صريح بأنه امر لعامة الناس وفيه منافاة لقول أنس .

وروى [٢] ايضا باسناده عن حفصة زوج النبي (ص) انها قالت يارسول الله (ص) مابال الناس حلوا بعمرة ولم تحل انت من عمرتك فقال اني لبدت رأسي وقلدت هديي فلا احل حتى انحر انتهى .

وهو صريح في ان عموم الناس حلوا وانه (ص) وحده بقي على احرامه ولو كان الناس صنفين محلا ومحرما لما كان لهذا السؤال معنى بل كان يقال فيه ما بال الناس صنفين وذلك ظاهر .

ويعارض هذا الخبر بقوله من عمرتك خبر جابر وأنس وابن عباس وروى [٣] ايضا باسناده عن جابر قال امر النبي (ص) اصحابه ان يجعلوها عمرة ويطوفوا ثم يقصروا ويحلوا انتهى . وهو كسابقه ظاهر في العموم وروى [٤] عن جابر بسند آخر انه حج مع النبي (ص) يوم ساق البدن معه وقد اهلوا بالحج منفردا فقال لهم احلوا من احرامكم بطواف البيت وبين الصفا والمروة وقصروا ثم اقيموا حلالا حتى اذا كان يوم التروية فاهلوا بالحج واجعلوا التي قدمتم بها متعة فقالوا كيف نجعلها متعة وقد سمينا الحج فقال افعلوا ما أمركم به فلولا اني سقت الهدي لفعلت مثل الذي امرتكم ولكن لا يحل مني حرام حتى يبلغ الهدي محله ففعلوا انتهى .

وهو ايضا كما ترى صريح فيما ذكرنا ولو كان احد ساق الهدي لذكره

---

(١) صفحة ١٩٠ جزء ١ (٢) صفحة ١٩٠ جزء ١

(٣) صفحة ٢١٤ جزء ١ (٤) صفحة ١٩٠ جزء ١

وروى[١] ايضا باسناده عن بكر انه ذكر لابن عمر ان انسا حدثهم ان رسول الله (ص) اهل بعمرة وحجة فقال اهل النبي (ص) بالحج واهللنا به معه فلما قدمنا مكة قال من لم يكن معه هدي فليجعلها عمرة وكان مع النبي (ص) هدي فقدم علينا علي من اليمن حاجا فقال النبي (ص) بم اهللت فإن معنا اهلك قال اهللت بما اهل به النبي (ص) قال فامسك فإن معنا هديا انتهى . وهو كما ترى صريح في انه لم يكن مع احد هدي غير النبي . وروى[٢] مسلم عن عائشة انها قالت قدم رسول الله (ص) لاربع مضين من ذى الحجة او خمس فدخل علي وهو غضبان فقلت من اغضبك يا رسول الله (ص) ادخله الله النار قال اوما شعرت اني امرت الناس بأمر فإذا هم يترددون ولواني استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي حتى اشتريه ثم احل كما حلوا انتهى . وهو صريح ايضا بأن امره كان لعموم الناس وانهم حلوا كلهم .

وافاد هذا الخبر فائدة جليلة وهي ان الناس كانوا من عادتهم اذا حجوا لا يسوقون الهدي معهم وانما يشترونه من مكة .

وبهذا يرتفع الاستبعاد والتعجب من ان اصحاب رسول الله (ص) كيف لم يسوقوا الهدي وكيف لم يأمرهم (ص) بسوقه معهم لما هو معروف عندهم واما رسول الله (ص) فإنما ساقه معهم ليختص من بينهم ويمتاز بحجه عن سائر الناس كما اختص باشياء كثيرة كصوم الوصال وخلافه وخصائصه (ص) مذكورة في بابها .

وروى[٣] البخاري ايضا باسناده عن ابن عباس (رض) قال انطلق النبي (ص) من المدينة بعد ما ترجل وادهن ولبس ازاره ورداءه هو

(١) صفحة ٥٠ جزء ٣ (٢) صفحة ٤٦٤ ج ١ (٣) صفحة ١٨٢ ج ١

واصحابه فلم ينه عن شيء من الاردية والازر تلبس الا المزعفرة التي تدرع على الجلد فاصبح بذي الحليفة. ركب راحلته حتى استوى على البيداء. اهل هو واصحابه وقلد بدنته وذلك لخمس بقين من ذي القعدة فقدم مكة لاربع ليال خلون من ذي الحجة فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ولم يحل من اجل بدنه لانه قلدها ثم نزل باعلى مكة عند الحجون وهو مهل بالحج ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة وامر اصحابه ان يطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة ثم يقصروا من رؤوسهم ثم يحلوا وذلك لمن لم يكن معه بدنة قلدها ومن كانت معه امرأته فهي له حلال والطيب والثياب انتهى .

وهذا الحديث لمن تأمله نص في ان النبي (ص) كان منفردا يسوق الهدي وتقليد البدنة حيث ان الحديث بين فيه ما وقع منه ومن اصحابه من خروجهم ولبسهم واهلالهم ولو كان ثمة من فعل كفعله في سوق الهدي وتقليده لذكر في الحديث ولكان الفاعل له كثيرا من اصحابه فلا يحسن ترك ذكره في الحديث واما قوله وذلك لمن لم يكن معه بدنة قلدها فانما هو لبيان الحكم والسبب الذى دعا رسول الله (ص) لأمره اصحابه بأن يحلوا. ولو كان لغير ذلك لقال واما من ساق الهدي وقلده فبقي على احرامه مع النبي (ص) وهذا واضح لدى العارف بأساليب الكلام .

وروى [1] مسلم ايضا باسناده عن ابن عباس قال قدم رسول الله (ص) واصحابه لأربع خلون من العشر وهم يلبون فامرهم ان يجعلوها عمرة .

وهذا ايضا صريح في العموم . وروى [2] ايضا باسناده عن ابن عباس قال صلى رسول الله (ص) الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته فاشعرها في

(١) صفحة ٤٨٠ (٢) صفحة ٤٨١ ج ١

صفحة سنامها الأيمن وسلت الدم وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء أهل بالحج .

وفيه ظهور بأن الذي فعل الاشعار والتقليد هو رسول الله (ص) لا غيره اذ لو فعل ذلك غيره لذكر . اذ المقام مقتض لذكره وفي الاقتصار على هذا المقدار من الأخبار العامة كفاية .

واما الأخبار الواردة في ان عليا كان مماثلا لرسول الله(ص) في حجه وشريكه في هديه فكثيرة رواها العدو والولي وتناقلها ارباب السير والتاريخ ولم يختلف فيها اثنان وستتلو عليك شيئاً منها من طريق البخاري ومسلم بعد ذكر قول بعض المؤرخين .

ولا حاجة للاستقصاء لوضوح المقام وخشية الملل . ذكر الطبري في التاريخ[1] الكبير قال بعث رسول الله (ص) علي بن ابي طالب الى نجران فلقيه بمكة وقد احرم الى ان قال ثم أتى رسول الله (ص) فلما فرغ من الخبر عن سفره قال له رسول الله(ص) انطلق فطف بالبيت وحل كما حل اصحابك قال يا رسول الله (ص) اني قلت حين احرمت اللهم اني اهللت بما اهل به عبدك ورسولك قال فهل معك من هدي قال قلت لا قال فاشركه رسول الله(ص) في هديه وثبت علي على احرامه مع رسول الله(ص) حتى فرغا من الحج ونحر رسول الله(ص) الهدي عنهما اه .

ولم ينقل ذلك لأحد غير علي (ع) .

وذكر[2] ابن الأثير في الكامل قال وكان علي بن ابي طالب قدلقي رسول الله(ص) محرما فقال له النبي(ص) حل كما حل اصحابك فقال اني اهللت بما اهل به رسول الله(ص) فبقي على احرامه ونحر رسول الله(ص)

(١) صفحة ١٦٨ جزء ٣ (٢) صفحة ١٦٤ جزء ٢

الهدي عنه وعن علي (ع) انتهى .

وذكر[١] ابو الفداء في تاريخه قال وحج رسول الله (ص) بالناس وبقي علي بن ابي طالب محرما فقال حل كما حل اصحابك فقال اني اهللت بما اهل به رسول الله (ص) فبقي على احرامه ونحر رسول الله (ص) الهدي عنه انتهى .

وروى البخاري[٢] باسناده عن عطاء عن جابر وعن طاوس عن ابن عباس قال قدم النبي (ص) صبح رابعة مهلين بالحج لا يخالطهم شيء فلما قدمنا امرنا فجعلناها عمرة وان نحل الى نسائنا ففشت في ذلك القاله الى ان قال فبلغ ذلك النبي (ص) فقام خطيبا فقال بلغني ان اقواما يقولون كذا وكذا والله لأنا ابر واتقى لله منهم ولو اني استقبلت من امري ما استدبرت ما اهديت ولولا ان معي الهدي لحللت فقام سراقة بن مالك ابن جشعم فقال يا رسول الله (ص) هي لنا او للابد فقال لا بل للابد قال وجاء علي بن ابي طالب فقال احدهما (اي جابر او ابن عباس) يقول لبيك بما اهل به رسول الله (ص) وقال الآخر لبيك بحجة رسول الله (ص) فامر النبي (ص) ان يقيم على احرامه واشركه في الهدي انتهى .

وروى البخاري[٣] ايضا باسناده عن بكر انه ذكر لابن عمر ان انسا حدثهم ان رسول الله (ص) اهل بعمرة وحجة فقال (اي ابن عمر) اهل النبي (ص) بالحج واهللنا به معه فلما قدمنا مكة قال من لم يكن معه الهدي فليجعلها عمرة وكان مع النبي (ص) هدي فقدم علينا علي بن ابي طالب من اليمن حاجا فقال النبي (ص) بم اهللت فإن معنا اهلك قال اهللت بما اهل به النبي (ص) قال فامسك فإن معنا هديا انتهى .

(١) صفحة ١٥٠ ج ١ (٢) صفحة ٥٢ ج ٢ (٣) صفحة ٥١ ج ٣

وهذا هو روح الحق وعين الصواب ولباب الحقيقة .

وروى مسلم في صحيحه[1] باسناده عن جعفر بن محمد عن ابيه في حديث طويل نذكر منه موضع الحاجة قال دخلنا على جابر بن عبد الله فسأل عن القوم حتى انتهى إليّ فقلت انا محمد بن علي بن الحسين فاهوى بيده الى رأسي فنزع زري الأعلى ثم نزع زري الاسفل ثم وضع كفه بين ثديي وانا يومئذ غلام شاب فقال مرحبا بك يا ابن اخي سل عما شئت فسألته وهو اعمى فقات اخبرني عن حجة رسول الله (ص) فقال فعقد بيده تسعا فقال ان رسول الله (ص) مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن في الناس في العاشره ان رسول الله (ص) حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس ان يأتم برسول الله (ص) ويعمل مثل عمله فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة الى قوله فصلى رسول الله (ص) في المسجد ثم ركب القصواء حتى اذا استوت به ناقته على البيداء نظرت الى مدى بصري بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله (ص) بين اظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعلم تأويله وما عمل به من شيء عملنا به .

الى ان قال حتى اذا كان آخر طوافه على المروة قال لو اني استقبلت من امري ما استدبرت لم اسق الهدي وجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدي فليحلل وليجعلها عمرة .

الى ان قال وقدم علي من اليمن ببدن النبي (ص) .

الى ان قال فقال له ماذا قلت حين فرضت الحج قال قلت اللهم اني اهل بما اهل به رسولك قال فإن معي الهدي فلا تحل قال وكان جماعة

(١) صفحة ٤٦٧ جزء ١

الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي أتى به النبي (ص) مائة .

الى ان قال ثم انصرف الى المنحر فنحر ثلاثا وستين بدنة ثم اعطى عليا فنحر ما غبر واشركه في هديه ثم امر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها انتهى .

اجل هذا هو الفخر الباهر هذا هو الشرف الشامخ هذه هي الغاية التي تنتهي اليها الآمال وترمقها الأبصار وتنحني امامها الرؤس وبمثل هذا المقام يعرف خليفة النبي في أمته ويتميز ولي عهد السلطان من بين رعيته يتحرى الواحد منهما فيمن يريد استخلافه على الأمة والرعية المواسم الجامعة والمحافل العامة فينوه باسمه ويقدمه على من عداه ويقرب مجلسه منه ويأمره بالتشبه به فيما امتاز به من هيئة او عمل او خلافه وهذا مقصد جليل وغرض عال وهو ابلغ في اظهار الفضل والدلالة على جلالة القدر من القول والخطاب والذي يزيدك دلالة على ان رسول الله (ص) لم يرد ان يحج احد كحجه غير امير المؤمنين اعظاما لشأنه وتمهيدا لنصبه علما لأمته في غدير خم منصرفه الى المدينة .

امره نساءه ان يحللن من احرامهن .

ولا تظن انه (ص) إنما امرهن بذلك حيث لم يسقن هديا كما قالت عائشة فيما رواه البخاري [1] عنها قالت فأمر النبي (ص) من لم يكن ساق الهدي ان يحل فحل من لم يكن ساق الهدي ونساؤه لم يسقن فاحللن اه .

وهذا وهم فإن الذي يهدي عن نساء النبي (ص) انما هو لا غيره وقد كان معه ثلاث وستون بدنة على اقل الروايات وكن نساؤه تسعا وانما يحتاج في السوق عنهن الى النية لا غير .

(١) صفحة ١٩٨ جزء ١

ومن الذي اهدى عنهن يوم النحر اليس هو (ص) كما قالت عائشة فيما رواه البخاري[1] قالت فدخل علينا بلحم بقر فقلت ما هذا قال نحر رسول الله(ص) عن ازواجه البقر انتهى .

فإذا كان هو القائم بامرهن والمتكفل بهديهن فلم ينو حين ساق البدن معه من ذي الحليفة ان يسوق عنهن ويفرد لهن تسع بدنات لو لم يكن قصده ما ذكرنا من تخصيص نفسه بحج مخصوص .

ويزيدك دلالة على ان غرضه(ص) رفع قدر امير المؤمنين وتقديمه على كافة اصحابه نحره ثلاثا وستين بدنة واعطاؤه عليا ما غبر وهو سبع وثلاثون بدنة وهذا اعظم هدي بعد هدي رسول الله(ص) ولو ان احدا من اهل ذلك الموسم نحر بمقدارها او زاد عليها لذكر له لأنه هدي ذو شأن فلا بد ان يذكر لمن عمل به .

ويزيدك دلالة ايضا على ذلك امره(ص) بالأخذ من كل بدنة بضعة وان تطبخ لهما فأكلا من لحمها وشربا من مرقها ولم يشركهما احد كما سمعت في رواية جابر المتقدمة وما باله(ص) لم يأمر بأخذ بضعة من هدي ابي بكر (رض) وبضعة من هدي عمر (رض) وهما صاحباه وبضعة من هدي عثمان (رض) وهو صهره وبضعة من هدي العباس (رض) وهو عمه وبضعة من هدي أسامة وهو مولاه وبمنزلة ولده وبضع من هدي باقي وجوه الصحابة ويطبخ ذلك لهم ويأكلون معه امام ذلك الجمع فتعرف الناس منزلتهم عنده لو لم يكن قصده تعريف الناس اقربهم منه منزلة واخصهم به واولاهم بمقامه .

ولا يخفى عليك انها حيث تكون الحفلات العامة والاندية الجامعة

(١) صفحة ٢٠٥ جزء ١٠

ويرأسها صاحب الدولة ومالك زمام السلطان والرعية تنزل الناس فيها منازلها وتترتب فيها ارباب الدولة ورجال السلطان والقواد والأمراء على قدر مراتبها ويكون قربهم من مجلس الملك على قدر قربهم من قلبه ونفعهم في سلطانه ويعطى فيها كل ذي حق حقه .

ويزيدك دلالة ايضا على ما ذكرنا مـا اتفق لأبي موسى الاشعري وقد كان رسول الله(ص) ارسله الى اليمن فقدم على النبي وهو بالابطح واهلّ كما اهل امير المؤمنين ومع ذلك امره(ص) ان يحل من احرامه .

روى مسلم في صحيحه[1] باسناده عن ابي موسى قال قدمت على رسول الله(ص) وهو منيخ بالبطحاء فقال بمـا اهللت قال قلت اهللت باهلال النبي(ص) قال هل سقت مـن هدي قلت لا قال فطف بالبيت وبالصفا والمروة ثم حـل فطفت بالبيت وبالصفا والمروة ثم أتيت إمرأة من قومي فمشطتني وغسلت رأسي فكنت افتي الناس بذلك في امارة ابي بكر وامارة عمر فاني لقائم بالموسم اذ جاءني رجل فقال انك لاتدري ما احدث امير المؤمنين (أي عمر) في شأن النسك فقلت ايها الناس من كنا افتيناه بشيء فليتئد فهذا أمير المؤمنين قادم عليكم فبـه فأتموا فلما قدم قلت يا أمير المؤمنين ما هذا الذي احدثت في شأن النسك قال ان تأخذ بكتاب الله فإن الله قال وأتموا الحج والعمرة لله وان نأخذ بسنـة نبينا فإن النبي (ص) لم يحل حتى نحر الهدي انتهى[2] .

---

(١) صفحة ٤٧٢ جزء ١ (٢) ولا تظن ان ذلك من عمر (رض) محض استبداد وانما هو نوع من الاجتهاد وان يكن ظاهر الفساد فالمجتهد يخطئ ويصيب ووجه الفساد انه لادلالة في الآية على ما كان احدثه من تحريم المتعة في الحج وهو عدم جواز الاحلال من العمرة بعد الطواف والسعي والتمتع بما شاء ثم

واورد البخاري هذا الحديث عن ابي موسى مضطربا مشوشا حيث جعل الواقعتين فيه وقعة واحدة . روى في صحيحه[1] باسناده عن ابي موسى قال بعثني النبي (ص) الى قوم باليمن فجئت وهو بالبطحاء فقال بما اهللت قلت اهللت كإهلال النبي (ص) قال هل معك من هدي قلت لا فامرني فطفت بالبيت وبالصفا والمروة ثم امرني فاحللت فأتيت امرأة من قومي فمشطتني أوغسلت رأسي فقدم عمر (رض) فقال ان نأخذ بكتاب الله فإنه يأمرنا بالتمام قال الله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله وان نأخذ بسنة النبي فإنه لم يحل حتى نحر الهدي انتهى .

وهذا الحديث بكلام المحمومين اشبه منه بكلام المحدثين فإن السامع

انشاء احرام آخر للحج وانما تدل الآية على وجوب اتمام العمرة وعدم افسادها ووجوب اتمام الحج وعدم افساده ومن جاء بكل واحد منهما على حدة في اشهر الحج فقد اتمها وكذلك لادلالة في فعل النبي (ص) على ما ذكر بعد قوله لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ولفعلت كفعلكم وامره اصحابه ان يحلوا وغضبه منهم حيث ترددوا وقوله هي للابد وتواتر الاخبار بذلك

وما ادري ما الذي دعا هذا الرجل الجليل القدر الى التصلب في هذا الامر وانكاره له والتوعد عليه بالعقاب بعد امر النبي (ص) اصحابه به وانكاره عليهم ترددهم والمعروف من سيرة عمر (رض) الاقتداء برسول الله (ص) والإستنان بسنته

وانظر الى ابي موسى حين اخبره الرجل كيف ذعر وملكه الخوف حتى تبره من فتواه ونهى الناس عن العمل بها وقد كان تلقفها من فم رسول الله (ص) وما ذلك الا لأن عمر كان شديد الوطأة خشن الملمس قوي الإرادة وانما يحسن هذا الخلق اذا كان في ذات الله وهو اعلم بما فعل وقد اشار جابر فيما رواه مسلم آنفا عن جعفر ابن محمد الى فساد هذا الاجتهاد بقوله ورسول الله (ص) بين اظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعلم تاويله فإن هذا الكلام تعريض به والا فلا ارى لذكره في الحديث كثير فائدة .

(١) صفحة ١٨٨ جزء ١

اذا انتهى الى قوله فقدم عمر الخ يقف باهتا حائرا لا يستطيع ان يفهم له معنى ويقول ابن كان عمر ولمن قال عمر هذا القول ان نأخذ بكتاب الله وان نأخذ بسنة النبي(ص) فيرتج عليه .

والحديث الصحيح الذي يتم به المعنى هو ما تقدم في رواية مسلم واني لأعجب للبخاري هذا المحدث الجليل عند كثير من المسلمين كيف يروي مثل هذا الحديث في صحيحه ان لم يكن عرف فساد معناه على وضوحه فهي مصيبة وان كان عرف فساده ورواه فالمصيبة اعظم .

وله امثال هذا في صحيحه كثير يعرفه من نظر اليه بعين التأمل والانتقاد وليس الغرض الاستقصاء عليه اذ رب حامل فقه وليس بفقيه رب حامل فقه لمن هو افقه منه .

ووجه الدلالة في حديث ابي موسى على ما نحن بصدده هو امره (ص) ابا موسى ان يحل من احرامه حيث لم يسق الهدي معه وما باله (ص) وهو اكرم الخلق لم يشرك ابا موسى في هديه فيعطيه بدنة من مائة بدنة مع ان أبا موسى كان في حاجة رسول الله(ص) والمسلمين كما كان علي واهل كما اهل علي(ع) .

ولكن هيهات بعدت الغاية على ابي موسى ونأى عن ان يشبه رسول الله(ص) هو او غيره في حجه ويشركه في هديه ويأكل معه من طعامه فإن تلك الكرامة خاصة بوصيه ووزيره وولي عهده والخليفة من بعده لا تتجاوزه الى من سواه .

وتا الله الذي لا إله غيره لولا حنق الحاسد وبغي الناصب لتجلت هذه الفضيلة لعلي بين فضائله كالقمر بين الكواكب .

بربك كيف تجدك لو كنت شاهد ذلك الموسم الذي جمع من الناس

ما يزيد على مائة الف انسان كلهم بزي واحد ورسول الله (ص) وعلي (ع) بزي يخالف زيهم ثم شاهدت ذلك الموكب العظيم قد ضمتهم منى ينحرون هديهم ويواكل بعضهم بعضا .

ورأيت رسول الله (ص) قد انفرد بعلي من بين خواص اصحابه وذوي رحمه يأكلان معا لا ثالث لهما ايعترضك ريب او يختلج في صدرك شك ان عليا هو خليفة هذا النبي والقائم مقامه كلا ثم كلا هذه جملة من اخبار حجة الوداع .

وهناك اخبار ظاهرة الوضع واضحة الفساد ذكر فيها ان اناسا من المسلمين ساقوا الهدي وكان حجهم مماثلا لحج رسول الله (ص) وهي نوعان نوع بُين فيه اسماء من ساق الهدي ونوع لم يبين فيه وسنذكر لك كلا النوعين مع بيان فسادها وكذب الراوي لها باجلى بيان

اما النوع الاول فروى[1] البخاري باسناده عن عطاء عن جابر بن عبد الله قال اهلّ النبي (ص) هو واصحابه بالحج وليس مع احد منهم هدي غير النبي (ص) وطلحة وقدم علي من اليمن ومعه هدي «٢» فقال اهللت بما اهل به النبي (ص) فامر النبي (ص) اصحابه ان يجعلوها عمرة ويطوفوا ثم يقصروا ويحلوا إلا من كان معه الهدي انتهى .

وفيه اولا ان هذا الخبر مناف لكل ما دل من الاخبار على ان رسول

«١» صفحة ١٩٩ جزء ١ «٢» اي هدي جاء به «ع» هدية لرسول الله «ص» لما يعلمه من حاجته «ص» لبدن كثيرة لكثرة اتباعه من نسائه وبناته ومواليه وحاشيته لا انه هدي عن نفسه وذلك لانه اهل باهلال رسول الله «ص» ولم يعلم نوع حج رسول الله «ص» ليعمل عمله فكيف يمكنه سوق الهدي عن نفسه واشعاره وتقليده ويرشد الى ذلك رواية جابر المتقدمة ورواية البخاري ايضا فراجع .

الله (ص) اشرك عليا في هديه ومخالف لكل ما نقله اهل السير اذلا يجتمع سوقه للهدي مع اشراك رسول الله (ص) له في هديه الا ان يراد من الهدي ما ذكر من انه هدية لرسول الله (ص) لا انه هدي عن نفسه على ان عطاء . روى عن جابر نظير هذه الرواية وقد تقدمت وليس فيها ذكر لطلحة .

وثانياً كيف انفرد طلحة من بين كافة اصحاب رسول الله (ص) وهم عشرات الألوف وكيف وقع هذا الاتفاق العجيب مع ان فيهم من هو أيسر منه واورع واتقى واشد اتباعا لرسول الله (ص) ومحافظة على الاقتداء به أيجوز عند العقول وقوع مثل هذا الاتفاق وهب ان هذا جائز .

فلا يجوز ان ينفرد شخص واحد بروايته بل يجب ان يرويه كل من روى حجة الوداع وروى ان رسول الله (ص) ساق الهدي لعدم امكان خفاء ذلك على احد .

وكيف ينفرد طلحة من بين اصحاب رسول الله (ص) كافة بسياق الهدي ولا تتواتر الأخبار بنقله ولم يكن لطلحة من يحسده ويبغضه فيستر فضله فالاسباب والدواعي لنقله اذا موفورة لو كان صحيحا.

هذا علي (ع) على كثرة حاسديه ومبغضيه لم يخف حجه على احد ونقله اهل السير وحملة الحديث .

وكيف لم يروى لطلحة ما روي لعلي لو كان ذلك صحيحا وهب ان الصحابة تواطأوا على ان لا يرووا لطلحة هذه الفضيلة فأين عائشة عنها بربك انصفني اينفرد طلحة من بين اصحاب رسول الله (ص) بهذه الكرامة ويشبه رسول الله (ص) في حجه كما اشبهه علي ولا ترويه عائشة في شيء

من أحاديثها على كثرتها .

وقد روى لها البخاري ومسلم في حجة الوداع ما يزيد على اربعين حديثا كلا والله بل لو كانت صحيحة لصدرت بها احاديثها وزينت بها مجالسها .

وكيف تهمل لطلحة ذكر هذه الفضيلة وهو ابن عمها وكان احب اليها من سمعها وبصرها وكانت ترشحه للخلافة وكتب السير طافحة بذلك فهل ترتاب بعد هذا في كذب هذا الحديث .

وقد كانت عائشة خاضت في حجة الوداع فلم تطف بالبيت ولم تحسب لها عمرة فلما قضت مناسك الحج ارسلها رسول الله(ص) مع اخيها فاعتمرت من التنعيم .

فلا ترى لها حديثا خاليا عن ذكر هذه العمرة وما ارسلها (ص) الا بعد ان احرجته وامتنعت من الذهاب معه وقالت أيرجع الناس بنسكين وارجع بنسك .

وإنما ارادت من الناس نساءه(ص) . روى مسلم[1] باسناده عن عائشة انها أهلت بعمرة فقدمت ولم تطف بالبيت حتى حاضت فنسكت المناسك كلها وقد أهلت بالحج فقال لها رسول الله(ص) يوم النفر يسعك طوافك لحجك وعمرتك فأبت فبعث بها مع عبد الرحمن الى التنعيم فاعتمرت بعد الحج .

فمن لا تهمل لنفسها ذكر هذه العمرة وهي محل للنقد والايراد كيف تهمل لطلحة ذكر تلك الفضيلة لو صحت وهذا بحمدالله واضح جلي لدى المنصف الذكي وليس القصد الانتقاد ولكن الحديث شجون .

(١) صفحة ٤٦٤ جزء ١

وروى مسلم[١] قال حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا ابي حدثنا شعبة حدثنا مسلم القري سمع ابن عباس يقول أهل النبي (ص) بعمرة واهل اصحابه بحج فلم يحل النبي ولا من ساق الهدي من اصحابه وحل بقيتهم فكان طلحة بن عبيد الله فيمن ساق الهدي فلم يحل انتهى .

ثم روى مسلم بعده عن شعبة ضده قال وحدثناه محمد بن بشار حدثنا محمد يعني ابن جعفر حدثنا شعبة بهذا الاسناد غير انه قال وكان ممن لم يكن معه الهدي طلحة بن عبيد الله ورجل آخر فأحلا انتهى .

وفيه اولا ان قوله اهل رسول الله (ص) بعمرة واهل اصحابه بالحج مناف لكل ماروي[٢] عن ابن عباس في هذا الباب من ان رسول الله (ص) اهل بالحج .

وثانيا بعد ان روي بطريقين متناقضين فقد سقط وبطل معناه وكفينا مؤنة ابطاله والرد عليه .

وثالثا يرد عليه كل ما ورد على سابقه ولكل حق حقيقة وعلى كل ضياء نورا .

وروى مسلم[٣] باسناده عن عبد العزيز بن ابي سلمة الما شجون عن عبد الرحمن بن القاسم[٤] عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله

«١» صفحة ٤٧٩ جزء ١ «٢» روى مسلم صفحة ٤٨٠ جزء ١ عن ابن عباس الى ان قال قدم النبي «ص» واصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحج وروى ايضا صفحة ٤٨٠ جزء ١ عن ابي العالية البراء انه سمع ابن عباس يقول أهل رسول الله «ص» بالحج وروى ايضا عن ابن عباس صفحة ٤٨٠ جزء ١ قال قدم رسول الله «ص» لاربع خلون من العشر وهم يلبون بالحج فامرهم ان يجعلوها عمرة وروى ايضا صفحة ٤٨١ جزء ١ عن ابن عباس قال صلى رسول الله «ص» بذي الحليفة الى قوله فلما استوت به على البيداء أهل بالحج «٣» صفحة ٤٦١ ج ١ «٤» هو ابن محمد بن ابي بكر

(ص) لا نذكر الا الحج حتى جئنا سرف[1] فطمثت فدخل علي رسول الله [ص] وانا أبكي فقال مـا يبكيك فقلت والله لوددت اني لم أكن خرجت العام قال مالك لعلك نفست قلت نعـم قال هذا شيء كتبه الله على بنات آدم افعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت حتى تطهري قالت فلما قدمت مكة قال رسول الله [ص] لاصحابه اجعلوها عمرة فاحل الناس الا من كان معه الهدي قالت فكان الهدي مع النبي [ص] وابي بكر وعمر وذوي اليسار ثم أهلوا حين راحوا قالت فلما كان يوم النحر طهرت فأمرني رسول الله [ص] فافضت قالت فأتينـا بلحم بقر فقلت ما هذا قالوا اهدى رسول الله [ص] عن نسائه البقر فلما كانت ليلة الحصبة قلت يا رسول الله [ص] يرجع الناس بحجة وعمرة وارجع بحجة قالت فأمر عبد الرحمن بن ابي بكر فاردفني على جمله قالت فإني لاذكر وانا جارية حديثة السن انعس فيصيب وجهي مؤخرة الرحل حتى جئنا التنعيم فاهللت منها بعمرة جزاء بعمرة الناس التي اعتمروا انتهى .

وهذا لعمري من اطرف الأحاديث واغربها واين عنه حملة الاخبار ونقلة الآثار وحفظة الكرامات لها ذين الخليفتين العظيمين واين عنه عروة لم يروه عن أمه اسماء وخالته عائشة .

اللهم الا ان يكون هذا من النخب المخزون عند ابي سلمة الماشجون واين عنه ابو عبد الله البخاري فيحلي به صحيحه ويزين به أحاديثه وتالله الذي لا إله غيره لو كان هذا الحديث صحيحا لتواترت بـه الاخبار وطفحت به الاسفار وتبججت به كتب السير وتلي كمـا تتلى الآيات والسور ايجوز عند العقول ان يسوق ابوبكر وعمر الهدي ويكون حجها

[1] موضع يبعد عن مكة اربعة أميال .

مماثلا لحج رسول الله [ص] ولا يرويه لهما احد غير الماشجون مع كثرة الأحاديث التي رويت في حجة الوداع واكثرها عن ولديهما عائشة وعبد الله بن عمر فقد روي عن عائشة ما ينوف عن اربعين حديثا وعن عبدالله ما يقرب من ذلك فما بالهما لم يجهرا لأبويهما بهذه الفضيلة الفاضلة وما بال عائشة لم ترو ذلك في جميع احاديثها وكيف يروي عبد الله بن عمر تلك الفضيلة لعلي [ع] ولا يرويها لأبيه والرجل اعرف بمناقب ابيه من غيره ولعمري لو كان يروج هذا في حق هذين الصحابيين الجليلين والخليفتين العظيمين لرواه لهما كثير من خونة الحديث امثال الماشجون ولكنهما كانا اجل من ان يخفى عملهما ويجهل كيفية حجهما لجلالة قدرهما وعلو منزلتهما والذي يهون الخطب ويريح من تكلف مؤنة الرد هو ان مسلم اشار الى عدم صحة الحديث بروايته له عن عبد الرحمن من غير طريق الماشجون بل من طريق حماد قال مسلم بعد ان روى هذا الحديث وحدثني ابوايوب الغيلاني حدثني بهز حدثنا حماد عن عبد الرحمن عن أبيه عن عائشة قالت لبينا بالحج حتى اذا كنا بسرف حضت فدخل علي رسول الله [ص] وانا ابكي وساق الحديث بنحو حديث الماشجون غير ان حمادا ليس في حديثه فكان الهدي مع النبي [ص] وأبي بكر وعمر وذوي اليسار ثم اهلوا حين راحوا ولا قولها وانا جارية حديثة السن انعس فيصيب وجهي مؤخرة الرحل وكيف تقول عائشة وانا جارية حديثة السن .

وكيف كانت حديثة السن في حجة الوداع وقد كانت في السنة التي توفي فيها رسول الله [ص] وكيف تقول انعس فيصيب وجهي مؤخرة الرحل وليس النعس من لوازم حداثة السن بل يعرض لحديث السن ولغيره وإني لأعجب لمسلم وامثاله من اكابر المحدثين كيف يدونون امثال هذه

الروايات الواضحة البطلان وهب انهم يلمحون الى فسادهـا فإن ذلك يخفى على كثير من المسلمين .

وروى مسلم[١] باسناده عن اسماء بنت ابي بكر قالت خرجنا محرمين فقال رسول الله [ص] من كان معه الهدي فليقم على احرامه ومن لم يكن معه الهدي فليحلل فلم يكن معي هدي فحللت وكان مع الزبير هدي فلم يحلل قالت فلبست ثيابي ثم خرجت فجلست الى الزبير فقال قومي عني فقلت اتخشى ان أثب عليك انتهى .

وفيه اولا ان هذا الحديث يرد عليه كل ما يرد على حديث طلحة ويكفينا مؤنة رده وابطاله ما رواه مسلم بعد ذلك عن اسماء انها كلما مرت بالحجون تقول صلى الله على رسوله وسلم لقد نزلنا معه هاهنا ونحن خفاف الحقائب قليل ظهرنا قليلة ازوادنا .

فاعتمرت يومئذ انا وأختي عائشة والزبير وفلان وفلان فلما مسحنا بالبيت احللنا ثم أهللنا من العشي بالحج ورواه البخاري[٢] ايضا وثانيا كيف لم يروه عروة عن امه وخالته واكثر ما روي عن عائشة من طريقه .

وهذه منقبة للزبير بربك انصف ايسوق الزبير الهدي ويبقى على احرامه كرسول الله [ص] ولا تعرف ذلك عائشة او تعرفه ولا يعرفه عروة وهو عيبة علمها والرجل أدرى باحوال أبيه من غيره .

بل كان عروة يعرف من أبيه خلاف ذلك وحديثه مع العراقي مشهور رواه مسلم[٣] باسناده عن عروة في حديث طويل الى ان قال (اي عروة) وقد اخبرتني امي انها اقبلت هي وأختها والزبير وفلان وفلان بعمرة

«١» صفحة ٤٧٩ ج ١ «٢» صفحة ٢١٤ ج ١ «٣» ٤٧٨ ج ١

فقط فلما مسحوا الركن أحلوا (كما أمر رسول الله (ص) كافة اصحابه) وقد كذب فيما ذكر من ذلك (أي العراقي) انتهى .

أفيبقى عند منصف بعد هذا شك في بطلانه و كذب راويه وصاحب البيت ادرى بالذي فيه هذا ما وقفنا عليه من الأخبار التي بيّن فيها من كان سائقا للهدي والله الهادي للصواب .

النوع الثاني من الأخبار وهي التي دلت على ان هناك أناس ساقوا الهدي ولم تذكر اسماؤهم وهي كسابقها بينة الوضع ظاهرة الفساد لمن نظر بعين الانصاف فيما نذكره ان شاء الله .

روى البخاري[1] باسناده عن عائشة قالت خرجنا مع النبي (ص) ولا نرى الا انه الحج فلما قدمنا تطوفنا بالبيت فأمر النبي (ص) من لم يكن ساق الهدي ان يحل فحل من لم يكن ساق الهدي ونساؤه لم يسقن فاحللن انتهى .

وحيث لا ظهور في هذا الخبر ان أحدا ساق الهدي غير رسول الله (ص) فلا حاجة للتعرض لرده وإنما فيه إيهام لذلك فلا يعارض ما سبق من اخبار العموم ولا يقوم لتخصيصها وذلك ظاهر .

وروى[2] ايضا باسناده عن عائشة قالت خرجنا مع النبي (ص) في حجة الوداع فأهللنا بعمرة ثم قال النبي (ص) من كان معه الهدي فليهلل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا الى ان قال قالت فطاف الذين كانوا أهلوا بالعمرة بالبيت وبين الصفا والمروة ثم حلوا ثم طافوا طوافا واحدا بعد ان رجعوا من منى واما الذين جمعوا الحج والعمرة فإنما طافوا طوافا واحدا انتهى .

(١) صفحة ١٨٩ جزء ١ (٢) صفحة ١٨٨

ويرد هذا الخبر من وجهين اولا ان قولها فأهللنا بعمرة ينافي ما تقدم من قولهـا خرجنا مع النبي (ص) ولا نرى الا انـه الحج فإن معناه ان الإهلال كان بالحج بل ينافي كل ما ذكر في اخبار هذا الباب فإن الذي يفهم من جميعها ان الناس لم يكونوا يفعلوا في اشهر الحج غير الحج وان إهلالهم انما كان بالحج ثم امرهم (ص) بعد وصولهم مكة او دونها بيسير ان يجعلوها عمرة .

وثانيا ان قولها واما الذين جمعوا الحج والعمرة فإنما طافوا طوافا واحدا يناقض قولها ايضا ما تقدم فلما قدمنا تطوفنا بالبيت بل يناقض جميع اخبار الباب فإنها متفقة على ان رسول الله (ص) طاف بالبيت عند وصوله مكة ولكن لم يحل لمكان الهدي الذي ساقه ولما رجع من منى طاف طواف الحج فيكون له طوافان فكيف تقول طواف واحد وعلى فرض صحته فيجوز ان يكون المراد من قولهـا واما الذين جمعوا الحج والعمرة هما النبي (ص) وعلي لا غير فلا يعارض ما سبق وعدم البيان منها لغرض غير خفي .

وروى[1] ايضا باسناده عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله (ص) في اشهر الحج وليالي الحج وحرم الحج فنزلنا بسرف[2] قالت فخرج الى اصحابه فقال من لم يكن منكم معه هدي فأحب ان يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه الهدي فلا قالت فالا خذ بها والتارك لها من اصحابه قالت فأما رسول الله (ص) ورجال مـن اصحابه فكانوا اهل قوة وكان معهم الهدي فلم يقدروا على العمرة انتهى .

ويرد هذا الحديث من وجوه الأول ان قولها فقال من لم يكن منكم

(١) صفحة ١٨٩ جزء ١ (٢) مكان يبعد عن مكة أربعة اميال

ساق الهدي فاحب ان يجعلها عمرة فليفعل مناف لكل اخبار الباب التي رويت عنها وعن غيرها من انه(ص) امر اصحابه امرا الزاميا بأن يحلوا. خصوصا قولها دخل علي رسول الله (ص) وهو غضبان فقلت من اغضبك يا رسول الله(ص) ادخله الله النار قال أوما شعرت اني امرت الناس بأمر فإذا هم يترددون فكيف يحق له (ص) ان يغضب اذا كان اباح لهم وخيرهم وذلك ظاهر .

وثانيا ان قولها فأما رسول الله(ص) ورجال من اصحابه فكانوا اهل قوة و كان معهم الهدي فهو مخالف للحقيقة لأن المراد من قولها ورجال من اصحابه أي قليلون كما هو الظاهر .

مع ان اصحابه(ص) كانوا يومئذ اهل قوة ويسار الا القليل منهم و كانت احوالهم تحسنت واتسعت ارزاقهم يوم فتحت عليهم خيبر .

قالت عائشة ما شبعنا من الأحمرين (أي التمر واللحم) حتى فتحت خيبر.

وعندها أمر رسول الله (ص) المهاجرين ان يرجعوا الى الانصار ما واسوهم به وتصدقوا به عليهم لاستغنائهم عنه وكان فتح خيبر في أواخر السنة السادسة للهجرة واقبلت العرب بعدها على الدخول في الإسلام واداء الصدقات .

وكفى المسلمين ما غنموه من هوازن يوم حنين على ان حجة الوداع كانت في السنة التي مات فيها رسول الله(ص) وكانت العرب كلها يومئذ مذعنة لرسول الله (ص) بالطاعة وأمره جار على اهل الوبر منهم والمدر وتؤدى اليه صدقات اليمن وكافة الجزيرة و كانت المدينة يومئذ عاصمة العرب وسوق متجرهم وكان عمل المهاجرين وكسبهم وارتزاقهم من التجارة و كانوا فيها مهرة عارفين وذلك لما اعتادوه وتوارثوه عن آبائهم في

مكة فكانوا اكثر مراسا لها من غيرهم أفيبقى بعد هذا شك في انهم كانوا اهل قوة ويسار وقدرة على سوق الهدي .

وهب ان المهاجرين لم يكونوا من اهل اليسار فأين الانصار وهم اهل البساتين والمزارع والحدائق ولا يحتمل في حق كثير منهم الضعف والعجز عن سوق الهدي خصوصا بعد ان ارجع اليهم المهاجرون ماواسوهم به على ان الهدي ليس بذي قيمة حتى يحتاج الى غنى وقوة .

وهب ان في المهاجرين والانصار الكثير ممن لا يقدر على سوق الهدي ولو كان ذا قيمة يسيرة فكيف كانوا لا يتجاوزون النصف ولو ان نصف الصحابة ساق الهدي لعرف ذلك بل لو ساقه ربعهم لروي لنا ولم يخف علينا وحيث لم ينقل شيء من ذلك يعلم بعدم سوق احد منهم الهدي .

وهب ان الذي يقدر على سوق الهدي منهم قليل جدا فما باله (ص) لم يأمرهم بالاشتراك بالهدي وسوقه كما أمرهم يوم النحر في منى بالاشتراك فكان سبعة يشتركون في هدي واحد روى ذلك مسلم في باب الاشتراك بالهدي بعدة طرق .

وثالثا ان ابا بكر وعمر هل ساقا الهدي ام لا فإن كانا ساقاه فكيف لم تذكرهما عائشة وهي تتمنى لها شيئاً من ذلك وكيف يسوق غيرهما الهدي ولا يسوقانه ولا يتأسيا برسول الله (ص) وهما أحق من استن بسنته واقتدى به خصوصا ابو بكر فقد كان من اهل اليسار وهب انه لم يكن موسرا يومئذ .

فما بال رسول الله (ص) لم يشركه في هديه كما اشرك عليا أيبخل عليه بالهدي وهو اكرم الخلق ام نسي ما انفقه عليه ابو بكر كما زعموا .

زعموا ان ابا بكر انفق على رسول الله (ص) جميع ماله حتى تخلل بالعباء لفقره .

وروى البخاري(١) ومسلم(٢) ان رسول الله(ص) قال ان من امنّ الناس علي في ماله ابا بكر انتهى فمن كان بهذه المنة على رسول الله(ص) كيف يبخل عليه بهدي اولايشركه في هديه وقد ساق مائة بدنة .

وما بال عثمان لم يسق هديا وقد كان معروفاً باليسار .

انفق في جيش العسرة نفقة حسنة فحفظت له وذكرها المؤرخون ورواها المحدثون ولا يختلج في صدرك وهم ان احدا من أكابر الصحابة ووجوه المهاجرين غير علي(ع) عمل في الاسلام عمل خير قليلا كان او كثيرا إلا وروي وحفظ له وتواتر نقله .

خصوصا الخلفاء الثلاثة ومن داناهم لتوفر اسباب النقل ووجود الدواعي لذكر مآثرهم وارتفاع الموانع من نشرها اذ كانت بيدهم القوة والسلطان والعطاء والحرمان ومن كان كذلك تقربت الناس اليه وتزلفت له وحفظت مناقبه واختلقت له الكرامات فكيف بالصحيح .

أما علي(ع) فالأمر معه بخلاف ذلك لكثرة حاسديه وقوة سلطان شانئيه ولما لم تتواتر الاخبار وتكثر الرواية بسوق هؤلاء الأجلاء للهدي علم كذب من تفرد بروايته ولو ان الصحابة يعلمون حب رسول الله (ص) لسوق الهدي او كان معروفا عندهم لباعوا كلما يملكون واشتروا به هديا اقتداء برسول الله(ص) واهتداء بهديه وجريا على سيرته وقد ظهر بحمد الله صحة ما ادعيناه لمن تأمل وانصف .

وروى مسلم(٣) ايضا باسناده عن عبد الله بن عمر قال تمتع رسول الله

«١» صفحة ١٩٢ ج ٢ «٢» صفحة ٢١٥ ج ٣ «٣» صفحة ٢٠٤ ج ١

(ص) في حجـة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى وساق الهدي معه من ذي الحليفة وبدأ رسول الله (ص) فاهل بالعمرة ثم اهلّ بالحج فتمتع الناس مع النبي (ص) بالعمرة الى الحج فكان من الناس من اهدى فساق الهدي ومنهم من لم يهد فلما قدم النبي (ص) مكة قال للناس من كان منكم اهدى فإنه لا يحل لشيء حرم منه حتى يقضي حجه ومـن لم يكن منكم اهدى فليطف بالبيت وبالصفا والمروة وليقصر وليحل ثم ليهل في الحج اه .

وفيه اولا هل كان ابن عمر وأبوه ممـن اهدى ام لا ولو كان لذكر نفسه واباه وما بالهما لم يهديا اذا كان هناك من الصحابة من اقتدى برسول الله (ص) واهدى ارغبا عن هدي رسول الله (ص) ولم يجريا على منهاجه كلا وحاشاهما .

وثانيا ان ما ذكر في هذا الخبر مـن ان رسول الله (ص) اهل بالحج والعمرة مخالف لما هو معروف من فتيا عبد الله بن عمر ومخالفته لفتيا أنس

روى مسلم[1] بعدة طرق عن بكر عـن أنس قال سمعت النبي (ص) يلبي بالحج والعمرة جميعا قال بكر فحدثت بذلك ابن عمر فقال لبى بالحج وحده فلقيت انسا فحدثته بقول ابن عمر فقال انس ماتعدوننا الا صبيانا سمعت رسول الله (ص) يقول لبيك عمرة وحجا انتهى .

وبعد ما ذكر كيف تركن النفس ويسكن القلب لامثال هذه وفي استقصائها يطول المقام ويخاف الملل وظهر بحمد الله ما ادعيناه .

وربما سأل سائل ما بال عائشة (رض) لم تروشيئاً عن حجة علي (ع) على كثرة ما روي عنها في باب حجة الوداع فجوابه ما رواه البخاري[2] باسناده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ان عائشة زوج النبي

(١) صفحة ٤٧٧ جزء ١٠ (٢) صفحة ٦٣ جزء ٣٠

(ص) قالت لما ثقل رسول الله (ص) واشتد به وجعه استأذن ازواجه ان يمرض في بيتي فأذنّ له فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه في الارض بين العباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر قال عبيد الله فأخبرت عبد الله بن عباس بالذي قالت عائشة فقال لي عبد الله بن عباس هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة قال قلت لا قال ابن عباس هو علي بن ابي طالب انتهى .

فإذا كانت عائشة تبخل على علي بذكر هذا العمل الذي ليس فيه كثير فضل ولا كبير فخر فكيف تجود عليه بذكر هذه الفضيلة الجليلة والمرتبة السامية وهي انه نظير رسول الله (ص) في حجه وشريكه في هديه دون كافة اصحابه كلا ثم كلا .

وماتناقضت الاخبار في حجة الوداع الا لكثرة الوضع فيها وما كثر الوضع فيها الا لإخفاء هذه الفضيلة السامية لعلي (ع) ويأبى الله إلا ان يتم نوره وهذا التحقيق في حجة الوداع مما انفرد به هذا الكتاب وما رأينا من حام حوله من العلماء الباحثين والله الهادي الى الصواب .

تم الجزء الأول من كتاب الكلمات

ويليه الجزء الثاني ان شاء الله

واوله ماجرى في خم من النص على علي بالخلافة

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٠٣	١٢	وزيره	ووزيره
١٢	٢٠	الواقوصة	والواقوصة
١٦	١٨	الشديد	الشريد
١٨	٠٣	خالد	خالدا
١٨	١٠	عبيدة	عبيد
٢٠	١٣	فألقاه	فاتقاه
٢٣	٠٥	بينه	بينهم
٢٧	١٨	جمال	حمال
٣٢	٠٦	السفر	السفن
٣٦	١٠	وقالوا فترقتم	وقالوا إن افترقتم
٣٩	٢٠	يحفظ	يحفظها
٤٦	٠٢	واللدين	اللذين
٤٨	١٣	سبر امير	سبر حال امير
٥٢	٠٧	ينتفض	تنتقض
٦٣	٠٦	رايهم	رابهم
٨٩	٠٤	مع	من
٨٩	٠٦	من	مع
١٠٩	٢٠	نادى ثلاثا أني	نادى أني
١١٢	٠١	قال	قالا
١١٢	٠٣	بالحجار	بالحجارة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢٠	١٤	الكلام	الإمام
١٢٠	١٧	الراي في	الرأي العام في
١٤١	٠٨	مقام	مقاما
١٥٣	٢٢	اطنهم	افنتهم
١٥٦	٠٥	حفضوا	خفضوا
١٥٩	١٢	لاتعذبه	لانعذبه
١٦٣	٠٢	ولمساعدتهم ثقيف	وساعدتهم ثقيف
١٧٠	١٣	رجعها	وجعها
١٧٧	٠٥	والتقيد	والتنقيب
١٩٣	١١	اخفر	خفر
١٩٥	٢	ابن مالك فدعا	ابن مالك فدعي
١٩٧	١٢	يقتل	تقتل
٢٠٥	١٥	كتابته	كتابه
٢١١	١٧	ان يعلن	ان لا يعلن
٢١٣	٠٥	فليقل	فليقبل
٢١٤	٠٦	تاثرتها	تاثرتها
٢١٤	١٦	والثناء	واثنى
٢١٤	٢١	وفرع	وفرغ
٢١٦	٢٠	بيده	بيد

DATE DUE

JAEL LIB.
11 MAY 2013
Circulation Dept.

[redacted]
نور الدين ،عبد الحسين
الكلمات...
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
21211041

29709
N 973k A
v. 1
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
LIBRARY

297.09
N973kA
v.1
c.1